صعود البروتستانتية الإيفانجليكية
فى أمريكا
وتأثيره على العالم الإسلامى
د. محمد عارف
ترجمة : رانية خلاف
مكتبة الشروق الدولية

هذا الكتاب وهذا المؤلف

يناقش هذا الكتاب عدة قضايا هامة ..... لمن يعطى الشعب الأمريكى أصواته الانتخابية ؟ لماذا وكيف نشأ التيار الإيڤانجليكى والتيار الأصولى بين البروتستانت فى الولايات المتحدة ؟

وما هى علاقته ببقية الطوائف والأديان والقوى السياسية فى الولايات المتحدة ؟ وما هو تأثيره على العالم بصفه عامة، وعلى المسلمين والشرق الأوسط بصفة خاصة ؟ وماذا يفعل المسلمون - شعوبًا وحكومات - إزاء ذلك ؟

المؤلف هو الدكتور محمد عارف، أستاذ العلوم الاقتصادية بالجامعة الإسلامية العالمية فى ماليزيا، والتى ركزت أبحاثه ومنشوراته على الاقتصاد السياسى فى الولايات المتحدة.

312048

صعود البروتستانتية الإيفانجليكية

في أمريكا

وتأثيره على العالم الإسلامي

صعود البروتستانتية الإيفانجليكية في أمريكا وتأثيره على العالم الإسلامي

د. محمد عارف

ترجمة: رانية خلاف

تنمو شجرة الخوف
فى أرض الجهل
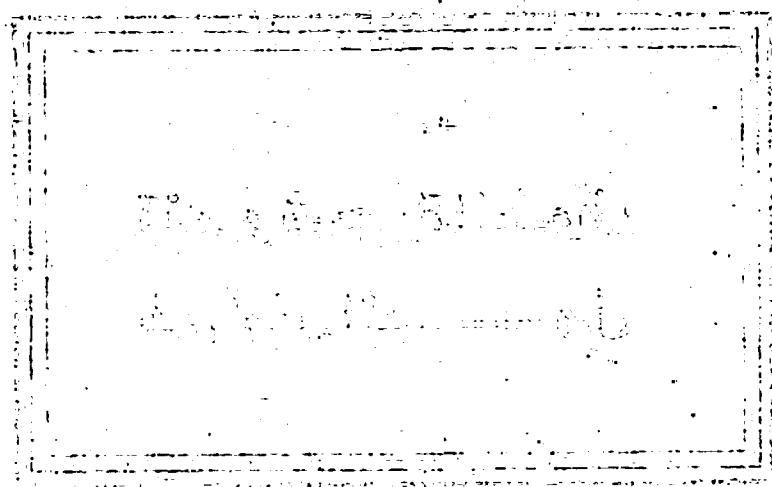
تقـديـم

مرت الولايات المتحدة، على قصر عمرها، بثلاث صحوات دينية (پروتستانتية) كبرى، كانت الأولى فى نهاية القرن الثامن عشر، والثانية فى القرن التاسع عشر، والأخيرة فى النصف الثانى للقرن العشرين، وما زالت فى قمتها حتى اليوم.

توج الصحوة الثالثة، وصول رئيس إيڤانجليكى - إن لم يكن أصوليًا - إلى البيت الأبيض، وأعيد انتخابه، بفضل الأصوات الإيڤانجليكية التى تراوح تقدير تعدادها، بين ٤٠ إلى ٥٠ مليون صوت.

ولكن الوصول للبيت الأبيض لا يكفى .... فقد تعلم الإيڤانجليكيون أن الرئيس كارتر - والذى واكب انتخابه إعلان عام الإيڤانجليكى فى الولايات المتحدة - لم يلتزم بأچندتهم ... ولا فعل ذلك الرئيس ريجان الذى أحلوه محل كارتر فى البيت الأبيض، فلم يستطع أن يساير أچندتهم بما يرضيهم ... ذلك لأن الإيڤانجليكيين لم يؤثروا بما يكفى على الرأى العام، ولم يحوزوا وسائل الإعلام ولا مقاعد الكونجرس بدرجة كافية...

تعلم الإيڤانجليكيون درسًا: الرئيس وحده لا يكفى ...

فأصبحت لهم إمبراطورياتهم الإعلامية التى يشاهدها أكثر من مائة مليون أمريكى... وتتجاوز ميزانياتها بلايين الدولارات ...

وسيطروا على أغلبية الكونجرس!...

ليس هذا فقط . . . فقد خططوا لوصول أعضائهم للمحكمة الدستورية العليا . . .

وجاءوا بكبير قضاة مثل رنكوست الذى يقول :

الحائط الفاصل بين الكنيسة والدولة استعارة مبنية على تاريخ سيئ، وأثبتت فشلها كمرشد فى القضاء . . . فيجب التخلى عنها بصراحة وشكل واضح(*) .

كذلك جاءوا بوزير عدل مثل چون أشكروفت .

ولكن من هو الإيڤانجليكى؟

هو پروتستانتى يعتقد فى الآتى :

* الكتاب المقدس، معصوم من الخطأ، ويجب تفسيره حرفيًا .

* يفوز بالخلاص من يؤمن بالمسيح، الذى صُلب - افتداءً للبشر من الخطيئة الأولى - وقام من الأموات بعد صلبه .

* أهمية التحول الروحى فى الحياة، بالميلاد من جديد، أو الميلاد ثانيًا «born again» .

* أهمية التبشير، لتنصير باقى الأمريكيين، وتنصير العالم .

* المجىء الثانى للمسيح، على اختلاف فى متى يجىء ؟ هل بعد أن يتهيأ العالم لذلك، بصلاح العالم - طبقًا لرؤية إيڤانجليكية - أم أنه يأتى لإصلاح العالم بعد معركة هرمجدون، طبقًا لرؤية إيڤانجليكية أخرى ؟

قد يتساءل البعض . . . ولماذا يهمنا ذلك فى مصر والشرق الأوسط ؟؟

وماذا يمكننا عمله، إذا كان ذلك يهمنا ؟

تنحصر الإجابة عن السؤال الأول فى المعتقدين الأخيرين للإيڤانجليكيين . . . .

التبشير

نقتطف ما جاء فى جريدة الواشنطون پوست بتاريخ ٢٣ يونيه ٢٠٠٥م تحت عنوان «الإيڤانجليكيون يبنون قاعدة فى بغداد» :

(*) أصول التطرف - اليمين المسيحى فى أمريكا، صفحة (٢٥٣) - من إصدارات مكتبة الشروق الدولية .

. . . . . هى أول كنيسة معمدانية، من ضمن - على الأقل - سبع كنائس [إيڤانجليكية] جديدة، تم بناؤها فى بغداد فى السنتين الماضيتين . . . .

. . . يتحدى النشاط الإيڤانجليكى - المدعوم من إيڤانجليكيى الغرب وغيرهم - هنا فى [بغداد] الطوائف المسيحية الراسخة، ويثير شكاوى زعماء المسلمين والمسيحيين، الذين يرونه تهديداً للوضع القائم . . . .

. . . . عدد الإيڤانجليكيين هنا [فى العراق] ليس كبيراً . . . . . ربما آلاف قليلة ضمن المسيحيين الذين يقدر عددهم بثمانمائة ألف . . . . والآن يرى قادة الكنائس أن الكنائس الإيڤانجليكية الجديدة تمتلئ، ليس بالكثير من المسلمين المتحولين، ولكن من المسيحيين مثل توفيق [سهيلة توفيق الكاثوليكية الأصل]، الذين يبحثون عن تجربة جديدة فى العبادة . . .

. . . . ويقول رئيس أساقفة الكاثوليك فى بغداد حنا سليمان: إن نيتهم تحويل المسلمين إلى المسيحية، برغم أن المسيحيين هنا لم يفعلوا ذلك . . . . وفى النهاية، سوف يغرون المسيحيين من الكنائس الأخرى . . . . .

. . . . . . خلال الغزو الأمريكى عام ٢٠٠٣م، لم يخف الإيڤانجليكيون الأمريكيون رغبتهم فى مصاحبة القوات الأمريكية . . . . «محفظة السامرى» منظمة الإغاثة الدولية التى يقودها فرانكلين جراهام [ابن بيلى جراهام]، الذى قال عن الاسلام «دين شر وشرير»، ومجلس الإرساليات الدولى لمؤتمر المعمدانيين الجنوبيين، وهما أكبر الطوائف البروتستانتية فى أمريكا، كانا بين الذين أرسلوا البعثات التبشيرية ومساعدات الإغاثة . . .

. . . . يخشى بعض العراقيين المسيحيين أن يعكِّر الإيڤانجليكيون الانسجام بين المسلمين والمسيحيين فى العراق(*) . . . . .

هرماجدون

طبقًا لتأويل نص رؤيا يوحنا - آخر كتب العهد الجديد - يرى زعماء الإيڤانجليكيين

(*) Http://pqasb.pqarchiver.com/washingtonpost/access/857641421.html

أنها معركة نووية يموت فيها عشرات أو مئات الملايين من البشر(*)، لينجو المسيحيون المخلصون (الإيڤانجليكيون) ومن يتحول للمسيحية من اليهود(**)، وطبعًا كل ذلك حول القدس ومن أجلها.

أما إجابة السؤال الثانى، فذلك ما يحاول الدكتور محمد عارف تحليله، ووضع خطوط رئيسية له، وهو هنا يلقى بكثير من اللوم على المسلمين والحكومات الإسلامية، مع تفاؤله بحوار الحضارات وليس صدامها.

عادل المعلم

ديسمبر ٢٠٠٥م

***

(*) «وجمعت الأرواح الشيطانية جيوش العالم كلها فى مكان يُسمى بالعبرية هرماجدون» الرؤيا ـ ١٦ : ١٦.
«فديست المعصرة بالأرجل خارج المدينة، فانبثق منها الدم وجرى أنهارًا حتى إلى لجم الخيل، مسافة ألف وست مئة غلوة» [نحو ٣٣٠كم] الرؤيا ـ ١٤ : ٢٠.

(**) «لأن الرب نفسه سينزل من السماء حالما يدوى أمر بالتجمع، وينادى رئيس ملائكة، ويبوق فى بوق إلهى، عندئذ يقوم الأموات فى المسيح أولا. ثم إننا، نحن الباقين أحياء، نختطف جميعًا فى السحب للاجتماع بالرب فى الهواء. وهكذا نبقى مع الرب على الدوام» الرسالة الأولى إلى مؤمنى تسالونيكى ٤ : ١٦ ـ ١٧.

المقدمة

على الرغم من أننى كنت ولزمن طويل ملاحظًا دقيقًا للمشهد الأمريكى الداخلى على مدى ثلاثة عقود من تدريسى لعلم الاقتصاد، من غير أن يمر يوم تقريبًا دون أن أقتبس أمثلة من الولايات المتحدة وأنا أناقش القضايا الاقتصادية، فلم أتخيل قط أن اهتمامى بالاقتصاد السياسى سوف يقودنى فى يوم ما لكتابة مؤلَّف عن أمريكا. لقد بدأ الأمر برمته ببحث علمى بسيط لتحليل العلاقة بين أداء الاقتصاد الأمريكى ونتيجة انتخابات الرئاسة الأمريكية عام ٢٠٠٠م.

نشرت نتائج هذا البحث صحيفة «Intellectual Discourse» فى عددها الصادر فى يونيو عام ٢٠٠١م، وعلى الرغم من أن تلك النتائج قد أجابت عن سؤالى الأولى، فإنها أثارت العديد من الأسئلة الجديدة والمثيرة فى الوقت ذاته. وقد قادنى ذلك لتوسيع مجال بحثى. وخلال تلك الفترة، حدثت تراچيديا الحادى عشر من سبتمبر. لقد كان الأمر مثيرًا للإزعاج والألم بالنسبة لى لدرجة أننى لم أستطع التركيز على البحث لفترة؛ لأنه بدا أن كل شىء قد آمنت به وعملت من أجله قد تحطم. ولأننى على معرفة بكل من أصدقائنا الأمريكيين، وزملائى المسلمين، فقد اعتقدت دومًا أنه مع انتشار التعليم والحرية فى العالم الإسلامى، فإن العلاقة بين المجتمعين سوف تنمو مع مرور الوقت. وحينما تراءى لى على نحو بطىء ما يتضمنه الحادى عشر من سبتمبر على المدى الطويل، فقد اتضح لى أننى كنت مخطئًا فى هذا الاعتقاد. فقد وجدت أن العلاقة بين العالم الإسلامى والولايات المتحدة (فيما عدا بعض الاستثناءات) لن تطور بشكل ذاتى الحركة بمرور الوقت؛ لأنه برغم أن كلا المجتمعين يتواجد جنبًا إلى جنب من الناحية الزمنية، على المقياس الزمنى للتطور الخلاق للحضارة، فإنهما فى الحقيقة قطبان منفصلان فى العديد من المجالات المهمة. إذا سمح للاتجاهات الجارية بالاستمرار فإن هذا الوضع لا يمكن أن يتحسن.

وبهذا القدر من الفهم، أدركت أن العلاقة بين الحضارتين ستتحسن فقط حينما نبذل جهداً إضافياً إيجابياً فى مساعدة الحضارتين لكى تفهم كل منهما الأخرى بشكل أفضل. بكلمات أخرى، هناك حاجة لبناء جسور التفاهم بين كلتا الحضارتين. أعطت وجهة النظر هذه معنى جديداً لبحثى، وشعرت أنه قد يكون بالفعل مفيداً جداً فيما يتعلق بصلته الوثيقة لمساعدة العالم الإسلامى وفهم موقعه ودوره فيما يخص الولايات المتحدة فى العالم المعاصر.

فى الحضارة الإسلامية المعاصرة، لا يوجد بالكاد أى تراث لدراسة «الآخر». ولأن هذا الكتاب هو من المحاولات الإسلامية المعاصرة القليلة لدراسة أمريكا بشكل علمى، فإننى أخذت على عاتقى عبئاً ثقيلاً فى تحديد المنهج الخاص به ونغمة الخطاب. كان هناك خيار سهل متاح، وهو اتباع طريق المستشرقين، حيث أصبح المنهج الاستشراقى تراثاً غربياً بارزاً عند التصدى لدراسة «الآخر». على الرغم من ذلك فقد رفضته لأسباب ثلاثة: أنه من وجهة النظر الإسلامية غير أخلاقى وغير عادل، حيث تضرب جذوره فى محاباة موروثة وكراهية «للآخر». وثانياً، لأنه منهج غير علمى. وثالثاً لأننى أردت أن أبدأ منهجاً علمياً وعادلا بالنسبة لكلتا الحضارتين، منهجاً يطور طريقاً بنائياً لحل القضايا التى نواجهها بشكل سلمى. آمل أن يتطور هذا المنهج العلمى أبعد من ذلك مع إسهام وعطاء أساتذة آخرين؛ وذلك لأنه يمتلك القوة الكامنة الحقيقية لبناء الجسور بين حضارتينا. ولهذا، فإن هؤلاء الذين كانوا يأملون، بصفتى مسلماً، أننى سوف أتبنى معياراً قاسياً لانتقاد أمريكا، سيصيبهم الإحباط. بالإضافة لذلك، حاولت أيضاً أن أقوم بتعريف المجالات التى يظهر فيها ضعف الحضارة الإسلامية فى فهم المجتمع والنظام الأمريكى، مسببة بذلك مشكلات لنفسها. إننى لا أدعى امتلاك معرفة غير محدودة، ومن المحتمل أن لا يتفق معى بعض الأشخاص. ولذلك، إذا أخطأت فى بعض الأحيان فى تفسيرى أو فى عرضى للحقائق، فسوف أكون ممتناً لمن يقوم بتزويدى بالمعلومات الصحيحة، حيث إنه من المطلوب من كلّ منا أن يبذل جهداً فى تصحيح الخطأ. إن هذا كفيل بأن يجعلنا نعيش فى عالم أفضل.

أنتهز هذه الفرصة لأشكر الأستاذ ظفر أفاق أنصارى، المحرر السابق لصحيفة الخطاب الفكرى «Intellectual Discourse»، والأستاذ ظفر إسحاق أنصارى، المدير العام لمعهد البحوث الإسلامية فى إسلام آباد، اللذين قاما بتشجيعى لاستكمال هذا

البحث. والدكتور سعيد م. سيد رئيس الجمعية الإسلامية لشمال أفريقيا، الذى أكد أيضا على أهمية هذا العمل. كما أننى أدين بالشكر لزملائى الدكتور مهد أسلام حنيف والدكتور إشتياق حسين، اللذين راجعا فصولاً متنوعة وأمدانى بتعليقاتهما. كما أتوجه بالشكر أيضًا لتفهم ومساندة الأستاذ الدكتور منصور حاج إبراهيم، دكتورة رقية ألافى، الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن، والدكتور ماليا سليمان، وكل أعضاء كلية الاقتصاد وعلوم الإدارة، بالجامعة الإسلامية الدولية بماليزيا. كما قام الأستاذ الدكتور محمد كمال حسن عميد الجامعة بتشجيعى، وعبر عن اهتمامه بنشر هذا العمل. إننى أيضًا مدين بالشكر للسيد عدنان هولدن لتحريره هذا الكتاب، على الرغم من أننى أضفت الكثير من النصوص بعد تحريره للكتاب، ولهذا إذا كان هناك أى ضعف فإنه يرجع لى وحدى. كما أعترف بامتنان بفضل المساندة المالية لهذا العمل من مركز البحوث بالجامعة الإسلامية الدولية بماليزيا. لقد كنت محظوظًا أيضًا بعملى مع أمين الإسلام، خريج قسم الاقتصاد، وهومساعد باحث كفء يمكن الاعتماد عليه، وقد بذل مجهودًا فى جمع ومعالجة البيانات. إن المساعدة التى قدمها لى خريجو قسم العلوم السياسية أزاهان أزاد وسمولو إديب كانت ذات أهمية بالغة. وبأخذ مسئولياتى فى حقل التدريس والتزاماتى الإدارية فى الاعتبار، فإن العمل لم يكن من الممكن إنجازه سوى بالإدارة القديرة لقسمى التى قام بها مساعدى محمد عبد اللطيف، والذى تحمل بشكل إيجابى عددًا من المسئوليات. لقد كنت بالفعل محظوظاً بعملى مع حاج ب. ك كويا كوتيو وفريقه، ومن بينهم فايز. ج. فتوحى، الذين قدموا لى خبرتهم المهنية والتى جعلت من عملية النشر كلها أمرًا ميسورًا بالنسبة لى. وحيث إن الكتاب سيقدم فى الاجتماع الواحد والأربعين للجمعية الإسلامية لشمال أمريكا (إسنا) الذى سينعقد فى شيكاجو فى الفترة من ٣-٦ سبتمبر ٢٠٠٤م فإننى أعجل بدفعه إلى المطبعة. إن كان هناك أوجه عدم كفاية، فإنى آمل أن يغفر لى القارئ للسبب الذى ذكرته. إن أى خطأ أوإغفال، على الرغم من ذلك، قد تم بشكل غير متعمد، وعلى مسئوليتى الخاصة.

محمد عارف

الجامعة الإسلامية فى ماليزيا

e-mail: arif 2100 @yahoo.com

الفصل الأول

نتائج انتخابات الرئاسة الأمريكية
لعام ٢٠٠٠م
أمــر محــير

يقدم الاقتصاديون الذين يركزون على الاقتصاد السياسى لبلد ما، انتخاباته القومية - (البرلمانية، الرئاسية، إلى آخره).. مادة مثيرة للغاية، حيث إنهم ينتجون مادة حقيقية غاية الثراء للتأكد من فعالية السياسات الاقتصادية المختلفة للإدارة الحالية ورد فعل جمهور الناخبين عليها[١]. وحيث إننى تتبعت الانتخابات الرئاسية الأمريكية على مدى الربع الأخير من القرن العشرين بوصفى اقتصاديًا سياسيًا، فقد أثبتت الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٠م فى الولايات المتحدة أنها أكثر الانتخابات إثارة وحيرة لهذا الكاتب. إذا ما التزمنا حرفيًا، فإن المرء يعرف أنه إذا عمل الاقتصاد بأداء جيد خلال ولاية رئيس ما (من خلال إيجاد فرص عمل كاملة، نمو مستمر، ومعدل تضخم منخفض، وفى ذات الوقت جلب الازدهار للأمة) فإن الرئيس الحالى أو مرشح حزبه السياسى فى نهاية مدة الولاية، سيفوز بالانتخابات والبيت الأبيض. جلبت الأعوام الثمانية لإدارة كلينتون-جور (١٩٩٢-٢٠٠٠م) كل ذلك للأمة. وعلى الرغم من ذلك فلم يكن جور نائب الرئيس، وإنما المحافظ الجمهورى لتكساس هو من فاز بالانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٠م. كانت نتائج تلك الانتخابات بمثابة لغز محير، حيث إنها تحدت العلاقة الثابتة تاريخيًا والتى ذكرتها سابقًا عن الاقتصاد والسياسة[٢]. كشفت إدارة عملية الانتخابات وانتهائها قد عن العديد من المشاكل فى النظام الانتخابى الأمريكى[٣].

إن بعض تلك المشاكل والقضايا لها طبيعة إدارية، حيث إنها تتعلق بالقواعد والنظم والإجراءات، بينما يتخذ البعض الآخر طبيعة أكثر عمومية، حيث إنها تضرب بجذورها عميقًا فى الفعاليات الاقتصادية - الاجتماعية للمجتمع الأمريكى. يستحق فهم تلك الفعاليات اهتمامنا، حيث إنها تمكننا للعمل مع الولايات المتحدة بشكل أكثر فاعلية لحماية وتعزيز مصالح شعوب الدول النامية. فى سياق الديناميات الاقتصادية - الاجتماعية للمجتمع الأمريكى وتأثيرها على سياسة الدولة، فإن إحدى القضايا المهمة

التى تستحق دراسة جادة، هى العلاقة بين حالة اقتصاد الدولة واستجابة الناخبين لها من خلال صندوق الاقتراع. تقول الحكمة التقليدية إنه فى حالة عمل الاقتصاد تحت ولاية رئيس أمريكى معين، بأداء جيد للغاية بشكل متسق لعدد من السنوات من خلال إحداث نمو مهم بحيث يكون ذلك مرتبطًا بتحقيق معدلات منخفضة للبطالة، مثل ما حدث فى وقت الانتخابات الرئاسية، فإن الناس سيكونون سعداء بأدائه، وعلى هذا فإن أغلبية حقيقية من الناخبين ستفضل هذا النمط من الإدارة الاقتصادية المقتدرة وسترغب فى استمرارها[٤]. ولهذا فهم غالبًا ما يكونون واثقين من موقفهم إزاء دعم محاولة الرئيس لإعادة الانتخاب أو مرشح حزبه للقيام بالعمل فى الانتخابات الرئاسية التالية، وأن الرئيس الحالى أو مرشح الحزب سيفوز بانتخابات منصب الرئيس بسهولة. وبالتالى، فإن الحزب سيحتفظ بمنصب البيت الأبيض بفضل التصويت بالثقة من قبل الناخبين بسبب الأداء الناجح للاقتصاد.

بالمنطق ذاته، إذا ما تساوت العوامل الأخرى، فإن العكس سيكون صحيحًا إذا كان الأداء الاقتصادى يسير على نحو هزيل تحت حكم إدارة معينة.

على الرغم من ذلك، فإن نتائج الانتخابات الأمريكية عام ٢٠٠٠م قد تحدت هذه الحكمة التقليدية. على الرغم من أن أداء الاقتصاد الأمريكى كان جيدًا للغاية خلال الأعوام الثمانية ١٩٩٢ـ ٢٠٠٠م، وهى فترة إدارة كلينتون ـ جور، فإن جور نائب الرئيس فشل فى الحصول على التأييد الواسع لجمهور الناخبين الذى كان من الممكن أن يسمح له بانتصار حاسم على منافسه بوش محافظ تكساس. انتهى هذا الصراع، على العكس من ذلك، بكونه أكثر سباقات الانتخابات الرئاسية نزاعًا فى التاريخ الأمريكى، كاشفًا عن سلسلة من الأحداث التى قادت فى النهاية لإعلان فوز السيد بوش بالمقعد الرئاسى.

فى انتخابات عام ٢٠٠٠م حصل جور على عدد كلى للأصوات يبلغ ٥٠,١ مليون صوت انتخابى شعبى فى مقابل ٤٩,٨ صوت شعبى لبوش. إن هذا يمنح جور بالكاد زيادة ٠,٣ مليون صوت شعبى[٥]. من وجهة نظر صلاحية الحكمة التقليدية، ليست القضية أن جور حصل على أغلبية طفيفة على بوش، وإنما أننا اكتشفنا مشكلة كبيرة فى حالة جور حينما حاولنا التأكد من علاقته بالحكمة التقليدية. كانت مشكلة جور فى

فشله الواضح فى أن يتقدم بالأغلبية فى استطلاعات الرأى على بوش خلال فترة الحملة الانتخابية الطويلة والساخنة، وذلك على الرغم من الأداء الرفيع المستوى للاقتصاد الأمريكى خلال أعوام كلينتون ـ جور، بينما حافظ بوش على تصعيد ضغط حملته الانتخابية، موضحًا دوما أن المحافظ هو على الأقل بديل مساو لنائب الرئيس.

كان على الناخبين فى انتخابات ٢٠٠٠م أن يجيبوا عن سؤال واحد بسيط: هل عليهم أن يمنحوا صوتهم لصالح نائب الرئيس الذى كان يعمل بمهارة وكفاءة عالية مع الرئيس لجلب ثمانية أعوام من النمو الاقتصادى والازدهار والمكانة الرفيعة على المستوى العالمى للبلاد أم لا؟ من الواضح أنه على الرغم من الاقتصاد المزدهر، فإن جور فشل فى جذب نسبة كبيرة من الناخبين بشكل حاسم لصالحه.

أحاول هنا أن أقوم بدراسة حالة للولايات المتحدة بهدف تحليل السبب وراء فشل الاقتصاد الناجح والمستقر فى تعبئة مساندة واسعة النطاق بين الناخبين لصالح السيد جور، كما كان ينبغى أن تكون الحال فى ضوء الحكمة التقليدية.

فكرة ما وراء الاقتصاد

ما وراء الاقتصاد هو ظاهرة تبدو حينما يدرك شخص أو أعضاء فى مجتمع (أوجماعة) القضايا والعوامل المتعلقة بحقيقة كبرى. هذه الحقيقة الكبرى تبدو علاوة على ذلك، أنها بعيدة للغاية عن الواقع الاقتصادى الحالى. من الحقيقى، كقاعدة عامة، أن الحقيقة الاقتصادية فى الحياة اليومية هى التى تحدد القرارات المنطقية الخاصة والجماعية للفرد، والتى تؤثر على المظاهر الأخرى من الحياة. على الرغم من ذلك، ففى بعض الأحيان، يغير الوعى بالواقع الأكبر هذه المعادلة، ويظهر هناك حس جديد بالتناسب. إن حس التناسب الجديد هذا لا ينكر أهمية الواقع الاقتصادى، ولكن الإدراك يحدث هنا على أساس أنه طالما يتعلق الأمر بمشروع أو مخطط أكبر فى التحليل النهائى، فإن الواقع الأكبر يتجاوز الواقع الاقتصادى. ويمكن فلسفيًا أن نسمى هذا الوعى بالواقع الأكبر بما وراء الاقتصاد، الذى يهتم بوجهات النظر المتخطية الاقتصاد للواقع الأكبر. نحن نقدم مصطلح ما وراء الاقتصاد[٦] هنا ليوازى ما يحمله مصطلح

ما وراء الطبيعة من معنى. ينبثق ما وراء الاقتصاد حينما يبدأ هذا الوعى بالواقع الأكبر بالتأثير على قرارات المواطن الفرد الخاصة والجماعية ذات الطبيعة الاقتصادية(٧).

ويناقش هذا التحليل فكرة أنه بمجرد أن شعر الناخبون الأمريكيون بالرضا عن أداء الاقتصاد الأمريكي، وأنه لن يسبب مشاكل كبيرة فى المستقبل المنظور بغض النظر عمن يكون الرئيس عام ٢٠٠٠م، فإن اختيارهم للرئيس التالى قد وقع تحت تأثير ما أسميته بما وراء الاقتصاد. من وجهة نظرهم، كان للنظام بعض المشاكل الخطيرة وأن حل تلك المشاكل يعتمد بشكل ملحوظ على شخصية وقيم الشخص الذى سيكون الرئيس القادم للولايات المتحدة. ولهذا فإنه بالنسبة لنصف الناخبين الأمريكيين (تقريبًا)، لم يعد الاقتصاد هو العامل الحاسم الكبير فى انتخابات عام ٢٠٠٠م، ولكن على العكس من ذلك كانت القضية هى ما وراء الاقتصاد.

يعطينا القسم التالى لمحة سريعة عن انتخابات الرئاسة الأمريكية خلال المائة عام الأخيرة (١٨٩٦-١٩٩٦م). لقد اخترنا هذه الفترة؛ لأنه فى الستينيات من القرن التاسع عشر مر المجتمع الأمريكى بتجربة الحرب الأهلية الدموية. وبعد الحرب الأهلية، استمرت قضايا الوفاق فى السيطرة على السياسات الأمريكية لمدة طويلة نسبيًا. وكانت أن هدأت الأمور عند انعقاد انتخابات عام ١٨٩٦م.

وعلى هذا فإن تحليلنا يبدأ من تلك الانتخابات. سنقوم بالتركيز على العوامل الحاسمة التى لعبت دورًا حاسمًا فى اختيار الناخبين لرؤسائهم فى فترة المائة عام قيد المراجعة هنا.

إننا نعترف بشكل كامل بأنه، فى أى انتخابات رئاسية، فإن الناخبين فى أى دائرة انتخابية لهم أسباب قلقهم ورؤاهم الخاصة فى القضايا والمرشحين، وأن قرار منح صوت لمرشح يقع تحت تأثير مجموعة من العوامل والاعتبارات. على الرغم من ذلك، نبحث فى هذا التحليل - بشكل أساسى - فى إمكانية تحقق الحكمة التقليدية فى مقابل أن يصبح ما وراء الاقتصاد العامل الرئيسى المؤثر على الشعور العام للناخبين فى اختيارهم للمرشح الرئاسى. فى هذا المنحى نأخذ منهجًا ديناميًا ونعطى رؤية عامة مختصرة للعوامل المسئولة عن نتائج الانتخابات الرئاسية الماضية، مستخدمين هذا الفهم فى التركيز على القوى المسئولة عن نتيجة الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٠م.

الانتخابات الرئاسية الأمريكية ١٨٩٦-١٩٩٦ ـ منظور تاريخى

سيجد القارئ فى هذا القسم تفسيراً موجزاً للغاية، حيث إن غرضنا هنا هو وضع المعلومات بشكل منظورى. ينحصر تركيزنا هنا على الانتخابات التى جاءت نتيجتها ضد الحزب السياسى للرئيس الموجود.

١ ـ **انتخابات عام ١٨٩٦م**: خسر الديمقراطيون بسبب ضعف الأداء الاقتصادى[٨]. فيما بين عامى ١٨٩٢ ـ ١٨٩٦م كان الديمقراطى جروفر كليفلاند، فى منصب الرئيس. كان يؤمن بسياسة الاقتصاد الحر وكان يتصور دوراً غير نشط للحكومة. كان صغار المزارعين وعامة الناس يعانون من قبضة احتكارات نقل السكك الحديدية، ورجال الأعمال الكبرى وكبار المزارعين، الذين كانوا يتعاونون مع بعضهم البعض. لقد ساءت الأمور وبدأ الذعر فى عام ١٨٩٣م، الأمر الذى أدى إلى إفلاس العديد من شركات نقل السكك الحديدية، وكان نتيجة ذلك انهيار بورصة الأوراق المالية والنظام البنكى. ولهذا أصبحت حالة الاقتصاد فى ١٨٩٦م عام الانتخابات الرئاسية هى القضية الأساسية، ولعبت دوراً سلبيًا بالنسبة للحزب الديمقراطى. وبالتالى خسر الديمقراطيون البيت الأبيض، حيث فاز به ويليام ماكنيلى، المرشح الرئاسى الجمهورى، وذلك بهامش كبير من الأصوات الانتخابية. احتفظ الجمهوريون بالبيت الأبيض فى انتخابات ١٩٠٠، ١٩٠٤، ١٩٠٨م وذلك بفضل الإدارة الناجحة للاقتصاد من خلال تنظيم تلك الاحتكارات.

٢ ـ **انتخابات عام ١٩١٢م**: خسر الجمهوريون بسبب معالجتهم قضية الاحتكارات بطريقة لم تحظ برضا المواطنين[٩]. فى انتخابات ١٩١٢م الرئاسية انتقد المرشح الديمقراطى وودروويلسون منهج الجمهوريين فى تنظيم قضية الاحتكارات. جادل بأن هذا التنظيم، من ناحية المبدأ، قد سمح للاحتكارات بالوجود والاستمرار فى استغلال الجماهير. وفى المقابل دعا إلى تعزيز التنافس للقضاء على الاحتكارات. لاقت رسالة ويلسون الإصلاحية دعمًا شعبيًا، الأمر الذى أدى إلى فوزه فى انتخابات ١٩١٢م بأغلبية كبيرة من الأصوات الانتخابية. وأعيد انتخابه فى عام ١٩١٦م.

٣ ـ **انتخابات عام ١٩٢٠م**: خسر الديمقراطيون الانتخابات بسبب ضعف الاقتصاد[١٠]. واجه الاقتصاد الأمريكى فى فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى

مشكلات مثل التضخم، البطالة، عدم استقرار علاقات العمل وأعمال التمرد العرقية، مما سبب في انعدام شعبية الإدارة الديمقراطية. وعد المرشح الجمهوري وارن هاردنج بـ «العودة إلى الحالة السوية» وفاز بالانتخابات. لقد نجح الجمهوريون في إدارة الاقتصاد بشكل جيد، مما أدى إلى احتفاظهم بالبيت الأبيض خلال عشرينيات القرن العشرين. في عام ١٩٢٨م فاز الجمهوري هربرت هوڤر بالانتخابات الرئاسية، ولكن في السنة الأولى لرئاسته حدث الكساد العظيم.

٤ ـ **انتخابات عام ١٩٣٢م**: خسر الجمهوريون بسبب الكساد العظيم(١١). وعد المرشح الديمقراطي فرانكلين روزڤلت بـ «اتفاقية جديدة» لإنعاش الاقتصاد من الكساد، ومعاقبة هوڤر الرئيس الجمهوري في ذلك الوقت. مكن نجاح الاتفاقية الجديدة الديموقراطيين من الاحتفاظ بالبيت الأبيض على مدى عقدين كاملين (١٩٣٢ ـ ١٩٥٢).

٥ ـ **انتخابات عام ١٩٥٢م**: خسر الديمقراطيون بسبب ما وراء الاقتصاد(١٢). بعد الحرب العالمية الثانية ظهرت الولايات المتحدة بوصفها القوة العظمى الوحيدة في العالم. توقع الأمريكيون أن يحل السلام والهدوء في البلاد، إلا أن ذلك لم يحدث. في عام ١٩٤٩م اشتعلت الحرب الباردة، حيث وقع الجزء الرئيسي من الصين تحت قبضة الشيوعيين وقام الاتحاد السوڤييتي باختبار قنبلته النووية. كان هناك أيضًا تهديد منا جانب الحركة الشيوعية الداخلية المخربة داخل الولايات المتحدة. لقد شعر الأمريكيون أن الإدارة الديمقراطية لترومان، لكونها ليبرالية، لم تكن حازمة بشكل كاف مع الأمريكيين الشيوعيين. وقد أجبر غزو كوريا الجنوبية عام ١٩٥٠م بواسطة الشمال الشيوعي، أمريكا على التدخل عسكريًا، مسفرًا عن مقتل وجرح ١٤٠ ألف أمريكي. جعلت كل تلك التطورات الأمريكيين يشعرون بالإحباط، وفي انتخابات عام ١٩٥٢م الرئاسية منحوا صوتهم لأيزنهاور الجمهوري وريتشارد نيكسون كنائب رئيس له. احتفظ أيزنهاور بالرئاسة في انتخابات عام ١٩٥٦م.

٦ ـ **انتخابات عام ١٩٦٠م**: خسر الجمهوريون بسبب ما وراء الاقتصاد(١٣). لم تتقاسم كل فئات المجتمع الأمريكي الازدهار والثراء الذي تحقق في خمسينيات القرن العشرين. كان هناك أفارقة أمريكيون وفقراء من البيض الذين استبعدوا جانبًا على الهامش. مرت حوالي مائة عام منذ أن ألغى أبراهام لينكولن العبودية، وعلى الرغم

من ذلك، ما زال الأمريكيون الأفارقة يعدون مواطنين من الدرجة الثانية على أفضل تقدير. لقد جاء الوقت لكي يعترضوا ويطالبوا بمكانهم الصحيح في المجتمع. على الرغم من النمو والازدهار اللذين تحققا في عقد الخمسينيات، فإن الكثير من الأمريكيين أرادوا إحداث تغير اجتماعي في عقد الستينات. لقد رشح الجمهوريون ريتشارد نيكسون ولكنه خسر لصالح الديمقراطي جون. إف. كنيدي الذي كان يؤيد التغيير وتعهد للأمة بـ «حدود جديدة».

٧ـ **انتخابات عام ١٩٦٨م**: خسر الديمقراطيون بسبب ما وراء الاقتصاد[١٤]. كان عقد الستينيات مضطربًا، فقد شهد حرب ڤيتنام وتمرد الطلبة وثقافة المخدرات، وأعمال التمرد العرقية، ثم اغتيال جون وروبرت كنيدي والدكتور مارتن لوثر كينج. بلغت كراهية الناس للحكومة درجة شديدة للغاية، حتى أن ليندون جونسون الرئيس الأمريكي في ذلك الوقت انسحب من محاولة إعادة الانتخاب لعام ١٩٦٨م. قام الجمهوريون بترشيح ريتشارد نيكسون الذي وعد بإحلال السلام والعودة إلى قيم الطبقة الوسطى. أعيد انتخاب نيكسون لفترة رئاسة ثانية في عام ١٩٧٢م.

٨ـ **انتخابات عام ١٩٧٦م**: خسر الجمهوريون بسبب أزمة الثقة في القيادة السياسية (وهو مثال على ما وراء الاقتصاد)[١٥] أعيد انتخاب نيكسون عام ١٩٧٢م ولكنه تسبب في عدم استقرار المسيرة السياسية خلال الحملة الانتخابية بمؤامرة ووترجيت(*). أولاً: قدم نائبه سپيرو أجنيو استقالته بسبب سوء الأداء المالي وتهم الرشوة. وحل محله چيرالد فورد. ثم أجبر نيكسون نفسه على الاستقالة بسبب فضيحة ووترجيت، واحتل چيرالد فورد نفسه منصب الرئيس. توقع الناس من فورد أن يعيد المصداقية لمنصب الرئيس. ولكن، وبعد مرور شهر واحد على توليه منصب الرئيس، صدم فورد الأمة بسبب منحه العفو الكامل والتام لنيكسون. ولقد أثار ذلك العديد من التساؤلات حول مصداقية فورد ذاته. وفي انتخابات عام ١٩٧٦م وعد چيمي كارتر، الديمقراطي والمحافظ السابق لچورچيا، بتنظيف واشنطن من الفساد، وتحت هذا الشعار حاز على مؤازرة الأمة. لقد هزم كارتر الرئيس فورد.

(*) كانت الفضيحة التي أطاحت بالرئيس نيكسون هي تنصت جهاز حكومي على مقر الحزب الديمقراطي، وحاول الرئيس تعطيل التحقيق في ذلك، فأصبحت تهمته تعطيل سير العدالة، واضطر للاستقالة قبل توجيه التهمة له رسميا ـ المترجمة.

٩ ـ انتخابات عام ١٩٨٠م: خسر الديمقراطيون بسبب ما وراء الاقتصاد(١٦). واجهت رئاسة كارتر أزمات واحدة تلو الأخرى، بدءًا بأسعار الطاقة المرتفعة والركود والتضخم والضرائب المرتفعة، والغزو السوڤييتى لأفغانستان، وقرار الولايات المتحدة لدعم شاه إيران الذى لم يكن يحظى بشعبية، وانتهاءً بأزمة الرهائن الأمريكيين فى إيران. عدم قدرة كارتر على حل أى من تلك المشاكل، بالإضافة إلى المشكلة الموجودة أصلاً وهى نقص الثقة فى القيادة، بينما وعد رونالد ريجان الجمهورى بإحداث انتعاش اقتصادى واستعادة مكانة أمريكا فى العالم. فاز ريجان فى انتخابات عام ١٩٨٠م وأنقذ الاقتصاد الأمريكى ثم أعيد انتخابه فى عام ١٩٨٤م، وأنهى فترته الانتخابية الثانية فى عام ١٩٨٨م تحت سحب الشك فى تورط البيت الأبيض فى الأنشطة السرية لتحقيق أهداف السياسة الخارجية. لقد عرفت هذه الفضيحة بفضيحة إيران كونترا، وكان من شأنها أن عمقت من أزمة الثقة فى القيادة السياسية(١٧). وبعد ريجان، انتخب نائبه چورج بوش كرئيس عام ١٩٨٨م.

١٠ ـ انتخابات عام ١٩٩٢م: خسر الجمهوريون بسبب فترة الركود الاقتصادى(١٨). فى دورته الانتخابية الأولى، وعد السيد بوش بعدم زيادة الضرائب، ولكن بعد انتخابه دفعه الواقع إلى رفع الضرائب. وعلى الرغم من ذلك، فقد تصاعدت شعبيته عام ١٩٩١م حينما استخدم مهاراته الديپلوماسية بنجاح لتجميع التأييد العالمى لعملية «عاصفة الصحراء» لمعاقبة صدام حسين على الغزو العراقى للكويت. ولكن بدأت مرحلة الركود والتى أسفرت عن انحدار فى شعبيته، مما أدى إلى خسارته لانتخابات الرئاسية الأمريكية عام ١٩٩٢م لصالح الديمقراطى بيل كلينتون. كان بيل كلينتون الرئيس الديمقراطى الأول فى مدة نصف قرن، بعد فرانكلين روزڤلت، الذى يعاد انتخابه لمنصب الرئيس.

الاقتصاد المزدهر وما وراء الاقتصاد ـ خلاصة سريعة

ناقشنا فى مستهل هذه الدراسة أنه بشكل عام، وفقًا للحكمة التقليدية، تعتمد نتيجة الانتخابات الرئاسية على حالة الاقتصاد. يدعم العرض السابق للانتخابات الرئاسية الأمريكية فى خلال فترة المائة عام (١٨٩٦-١٩٩٦م) بشكل أوسع تلك الحكمة

التقليدية، حيث بالفعل فى أغلب الأوقات كان أداء الاقتصاد واحدًا من العوامل الرئيسية فى تقرير مصائر الآمال الرئاسية. على الرغم من ذلك، فإنها توضح أيضًا أنه خلال المائة عام الأخيرة، فإن الحكمة التقليدية لم تحترم فى عدد من المناسبات. كان هناك أوقات حينما وجد الرئيس، على الرغم من الوصول إلى مناخ اقتصادى صحى، أن أمزجة الناخبين لم تعد لصالح إعادة انتخابه أو انتخاب مرشح حزبه السياسى لمنصب الرئيس. وكلما نشأت مثل هذه الحالة، كان السبب هو العوامل التى تكمن فى ما وراء الاقتصاد (القلق بشأن الأهداف العليا). نجد عددًا قليلاً جدًا من الأمثلة على تلك الأحداث خلال فترة المائة عام التى استعرضناها فيما سبق. على سبيل المثال فى عام ١٩٥٢م، كان هارى ترومان الرئيس الأمريكى الديمقراطى فى ذلك الوقت، مجبرًا لإعلان أنه لن يسعى لإعادة الانتخاب.

إن هذا القرار كان بسبب النفوذ الطاغى للعوامل المنتمية لما وراء الاقتصاد، والتى تركت انطباعاً على الرئيس بأن الشعب الأمريكى قد طوّر إدراكًا بأن قيادة الديمقراطيين لم تكن قادرة على التعامل مع السيناريو الناشئ والخاص بالحرب الكونية الباردة بشكل مرض، على سبيل المثال عدم قدرة الإدارة على الحفاظ على مكانة الولايات المتحدة بوصفها القوة العظمى الرئيسية فى العالم. ثبت صحة تقدير ترومان لأمزجة الناخبين حينما فشل المرشح الديمقراطى أدلاى ستيفنسون بشكل حاسم فى الانتخابات الرئاسية لعام ١٩٥٢م لصالح الجمهورى أيزنهاور. لم يكن الاقتصاد العامل الحاسم والمسيطر الذى قرر نتيجة انتخابات عام ١٩٥٢م ولكن ما وراء الاقتصاد. وبشكل مشابه، على الرغم من التحديث والنمو والسلام والازدهار الذى تم على نحو فذ فى الأعوام الثمانية لإدارة أيزنهاور، فلم يكن الاقتصاد، ولكن بشكل رئيسى عوامل ما وراء الاقتصاد، هى ما قررت نتيجة الانتخابات الرئاسية لعام ١٩٦٠م. على الرغم من التقدم الاقتصادى، لم يكن هناك تقدم اجتماعى مواز. بالنسبة لقضية التقدم الاجتماعى، كان هناك انقسام حاد صامت فى المجتمع. كأن عدد هؤلاء الذين أرادوا الاحتفاظ بالوضع الراهن، تقريبًا مساويًا لهؤلاء الذين أرادوا إحداث تغيير لصالح التقدم الاجتماعى. وعد كنيدى، المرشح الديمقراطى للرئاسة بإحداث تغيير وفاز بالرئاسة بهامش ضئيل من الأصوات الشعبية على نيكسون، الذى كان مؤيدًا للإبقاء على الوضع الراهن. كان نيكسون نائب الرئيس أيزنهاور لمدة ثمانية أعوام، وبهذه الصفة

ساهم فى السياسات التى أكسبت الولايات المتحدة مسمى «مجتمع الوفرة». على الرغم من ذلك، ففى انتخابات عام ١٩٦٠م لم يكن الاقتصاد، ولكن ما وراء الاقتصاد هو ما قرر النتيجة. فى الانتخابات الأولى فى فترة ما بعد ووترجيت، أسفرت العوامل التى تنتمى لما وراء الاقتصاد والمتمثلة فى الفضيحة عن هزيمة فورد، والذى كان يشغل منصب الرئيس الأمريكى فى ذلك الوقت. ومرة أخرى لعب ما وراء الاقتصاد دوراً رئيسيًا فى الانتخابات الأولى فى مرحلة ما بعد فضيحة مونيكا لوينسكى، وكان الضحية هو آل جور نائب الرئيس الأمريكى.

لقد جعل جور من الاقتصاد القضية الأساسية، وانتهز كل فرصة ممكنة لتذكير الناس بأنه الوحيد الذى سيكون قادراً على الاستمرار فى تحقيق أداء اقتصادى مبهر، والذى أصبح العلامة الأساسية على فريق كلينتون ـ جور. على الرغم من ذلك، فإن تلك الفكرة الأساسية لم تحظ بذلك القدر من الاستجابة الحماسية من جمهور الناخبين الذى كان قد توقعه جور. وقد أثار ذلك العديد من التساؤلات ـ ما هو البعد الذى اتخذه ما وراء الاقتصاد بحيث غيّر وعى مثل هذا العدد الكبير من الناخبين فيما يخص الأولويات المجتمعية؟ كيف تسبب فى الإضرار بترشيح جور للرئاسة؟وكيف تم تدبير ذلك خلال حملة الانتخابات؟ إن هذه الأسئلة مهمة لعدد من الأسباب، وسوف نحاول الإجابة عنها فى الأقسام التالية من الكتاب.

الانتخابات الأمريكية لعام ٢٠٠٠م ـ سياسات الوسطية

أحد التساؤلات الملغزة التى نشأت من السباق الأمريكى الرئاسى لعام ٢٠٠٠م هو لماذا أسفر السباق عن فارق ضئيل للغاية، لدرجة أن السباق الرئاسى قد تحدد فى النهاية بهامش يبلغ عدداً قليلاً من مئات الأصوات الانتخابية فى ولاية فلوريدا؟ أحد العوامل التى جعلت هذا السباق متعادل النتائج، كان السياسات الوسطية لكلا المرشحين. على الرغم من أن بوش محافظ وجور ليبرالى، فقد نجح كلاهما فى تقديم البرامج السياسية للحزب التى كان من شأنها أن قسمت الأمة الأمريكية إلى نصفين. بالنسبة للقضايا الأيديولوچية المثيرة (كالإجهاض، مراقبة الأسلحة، الشذوذ الجنسى، الضرائب... إلخ) فلم يتخذ أىٌّ منهما موقفًا متطرفًا، بالتأكيد، حاول كل منهما أن يتخذ موقفًا وسطًا.

خذ على سبيل المثال قضية البيئة. لقد ساند بوش إحداث انخفاض كبير فى الضرائب بالنسبة لاستخدام الإيثانول (وهو بديل للوقود)، ولكنه أيد أيضًا افتتاح محمية ألاسكا للكشف عن الغاز والبترول، وعارض اتفاقية كيوتو. أما آل جور فقد ساند إحداث انخفاض كبير فى الضرائب بالنسبة للبيوت، السيارات والأعمال صديقة البيئة، وساند المحافظة على الحياة البرية فى القطب الشمالى لألاسكا، واتفاقية كيوتو. وهنا نرى أنه على الرغم من أن جور ليبرالى، فلم يكن حازمًا فى شأن الأعمال والصناعات التى كانت تسبب الكثير من التلوث. وبدلاً من ذلك، اتخذ موقفًا وسطًا، مسببًا غضب الديمقراطيين المدافعين عن البيئة. ولهذا السبب صوّت الديمقراطيون المدافعون عن البيئة بشكل قوى لصالح مرشح حزب الأخضر رالف نادر، مسببًا لكمة مهلكة لتطلعات السيد جور الرئاسية.

أما بالنسبة لقضية الشذوذ الجنسى، فإن المرء يتوقع أنه بسبب أن «بوش» من المحافظين فإنه سيؤيد حظرًا كليًا على الشواذ لدخول القوات المسلحة للولايات المتحدة. على الرغم من ذلك، وفى تحد للموقف اليمينى، اتخذ موقفًا وسطيًا بسماحه للمؤسسة العسكرية أن تتبع سياسة «لا تسأل، لا تخبر». وكنتيجة لذلك أصبح الشواذ قادرين على الاستمرار فى خدمة القوات المسلحة الأمريكية. وقد اتخذ جور موقفًا لصالح السماح للشواذ بالخدمة بشكل صريح فى القوات المسلحة.

وفيما يتعلق بحيازة الأسلحة، دعم بوش تفعيل العمل بالقوانين الجارية لمراقبة الأسلحة، إدخال أقفال على الأسلحة الصغيرة لضمان أمان الأطفال، على أن يحدث ذلك بشكل طوعى، والتحقق من الخلفية الشخصية، ومعارض الأسلحة. على الرغم من ذلك عارض تسجيل قومى لحيازة الأسلحة. دعم جور التحقق من الخلفية الشخصية ومعارض الأسلحة، وترخيص قومى للأسلحة الصغيرة، ودعم بقوة وضع أقفال على الأسلحة الصغيرة لضمان أمان الأطفال وذلك بشكل إجبارى. قد يتوقع المرء أنه ربما لأن جور ليبرالى فإنه سيدافع عن تشريع أكثر حزمًا فيما يخص الحيازة غير المرخصة للأسلحة الصغيرة إما بإعلان أنها غير قانونية أو بجعلها تخضع لشروط شديدة الحزم، ولكنه فى هذه القضية، مثل بوش، اتخذ موقفًا وسطيًا.

اقترح بوش انخفاضًا فى الضرائب قدره ١,٣ تريليون دولار أمريكى على مدى عشرة أعوام، نظام مبسط للضرائب على الدخل، زيادة الائتمان المخصص للأطفال،

والإنهاء التدريجي للضرائب على الممتلكات. كما دعم جور أيضا خفض الضرائب، لمبلغ قدره ٥٠٠ بليون دولار أمريكي على مدى عشر سنوات لصالح الفقراء بشكل أساسي والطبقة الوسطى. لقد اقترح أيضًا زيادة الائتمان مع ضريبة الدخل المكتسب بالنسبة للأسر الكبيرة، وانخفاض الضرائب على التعليم الجامعي. كان الخفض الذى اقترحه بوش يحمل طابعًا محافظًا مثل الإنهاء التدريجي للضريبة على الممتلكات التى كانت لصالح الأغنياء، الذين هم غالبًا ملاك الأراضي. على الرغم من ذلك، فإن الزيادة التى اقترحها فى ائتمان الأطفال كان تحركًا باتجاه الوسط، حيث إن الفقراء لديهم عدد أكبر من الأطفال. أما الخفض الضريبي لجور فقد حمل روحًا أكثر ليبرالية، مؤيدًا مصلحة الجماعات ذات الدخل المتوسط والمنخفض.

عارض بوش الإجهاض فيما عدا حالات الاغتصاب، سفاح القربى، أو لإنقاذ حياة النساء، كما دعم أيضا حظر الإجهاض فى وقت متأخر. طالب الاتجاه المحافظ أن يحظر بوش وبشكل حازم الإجهاض فى وقت مبكر. وبدلاً من ذلك، اتخذ موقفًا وسطًا من خلال حظر الإجهاض فى وقت متأخر فقط. أيد جور حق المرأة فى الإجهاض فى كل الظروف وعارض أيضًا الحظر على الإجهاض فى وقت متأخر[١٩].

لقد قدّم كلٌّ منهما عمليًا برامج سياسية وسطية للناخبين. هدف تلك الاستراتيچية الوسطية هو تحقيق أقل درجات الجدال مع الناخبين المستقلين والمعتدلين أيديولوچيا، مع الاحتفاظ فى الوقت ذاته بأفكارهما الأيديولوچية الأساسية.

***

لعبة الأرقام

فيما يخص الانتخابات الأمريكية، طبقا للدستور الأمريكي، لا تعد أغلبية الصوت الانتخابي الشعبي لمرشح ما أمرًا حاسمًا. ولكي ينتخب كرئيس للولايات المتحدة، فإن المرشح الفائز لا بد أن يكون له أغلبية أصوات فى المجمع الانتخابي (فى سباق ذى اتجاهين، على الأقل ٢٧٠ من ٥٣٨ مجموع الأصوات الانتخابية)[٢٠]. فى عام ١٨٦٠م انقسم السباق الرئاسي بين أربعة مرشحين رئاسيين، إبراهام لينكولن احتفظ بأقل من ٤٠ بالمائة من الأصوات الشعبية، ولكنه فاز بالرئاسة لأنه كان قد حصل على

أغلبية أصوات المجمع الانتخابى[٢١]. فى انتخابات عام ٢٠٠٠، حيث إن تعداد الأصوات الانتخابية فى فلوريدا ظل محل نزاع، فإن عدد أصوات المجمع الانتخابى لجور قد توقف عند ٢٦٧ فى مقابل ٢٤٦ لبوش. من سيفوز بولاية فلوريدا كان سيحصل على كل أصواتها الانتخابية الخمسة والعشرين، ويحصل على الدرجة الدستورية المطلوبة والتى تبلغ ٢٧٠ صوت انتخابى لكى يصبح الرئيس الثالث والأربعين للولايات المتحدة. فى هذه الانتخابات عانى جور من بعض الانتكاسات الخطيرة.

أولاً: كان هناك انطباع بأن المحكمة الأمريكية العليا قد صوّتت على أساس اتجاه الحزب لصالح چورچ بوش الابن[٢٢]. ثانيًا: كان هناك عامل مهم يتعلق برالف نادر. فإن لم يكن نادر قد انتزع من جور أصوات الديمقراطيين المدافعين عن البيئة فى فلوريدا ونيوهامپشير، لكان جور سيصبح الفائز بوضوح حتى بدون الدعوى القضائية لإعادة تعداد الأصوات الانتخابية فى فلوريدا، وكان سيفوز بالرئاسة. يتضح ذلك من حقيقة هزيمة جور فى تلك الولايتين أمام بوش بهامش أقل من عدد الأصوات التى حصل عليها نادر. أظهرت النتائج الرسمية العامة لانتخابات عام ٢٠٠٠م[٢٣] أنه فى نيوهامپشير خسر جور أمام بوش بعدد ٧,٢١١ من الأصوات الانتخابية، بينما فى الولاية ذاتها حصل نادر على إجمالى ٢٢,١٩٨ صوت انتخابى. كان الأمر الأكثر مدعاة للسخرية فى فلوريدا، حيث طبقًا للتعداد الرسمى، خسر جور أمام بوش بهامش ضيق قدره ٥٣٧ من الأصوات الانتخابية الشعبية، بينما حصل نادر على ٩٧,٤٨٨. لولاية نيوهامپشير أربعة أصوات انتخابية بينما فلوريدا لها خمسة وعشرون صوتًا. الأصوات التى حصل عليها نادر كانت بشكل أساسى أصواتًا ديمقراطية، ولهذا فإن تحولهم لحزب الخضر قد تحول إلى صفعة مميتة لجور، لأن السباق الرئاسى كان متقاربًا[٢٤].

تظهر كل المناقشات السابقة أن انتخابات عام ٢٠٠٠م كانت بالفعل انتخابات متقاربة، وبالنسبة للكثيرين كان يمكن لجور أن يكون الفائز الأصلى، لولا الظروف التى عكست النتيجة لصالح بوش. على الرغم من ذلك، فإن المشكلة الخاصة بهذا النوع من التحليلات هى أنها ترتكز بشكل كامل على ما هو واضح وتصل إلى نتيجة

ترتكز على الأحداث وهى تحدث بالفعل، بينما تتجاهل بشكل كلى الدوافع التى أنتجت مثل تلك الأحداث والتى انتهت إلى إنتاج الأرقام التى قمنا بالإشارة إليها. يعجز التحليل السابق عن تعريف سبب حدوث مثل هذا التقارب فى السباق الرئاسى بين المرشحين، وأيضا الأسباب التى جعلت جور يفشل فى الحصول على العدد المطلوب من الأصوات الانتخابية. يتطلب فهم هذه القضية وجهة نظر عامة للخلفية التاريخية للمشكلة، والتى سنناقشها فى الفصل التالى.

***

الفصل الثانى

التمــــرد الجنوبى ضد جور

حصل جور، طبقًا للنتائج الرسمية العامة للانتخابات الرئاسية الأمريكية[٢٥] لعام ٢٠٠٠م، على ٤٨,٣٨ فى المائة من الأصوات الشعبية و٢٦٦ صوت انتخابى. من الناحية الأخرى، فى انتخاباته الرئاسية الأولى، حصل كلينتون على ٤٣,٠١ فقط من الأصوات الشعبية، ولكن على الرغم من ذلك، فقد حصد من المجمع الانتخابى ٣٧٠ صوتًا[٢٦]. فى إعادة انتخابه عام ١٩٩٦م، زاد تعداد الأصوات الشعبية لكلينتون إلى ٤٩,٢٤ بالمائة بينما زادت أصوات المجمع الانتخابى إلى ٣٧٩ صوتًا[٢٧]. بيّن هذا تناقضًا حادًا للنسبة المئوية التى حصل عليها جور فيما يخص الأصوات الشعبية وهى ٤٨,٣٨، عن ٢٦٦ صوت انتخابى فقط فى عام ٢٠٠٠م. ولهذا فإن المشكلة وراء فشل جور تعد أكثر عمقًا من قضية البطاقات الانتخابية الفاسدة أوالحكم الذى أصدرته المحكمة العليا، أواللعبة الظاهرة للأرقام، أوعامل المرشح المستقل رالف نادر. وإنما تنشأ المشكلة من الخريطة الإقليمية، والثقافية، والأيديولوچية للولايات المتحدة، كما سنناقشها فيما يلى.

فشلت حملة جور فى الوصول إلى مدى أوسع من الأمريكيين ذوى الآراء المتباينة فى عدد من القضايا. فى حملته لعام ١٩٩٦م، فاز بيل كلينتون بإجمالى ٣١ ولاية بالإضافة إلى مقاطعة كولومبيا (واشنطن دى. سى.). فى عام ٢٠٠٠م، نجح جور فى الفوز فى عشرين ولاية فقط، بالإضافة إلى واشنطن دى. سى، ويبقى عدد إجمالى من الولايات يبلغ ١١ ولاية فاز بها كلينتون عام ١٩٩٦م، ولكن فشل جور فى الفوز بها فى عام ٢٠٠٠م، تلك الولايات الإحدى عشرة هى أريزونا (٨)، أركانسو (٦)، فلوريدا (٢٥)، كنتاكى (٨)، لويزيانا (٩)، ميسورى (١١)، نيڤادا (٤)، نيوهامپشير (٤)، أوهايو (٢١) ويست ڤيرچينيا (٥)، وولاية الأم للسيد جور، تينيسى (١١). الأرقام التى بين الأقواس هنا تماثل أرقام أصوات المجمع الانتخابى للولاية. يبلغ العدد الإجمالى للأصوات فى كل تلك الولايات الإحدى عشرة ١١٢ صوت.

ينبغى على المرء أن يتذكر أن معظم تلك الولايات تقع فى الجزء الجنوبى من الولايات المتحدة، وتقع إما فى منطقة «حزام الكتاب المقدس - The Bible Belt»أو فى منطقة «حزام الشمس - Sun Belt» من البلاد. تُعرف تلك المناطق تقليديًا باتجاهها المحافظ، كما أن منطقة حزام الكتاب المقدس هى مركز البروتستانتية الأصولية والإيفانجليكية. الأمريكيون فى تلك المناطق لهم توجهات أسرية، ويؤمنون بقوة بالقيم التقليدية وبالشخصية ذات الأخلاق الحسنة[٢٨].

وقد أوضح تقرير بأنه فى انتخابات عام ٢٠٠٠م، صوّت حوالى ٥٦٪ من البروتستانت لصالح بوش، بينما صوت ٤٢٪ منهم فقط لصالح جور[٢٩].

لقد نجح بوش فى الفوز بكل الولايات الإحدى عشرة السابقة، التى صوتت فى عام ١٩٩٦م لصالح كلينتون. وكل الولايات التسع عشرة التى كانت قد صوّتت من قبل لصالح المرشح الرئاسى الجمهورى بوب دول فى عام ١٩٩٦م بقيت وبشكل حازم فى المعسكر الجمهورى وصوّتت لصالح بوش عام ٢٠٠٠م. كونت تلك الولايات الثلاثين (١٩+١١) بنكًا من الأصوات المحافظة الموحدة لصالح بوش. يوضح هذا ضعف جور الخطير فى جبهتين استراتيجيتين. أولاً، فشله فى الاحتفاظ بالإحدى عشرة ولاية (من إحدى وثلاثين ولاية)، والتى كانت قد صوتت لصالح الديمقراطيين فى الانتخابات الرئاسية لعام ١٩٩٦م. ثانيًا، فشله فى انتزاع ولاية واحدة من (١٩ ولاية)، تلك التى صوّتت لصالح الجمهوريين فى عام ١٩٩٦م.

من الواضح الآن أن السبب فى النتيجة غير المفضلة للانتخابات بالنسبة لجور هو أكثر عمقًا وتجذرًا فى تغير مزاج الأمريكيين بعد انتخابات عام ١٩٩٦م. يساعدنا التحليل السابق فى تأسيس حقيقة أن المناطق التى فيها أغلبية السكان متدينون، ويحملون قيمًا تقليدية ويعتبرون الأخلاق قيمة مهمة فى الشخصية، قد تمردوا ضد جور. وبهذا النوع من الانقسام يصبح من الواضح أنه بالإضافة إلى مهارات الإدارة الاقتصادية والديبلوماسية، فإن هؤلاء الناخبين كانوا يستخدمون نوعًا ما من المعايير الأخلاقية عند اتخاذ قرارهم بالتصويت للرئيس فى انتخابات عام ٢٠٠٠م.

ويمكن القول بأنه مثل الانتخابات الأولى التى تلت ووترجيت، فى انتخابات عام ٢٠٠٠م الرئاسية لم يكن الكثير من الأمريكيين مهتمين فقط بقدرة المرشحين لإدارة

الاقتصاد بشكل كفء. لقد أراد الناخبون أن يكون هناك شيء ما أكثر من ذلك، وبشكل خاص إيمان المرشح والتزامه الصريح بالقيم الأخلاقية فيما يتعلق بشخصيته الفردية وأخلاقيات الحكم، والتى أدرك الناخبون أنها أمر حاسم لمن يتولى منصب رئاسة الأمة. ليس هناك من شك فى حقيقة أن الأمريكيين فى النصف الثانى من القرن العشرين استمتعوا بثمار النموالاقتصادى ونجاح السياسات الداخلية والخارجية بدرجات متنوعة، تحت حكم رؤساء مختلفين. ولكن حقيقة الأمر أن بعض هؤلاء الرؤساء قد انتهى بهم الأمر بإحباط الأمة بطريقة أو بأخرى. يكمن وراء ذلك امتناع الناخبين عن تجديد تفويضهم لحزبهم فى المرة التالية. وقد حدث الأمر ذاته بالنسبة للنتيجة التى واجهها جور فى محاولة وصوله للبيت الأبيض فى عام ٢٠٠٠م. يرجع السبب وراء ذلك إلى تمرد الجنوب المحافظ الذى كان يسعى نحوقيم معينة فى شخصية الرئيس، حيث إن منصب الرئيس قد فقد مصداقيته والثقة المنوطة به فى السنوات الأخيرة.

حملة جور الانتخابية لعام ٢٠٠٠م وقضية الثقة فى القيادة السياسية

تحطم إيمان الأمريكيين بزعمائهم من خلال سلسلة من الفضائح خلال النصف الثانى من القرن العشرين. شمل ذلك حرب ڤيتنام وفضيحة وترجيت والعفوعن نيكسون الذى صدر عن خليفته فورد، وفشل كارتر فى الاستجابة بشكل كفء على الغزوالسوڤييتى لأفغانستان، وأزمة الرهائن فى إيران، وأخيرًا انحطاط منصب الرئيس من خلال شخصية الرئيس كلينتون. فى هذا السياق من ذكريات الفضائح الرئاسية فى الماضى القريب والتى استحوذت على الأمريكيين، كان السيد جور يقدم نفسه بوصفه الرئيس القادم لأمة قد تمزقت ثقتها فى زعمائها السابقين. بوصفه مرشحًا رئاسيًا، فإنه الآن يطلب من الأمة أن تظهر ثقتها به. على الرغم من ذلك، فإن صمته خلال التحقيقات والإجراءات الخاصة بقضية مونيكا لوينسكى قد تسببا فى اضمحلال ثقة الأمريكيين به. عرضت سياسة الصمت تلك أمانته للشبهة فى عيون الناخبين. بعد فوز جور بترشيح الحزب الديمقراطى كمرشح الحزب الرئاسى لانتخابات عام ٢٠٠٠م، ظل تقديره منخفضًا فى استطلاعات الرأى فى مقابل منافسه الديمقراطى چورچ دبليو. بوش. لقد أدرك أن ذلك كان بسبب نقص الثقة فى قيادته السياسية، والتى

وجدت مرجعية لها فى صمته إزاء فضيحة لوينسكى. لقد حاول أن يعوض هذا العيب من خلال إبعاد نفسه عن كلينتون خلال الحملة، واختيار جو ليبرمان كمرشح لنائب الرئيس.

أدى الاختيار الذكى للسيد جور باختيار نائبه إلى تخفيف حدة هزيمته أمام بوش. فمن خلال تعيين سيناتور كونكتكت المعتدل جوزيف ليبرمان، وهو ناقد ديمقراطى بارز لسلوك كلينتون في علاقته بمونيكا لوينسكى، أبعد جور نفسه عن الفضائح الرئاسية التى أسدلت ستارة يشوبها الكثير من القبح على السباق الرئاسى لعام ٢٠٠٠م.

أضاف وضع ليبرمان كأول يهودى فى لائحة مرشحى الحزب الرئيسية نوعًا من الجرأة لحملة جور الذى يوصف بكونه حذرًا ومدققًا فى حساباته[٣٠].

كان السيناتور ليبرمان الديمقراطى أول من انتقد الرئيس كلينتون بمجرد أن تم الكشف عن علاقته الغرامية بمونيكا لوينسكى، وكان له سجل مشهود بالأمانة، حيث كان ليبرمان قد نشر مؤخراً أيضًا كتابه «فى الثناء على المنصب العام» وفى هذا الكتاب كان شديد الانتقاد لكلينتون فيما يتعلق بعلاقته بمونيكا. لقد اعتقد جور أن اختياره لليبرمان سوف يسترضى هؤلاء الناخبين الذين اعتراهم القلق بشان مسألة المصداقية. كتبت مجلة التايم تعليقًا على اختيار جور لليبرمان فى سياق علاقة مونيكا لوينسكى:

«بقيام جور بغربلة قائمته الخاصة بمرشحى نواب الرئاسة المتوقعين فى الشهر الماضى، كان هناك على الأقل ديمقراطى بارز يرتعش من فكرة أن جوليبرمان قد يحصل على الموافقة. لقد أثنى بيل كلينتون على الاختيار بعد حدوثه، ولكن فى حقيقة الأمر شجبه بشكل شخصى، ذاكراً كيف أن كتاب ليبرمان الأخير، قد تسبب فى تقريعه على نحو كبير. («قصة كلينتون ـ لوينسكى»، كتب ليبرمان، «هى أكثر الأمثلة حيوية على فيروس فقدان المعايير»). لقد أخبر كلينتون أصدقاءه كم أصابه الضيق والضجر بتظاهر ليبرمان بالتقوى. ذكر الرئيس مشيراً لخطاب السيناتور الشهير فى عام ١٩٩٨م والذى أدان فيه سلوك كلينتون، ألم يحن الوقت له أن يهدأ قليلاً؟»[٣١].

لقد كان أمل جور أن اختياره ليبرمان كمرشح لمنصب نائب الرئيس، سيسد الفجوة بينه وبين المحافظ بوش، وبالفعل حدث ذلك. بعدما انضم السيناتور ليبرمان إلى جور

على لائحة المرشحين للحزب، أظهرت استطلاعات الرأى أن توليفة جور ـ ليبرمان قد استطاعت أن تضيق الفجوة أمام بوش.

كان السباق الرئاسى بين جور وبوش محموماً مع مقدم يوم العمل Labor Day (الاثنين الأول من سبتمبر) كعلامة فارقة. أظهرت استطلاعات يوم العمل أن شعبية بوش وصلت إلى ٤٧٪ فى مقابل ٤٦٪ لـ «جور». دون الإشارة لشىء آخر، أشارت أرقام يوم العمل بشكل واضح إلى أنه على الرغم من السجل الرائع للأداء الاقتصادى الممتاز لصالح جور على مدى ثمانية أعوام هى مدة حكم كلينتون ـ جور، ومع وقوف ليبرمان إلى جانبه، فإن جور ظل عاجزاً عن كسر ذلك الحاجز غير المرئى ليتجاوز بشكل حازم بوش(٣٢).

الأرض الموعودة ـ وعد جور غير المقنع

كانت الفكرة الرئيسية فى حملة جور، تدور حول الاقتصاد. لقد أراد أن يجعل الناس يدركون أنه (بالتعاون مع الرئيس كلينتون) كانا بمثابة الثنائى المعمارى الذى تفنن فى الإتيان بذلك الازدهار الاقتصادى العظيم الذى تمتعوا به خلال فترة حكم كلينتون ـ جور التى بلغت ثمانية أعوام، وأنه من بين المرشحين للرئاسة فإنه الوحيد المؤهل، حينما يتعلق الأمر بالخبرة والمهارات، والرؤية الاستشرافية للاستمرار فى هذه المعجزة الاقتصادية. لقد لخصت صحيفة الوول ستريت الآسيوية تركيز حملة جور كما يلى:

«أصدر السيد جور، من جانبه، كتباً مليئة بالأفكار لكى تستمر مسيرة السلام والازدهار التى نعم بها الناخبون خلال الإدارة الديمقراطية التى كان جزءاً منها»(٣٣).

كانت عدم مقدرة بوش فى التعامل مع الاقتصاد فكرة مهمة بالنسبة لحملة جور: «إن جور، ٥٢ عاماً، والمعروف بقيادته للسياسات المعقدة، هو من أجاب أن بوش ليس مستعداً ولا مؤهلاً لقيادة القوة العظمى الوحيدة فى العالم. «إن الازدهار على المحك»، قال جور، محذرا بأن فوز بوش سوف يعنى العودة إلى العجز فى الميزانية، البطالة والتضخم»(٣٤).

فى الحقيقة، لكونه نائب رئيس، كان جور له الحق فى ادعاء صناعة الازدهار والنجاح على مدى ثمانى سنوات (١٩٩٢-٢٠٠٠م) على يد الإدارة الديمقراطية.

على الرغم من ذلك، فإن ادعاءه بأنه الوحيد القادر على فعل ذلك، والتركيز على عدم استطاعة بوش ذلك، كان أمراً مبالغًا فيه للغاية. وقد أفاد تقرير بأن الناخبين الأمريكيين كانوا يرفضون أن يصدقوا ادعاءات جور المفعمة بالأمل فى هذا الموضوع الحرج:

«كانت الكثير من جهود حملة جور فى تلك الأيام القريبة تقوم على إلقاء الشكوك على خبرة بوش واستعداده للبيت الأبيض. كشف استطلاع الرأى الجديد أن جمهور الناخبين يحمل بداخله شكوكًا حول كلا الرجلين الذين فى القيادة. بينما قال ٤١٪ فقط إنهم يشعرون بالارتياح إزاء معرفة بوش وقدرته على القيام بدور الرئيس، كان هناك ٤٠٪ فقط عبروا عن الارتياح إزاء جور»[٣٥].

من الواضح الآن أن التركيز الأحادى الجانب لحملة جور، والتى أظهرت جور بوصفه الخبير الوحيد فى الإدارة الاقتصادية، لم يكن له أى تأثير فى تغيير مفهوم الناخبين عنه وعن منافسه.

الأرض الموعودة فى مقابل القائد الواعد

كشف تقرير للناخبين فى يوم العمل (سبتمبر ٢٠٠٠م) والذى اقتبست الوول ستريت جورنال الآسيوية فقرات منه فى ليلة الانتخابات، أن قلق الناخبين الرئيسى لم يكن الاقتصاد، ولكن استعادة قيم الأسرة والقيم الأخلاقية بشكل عام. كان ذلك يعنى ضمنيًا أن الناخبين كانوا أكثر ميلاً للتصويت لصالح معيار تكامل شخصية المرشح أكثر من قدرته الفائقة على الإدارة الاقتصادية:

اختصاراً للقول، يقول بوش للناخبين كيف سيكون بوش حينما يفوز بالرئاسة، أما جور فيؤكد على ما سوف يقدمه. إن المزايا السياسية لهاتين الرسالتين المتضادتين قد انعكست فى استطلاع الرأى الجديد الذى ارتكز على آراء ٠٢٦ , ١ من الناخبين. تقدم بوش الطفيف فيما يتعلق بعدد الناخبين يمكن أن يجد تفسيراً فيما كشف عنه التقرير، بأن أكثر الأمريكيين يعتقدون أن الأولوية الكبرى للرئيس التالى ينبغى أن تكون استعادة

الأخلاق وقيم الأسرة، بينما هناك أغلبية ضئيلة تعبر عن شكوكها فى جور. ولكن النتائج أبدت رد فعل عنيف فيما يتعلق بالسؤال عن المدى الذى وصلت إليه ثقة الناخبين بالنسبة لقدرة كلا الرجلين على إدارة عملية النمو الاقتصادى. فى هذه الحالة كان لجور الأفضلية. قايض الأمريكيون، بطريقة ما، ـ كما صنعوا من قبل ـ بين السياسات والشخصيات عند اختيار رؤسائهم: تمامًا مثلما كان للرئيس السابق رونالد ريجان شعبية أكثر من تلك التى حظيت بها سياساته، فإن سياسات الرئيس بيل كلينتون كانت أكثر شعبية من كلينتون ذاته[٣٦].

الفكرة الرئيسية فى حملة بوش ـ قيادة موثوق بها

لم يكن الاقتصاد هو الموضوع الذى ركز بوش عليه بشدة فى حملته الانتخابية، وإنما كان تركيزه على الشخصية وملامح الرئيس المقبل للولايات المتحدة. لقد كان دائمًا ما يذكّر الناخبين بموضوع الأخلاق، الثقة والأمانة، بوصفها مكونات مهمة فى شخصية من يقود البلاد:

قدّم بوش نفسه منذ بداية السباق الرئاسى، بوصفه القائد الذى يمكن للأمريكيين أن يودعوا ثقتهم به، «القائد الذى يقوم بتوحيد الصفوف لا تفريقها»، من يستطيع أن ينطلق من تكساس لكى يقوم «ببداية جديدة بعد موسم من الشك»[٣٧]. ولسوء الحظ بالنسبة لجور، فى انتخابات عام ٢٠٠٠م كانت الأمانة، والمصداقية، والثقة فى القيادة السياسية، هى المعيار المحورى بالنسبة للناخبين فى اختيارهم للرئيس التالى. وكان السبب فى ذلك قضية مونيكا لوينسكى، والتى أظهرت بشكل واضح ضعف شخصيته بطرق عديدة. أصبح العديد من الأمريكيين أكثر وعيًا بدور القيم الأخلاقية فى اختيارهم للرئيس التالى، وذلك كرد فعل لأزمة الثقة فى القيادة السياسية. وبشكل تصادفى؛ لأن الاقتصاد كان فى حالة جيدة فى وقت إجراء الانتخابات، فإن الأمريكيين استطاعوا أن يضعوا الاقتصاد فى مرتبة ثانوية. وبذلك أعطوا أولوية أعلى للصفات الأخلاقية لشخصية الرئيس القادم. ولتلك الأسباب الاستراتيجية، كان تركيز حملة بوش على الشخصية الأخلاقية وأمانة العمل كسمات للرئيس المقبل. من الناحية الأخرى، كان جور فى موقف صعب للغاية حينما يتم تقديره من خلال تلك

المعايير (الشخصية الأخلاقية، والأمانة فى العمل) حيث إنه «. . . كان يعانى من الذنب بسبب ارتباطه بفضائح كلينتون، دون أن يمنح الثقة التى يستحقها بسبب اشتراكه فى تحقيق الإنجازات الاقتصادية للبلاد»[٣٨].

مشكلة جور: مطلعًا صعبًا مع تركيز خاطئ

لسوء الحظ، لم يدرك معسكر جور الأهمية الحرجة لقضية «الأمانة فى العمل» فى عقول الناخبين فى الأسابيع القليلة الأخيرة من الحملة الانتخابية. لقد رجحوا كفة ديناميات يوم العمل والمناظرات التليفزيونية، معتقدين أن سمعة ليبرمان كرجل معهود بالأمانة كانت كافية لعزل الحملة عن أية أوجه للقلق قد ترد فى عقول الناخبين حول قضية الأمانة. كان هذا الافتراض تبسيطًا مبالغًا فيه كلف جور غاليا كما أثبتت الأحداث فيما بعد.

كان الخطأ الرئيسى الذى ارتكبه معسكر جور، هو أنهم صدقوا ظنهم المأمول بأن أمانته فى العمل لم تكن قضية يقلقون بشأنها. لقد أدركوا هذه الفكرة بوصفها حقيقة، خاصة حينما لم يبرز معسكر بوش هذه القضية خلال أى فترة من الحملة. تمثل الخطأ الآخر لمعسكر جور فى اعتمادهم المبالغ فيه على استراتيجية لإقناع الناخبين بأن مرشحهم هو الوحيد القادر على الإتيان بالمعجزة الاقتصادية، والتى كانت العلامة الكبرى لإدارة كلينتون ـ جور. لقد حاولوا رسم صورة لبوش بوصفه شخصًا ما قد يكون قادرًا على إدارة الحكم فى تكساس لكن ليس لديه القدرة على إدارة أكبر اقتصاد فى العالم.

ولكن هذا الخط الجدلى كان يحمل بداخله بذور التناقض، على الأقل لأن تكساس هى ثانى أكبر ولاية فى الاتحاد الأمريكى، كما كان لكلينتون قبل مجيئه إلى واشنطن خبرة إدارة ولاية أركانسو فقط، والتى تعد ولاية أصغر بكثير من تكساس.

فى الحقيقة، يبدو أن الناخبين الأمريكيين خلال الانتخابات الأمريكية لعام ٢٠٠٠م، اعتبروا فترة الاستقرار والازدهار الاقتصادى هى أكثر الفترات ملاءمة بالنسبة للمجتمع لتهيئته للقيم الأخلاقية العليا، واستخدموا العملية الانتخابية لتحقيق ذلك. حقيقة الأمر هى أنه حدث تغيير فيما بين الأجيال فى المجتمع الأمريكى خلال

العقدين الأخيرين فى القرن العشرين. أصبح الأمريكيون الذين لديهم خبرة وذكريات عن المآسى التى حدثت إبان الكساد العظيم يشكلون، مع مرور العقود، نسبة أقل من السكان من خلال الموت الطبيعى. اليوم، فإن أغلبية الأعضاء النشطين سياسيا والمؤثرين اجتماعيًا وفكريًا، هم ممن لديهم ذكريات حية عن حرب ڤيتنام، ووترجيت... إلخ. كما جادل بذلك ماك ويليامز، وجاء كاقتباس فى كتاب ميلر وشانكس «الناخب الأمريكى الجديد»:

«حتى وقت قريب، كانت الذاكرة بمثابة قلعة «ديمقراطية»، مستدعية الكساد العظيم والحرب العالمية الثانية، وأيام المجد فى عصر روزفلت، وفى الجنوب حيث خبت الذاكرة بشكل أكثر بطئًا بالمقارنة بالشمال الأمريكى، مبقية فى الذاكرة التراث الطويل لعملية إعادة البناء [بعد الحرب الأهلية]. الآن، تلك الذكريات القديمة تتحول فى الهدوء إلى همسات، فاقدة اتصالها بالحياة السياسية المعاصرة، وبشكل خاص حينما جرحت من قبل التغيير ووسائل الإعلام، فإن ذاكرتنا السياسية آخذة فى الانكماش مع مرور الوقت. وبشكل متزايد، فإن استعادة الأحداث الماضية سياسيًا فى أمريكا تتركز على ڤيتنام، وعدم الاستقرار الذى صاحب الليبرالية الأخلاقية فى الستينيات، والركود والتضخم وانحدار سيادة أمريكا»[٣٩].

ولهذا فإن الكثير من الناخبين الأمريكيين المهتمين بالحملة الرئاسية لعام ٢٠٠٠م، كان لديهم قائمة طويلة من خيانات الثقة التى ارتكبها زعماؤهم. وكان على رأس تلك القائمة تجارب مثل ڤيتنام، ووترجيت، فضيحة إيران كونترا، العلاقة الغرامية بمونيكا لوينسكى، إلخ. كان جور نائب الرئيس لثمانية أعوام، وقد بقى صامتًا خلال الفترة الحرجة التى حدثت فيها التحقيقات الخاصة بـ«لوينسكى». أى نوع من الرؤساء سوف يكون إذن؟ هل يمكن الوثوق به؟

فى انتخابات عام ٢٠٠٠م، كان لدى نسبة ضخمة من الناخبين الأمريكيين الرغبة فى انتخاب رئيس يمكن الوثوق به، رغم كونه أقل مهارة فى إدارة الاقتصاد فى مقابل آخر أكثر مهارة فى الإدارة الاقتصادية ولا يمكن معرفة قيمه الخاصة.

كان لدى العديد من الناخبين وجهات نظر دينية ومحافظة، وبشكل خاص فى منطقة حزام الكتاب المقدس، يتوقعون أن يظهر زعماؤهم الأمانة فى العمل وموجبات

الثقة من خلال اتخاذ موقف حازم وواضح إزاء مثل تلك الفضيحة. مثل هؤلاء الناخبين قد لا يستطيعون تقدير حكمة صمت جور إبان قضية مونيكا لوينسكى. على الرغم من كونهم مقتنعين بمهارات جور فى الإدارة الاقتصادية، فربما رأى هؤلاء الناخبون صمته على الفضيحة كواحدة من أكبر نقاط ضعفه، ولهذا فقد لا يقومون بانتخابه. لقد كان ذلك تمامًا هو سبب وجود حاجة استراتيجية لجور لأن يواجه قضية موقفه فى الفضيحة المذكورة بشكل مباشر وشجاع، وأن يشرح موقفه بوضوح للناخبين لكى يزيل أى شكوك فى عقولهم حول أمانته فى العمل.

هفوات جور البسيطة والتراشق بقضية الأمانة

ظهرت فى الجزء الأخير من الحملة سلسلة من الهفوات البسيطة من قبل جور، والتى جعلت من مسألة أمانة المرشح قضية كبيرة، وفيما يلى بعض الأمثلة على تلك الهفوات:

١ ـ فى نهاية سبتمبر ٢٠٠٠م، قارن نائب الرئيس بين ما تتناوله حماته من أدوية لعلاج التهاب المفاصل وتلك التى يتناولها كلبه. أثر الغضب والانتقاد الناجمين عن تلك المقارنة على صورته ووضعاه فى موقف المدافع[٤٠].

٢ ـ فى إحدى المرات قال لجمهور الناخبين إن «... والدته اعتادت أن تغنى له أغنية مهدهدة متناغمة القوافى حينما كان فى السابعة والعشرين من عمره». وحينما تزايدت الشكوك حول مصداقية تلك العبارة، قال إنه كان يمزح[٤١].

٣ ـ وبعد حادثة الهدهدة تلك بوقت قصير، موجهًا حديثه بشأن مسألة ارتفاع أسعار البترول، اقترح أن على الولايات المتحدة أن تفرج عن البترول من احتياطيات البترول الاستراتيجية لديها. لقد جادل بأن ذلك من شأنه أن يخفض من تكلفة زيوت التدفئة المنزلية والجازولين. لم يكن هذا التصريح فقط يمثل ارتدادًا عن موقفه السابق، وإنما سمح أيضا للجمهوريين لأن يصنفوه كمستغل وماكر سياسيًا، يمكنه أن يقول أى شىء ليفوز بالانتخابات. لقد صعدت هذه الحادثة قضية الأمانة فى العمل إلى مستويات جديدة من القلق فى عقول الناس[٤٢].

٤ ـ فى المناظرة التليفزيونية الأولى، أنكر نائب الرئيس أنه جعل مؤهلات بوش وقدرته على أن يكون رئيسًا موضعًا للتساؤل، وهو أمر قد فعله جور بوضوح على مدى حملته الانتخابية. وفى نهاية المناظرة ذاتها ارتكب جور أخطاءً فى بعض التصريحات الأخرى(٤٣).

بوش وقضية الأمانة: استراتيجية الضوضاء الصامتة

لم يبرز المحافظ بوش قضية أمانة نائب الرئيس بشكل مباشر وصريح خلال حملته الانتخابية. لقد منحه ذلك ثلاث ميزات كبرى: أولاً: لو قام بإبراز هذه القضية بشكل صريح، فإن ذلك كان سيعطى جور الفرصة للدفاع عن نفسه وتوضيح موقفه، وبالتالى إقناع الناخبين بوجهة نظره كنائب رئيس، بينما كانت البلاد تمر بأزمة فضيحة مونيكا لوينسكى. ثانيًا: عدم إبراز القضية بشكل واضح، وضع بوش فى منزلة أخلاقية أعلى فى عيون الناخبين، حيث أعطاهم انطباعًا أنه على الرغم من أن بوش كان فى منزلة أعلى من مكانة جور الضعيفة، فإنه لم يرد أن يسدد له ضربة لأنه لم يرد أن ينال مكسبًا من وراء ضعف منافسه. وثالثًا: جعل ذلك جور يخمن حول مدى فعالية وإيجابية دور الرئيس كلينتون فى دعم حملة نائبه. ولهذا فحينما يحين الوقت لاستخدام هالة وسحر الرئاسة لجذب الناخبين والدولارات، فإن جور هنا أقرب ما يكون للعب دور «هاملت». ولقد مثل ذلك نجاحًا عظيمًا لحملة بوش حيث إنها قامت بتحييد الدعم الذى قدمه كلينتون والمشهور بديناميته، وسحره، وقدرته على جمع حشود الناخبين من حوله لنائبه فى محاولته للوصول لمقعد البيت الأبيض.

إن القول بأن بوش لم يظهر قضية الأمانة هوقول مغلوط بشكل كبير ومن شأنه أن ينتقص من صحة تحاليلنا العلمية. فى الحقيقة، فإن بوش بعدم إثارته للقضية بشكل واضح، قد انتهى به الأمر باستخدامها بشكل مؤثر لتحطيم مصداقية نائب الرئيس فى عقول الناخبين. على الرغم من ذلك، فقد استخدم تلك المسألة إما بشكل موارب فى رسائل ضمنية، حيث يمكن للناخبين أن يقرأوا رسالته فيما بين السطور، أوفى بعض الأحيان يستخدمها بشكل أكثر مباشرة من خلال الأفعال والرموز فقط لتذكير الناس أنه

فى اختيارهم للرئيس المقبل ينبغى عليهم أيضًا أن يأخذوا فى الحسبان مصداقية المرشح. وهنا بعض التعبيرات غير المباشرة التى وظفها بوش لنقل تلك الرسالة:

١ - حينما سئل ما الذى تحتاجه البلاد لزيادة اشتراك الناخبين؟ أجاب ببساطة: «إنها تحتاج من يقول الحق أثناء توليه منصبًا حكوميًا»[٤٤].

٢ - فى نهاية الأسبوع الأخير، وعند كل توقف، كان بوش ينهى خطبه المتحدية بالطريقة ذاتها منذ العام الماضى - بنكتة ساخرة تضحك جمهور الناخبين وتستدعى للذهن فضيحة كلينتون دون الإشارة إليها. رافعا يده اليمنى، كان بوش يقسم أنه لن يقوم فقط بإعلاء قوانين الدولة ولكن أيضاً - لإحراز الإطراء عليه - للإعلاء من شأن الشرف والأمانة فى العمل فيما يتعلق بالمنصب الرئاسى، «فليساعدنى الله»[٤٥].

وهكذا استخدم المحافظ بوش مسألة معيار الأمانة بشكل فعال للغاية لتذكير الناخبين بأهمية التفريق بينه وبين جور على هذا الأساس حينما يحين الوقت لتقرير من الذى سيمنحونه صوتهم الانتخابى. لقد فعل ذلك بأسلوب رفيع ومتسق من خلال «ضوضائه الصامتة»[٤٦].

أتت تلك الإشارات الموحية والمتكررة التى وجهها بوش فى مسألة أهلية الثقة ومصداقية الزعامة السياسية بثمارها أخيرًا وأثرت على موقف جور بشكل سلبى.

فى الثامن عشر من أكتوبر، قبل الانتخابات بثلاثة أسابيع فقط، أشارت وول ستريت جورنال الآسيوية إلى نتائج بحث ميدانى:

يذكر الآن ٤٣٪ إلى ٣١٪ من جموع الناخبين بأن «استعادة الأخلاق وقيم الأسرة» ينبغى أن تكون لها أولوية أعلى فيما يتعلق بالرئيس التالى بالمقارنة بـ «الاحتفاظ بالنموالاقتصادى». مثل ذلك ارتدادًا عن آراء الناخبين فى الشهر السابق، حيث كان النمو الاقتصادى يتفوق بهامش ٤٤٪ إلى ٣٦٪[٤٧].

استنتاجات وتعليقات

يظهر تحليلنا أنه كقاعدة عامة، تسود الحكمة التقليدية بشكل عام، حيث تحدد حالة الاقتصاد في وقت الانتخابات مزاج الناخبين، وبالتالي احتمالات إعادة انتخاب الرئيس الحالي أومرشح حزبه لمنصب البيت الأبيض. وحتى إن كان الرئيس الحالي بطلاً عظيمًا، فإن هذا البطل يحكم عليه بالإخفاق في محاولة إعادة انتخابه إذا كان الناس يعانون من البطالة والأعمال في حالة إفلاس. وهذا ما حدث تمامًا للرئيس جورج بوش الأب في محاولة إعادة انتخابه أمام كلينتون عام ١٩٩٢م. بعد نجاح عملية عاصفة الصحراء، أصبح جورج بوش بطلاً بالنسبة للأمريكيين وكانت شعبيته تعلو في استطلاعات الرأي مع نهاية عام ١٩٩١م. لوكانت الانتخابات الرئاسية عقدت في ذلك الوقت، فإنه كان سيتم إعادة انتخابه بسهولة. إلا أن الركود كان قد بدأ حينئذ، وقد أسفر هذا الانكماش في الاقتصاد الأمريكي عن سقوط البطل، حيث خسر بوش أمام كلينتون. ومن الناحية الأخرى، تحقيق ازدهار اقتصادي ومعدلات منخفضة من البطالة والتضخم والسياسات الداخلية والخارجية الناجحة ضرورية للرئيس، ولكنها ليست كافية للفوز بالانتخابات الرئاسية التالية إذا أصبحت عوامل ما وراء الاقتصاد نقطة فاصلة.

تنشأ ظاهرة ما وراء الاقتصاد بعدة طرق: إما أن تكون عملية بطيئة وتدريجية ناجمة عن تفكير ما، دون أي مثير خارجي، مثلما حدث في انتخابات عام ١٩٦٠م الرئاسية حينما أدى الازدهار الاقتصادي في الخمسينيات تحت حكم أيزنهاور ـ نيكسون إلى حدوث ذلك التشوق لحدوث تغيير اجتماعي. وبالتالي، فقد هزم الرئيس نيكسون من قبل كنيدي الذي كان يعد بحدود جديدة. أما الطريقة الثانية فتتمثل في أن يقوم مثير خارجي بتنشيط قوى لما وراء الاقتصاد في المجتمع، مثل التهديد الملاحظ للتدمير الشيوعي الذي وصل إلى نسب هستيرية إبان فترة السيناتور ماكارثي ونجح في النهاية في إطلاق غضب الناس، مما نجم عنه هزيمة الديمقراطيين في الانتخابات الرئاسية لعام ١٩٥٢م[٤٨]. وقد تأخذ ظاهرة ما وراء الاقتصاد شكل القضايا المتفجرة، مثل فضيحة مونيكا لوينسكي التي حطمت آمال جور المعقودة على الفوز بانتخابات ٢٠٠٠م. في كل تلك الحالات، كان الأداء الاقتصادي يسير بصورة جيدة، ولكن مرشح حزب الرئيس كان يفشل في كل مرة. لقد كان ذلك أيضًا نتيجة الاقتصاد الناجح خلال

الأعوام الثمانية لفريق كلينتون ـ جور. فى إطار مناخ من الراحة والثقة فى الاستقرار الاقتصادى، أثرت الظروف على الناخبين الأمريكيين بشكل جعلهم يقيمون الرئيس وزملاءه المقربين انطلاقا من المعيار الأخلاقى وليس بمعيار الأداء الاقتصادى المعتاد. ولهذا، تحطمت آمال جور، الذى كان قد بنى قضيته برمتها على أساس وعد الناخبين بمقدرته على الاستمرار فى حماية الاقتصاد بوجهة النظر والمهارات ذاتها، والتى كانت علامة مميزة على إدارة كلينتون ـ جور. درس آخر مهم يمكن تعلمه هنا، هوأنه على الرغم من أن الرئيس كلينتون قد نجا، فإن جور على الناحية الأخرى، والذى كان يأمل فى أن يكون رئيسًا للبلاد، قد دفع الثمن غاليا بسبب صمته إزاء فضيحة لوينسكى. لقد تسببت هذه الفضيحة فى تدمير الثقة فى القيادة السياسية، حيث وصلت لأسوأ حالاتها بعد أن كانت قد ساءت بالفعل منذ فضيحة ووترجيت. وبسبب هذه الأزمة أصبحت الثقة فى القيادة السياسية من الأمور التى تشكل قلقًا فى عقول الناخبين. حتى بوش نفسه لم ينج من قضية الثقة هذه، فقبل يوم الانتخابات بخمسة أيام فقط، سربت بعض الدوائر أنباءً عن القبض على بوش بسبب قيادته لسيارته وهو مخمور عام ١٩٦٧م. إن توقيت إذاعة تلك الأنباء كان حرجًا للغاية حيث لم يكن هناك وقت للتحكم فى أى محاولة تدميرية. كانت المعانى المتضمنة لهذا التسريب خطيرة بشكل مضاعف: أولاً: لأنها كانت تعنى أنه رجل غير مسئول، وثانيًا: أنه لا يمكن الوثوق به، لولا قيام المحافظ بوش بمعالجة هذا الأمر بعناية، لكانت مصداقيته تحولت بسهولة إلى قضية فاصلة، وكانت ستتسبب فى تدمير حملته الانتخابية.

على عكس جور، الذى اختار إما الصمت أو لعب دور «هاملت» على أفضل تقدير فى هذه القضية (بدلاً من مواجهة الأمر بشجاعة وشرح موقفه من قضية لوينسكى)، فإن بوش تولى زمام الأمر جيداً. لقد كان يعلم أن هذا الأمر يغضب الناخبين الملتزمين بأخلاق الأسرة والمثل العليا المحافظة. ولهذا فقد جاء رده شجاعًا. لقد حول الأمر بشكل غير مباشر فى نفس الاتجاه الأخلاقى الذى أدار به حملته كلها. لقد جاء رده بأنه لم يكشف عن هذا الأمر لأنه لم يرد أن تعلم ابنته المراهقة بهذا الأمر.

«إننى لا أريدها أن تشرب الخمر وهى تقود السيارة. لقد كان قراراً قد اتخذته».

ومضى بوش أبعد من ذلك ليكشف عن أنه «نادم لما قد حدث. ولكنه حدث. . . لقد توقفت عن الشرب منذ أربعة عشر عامًا ولم أتناول رشفة واحدة منذ ذلك الحين»(٤٩).

كان الحل الذى اقترحه «بوش» بأنه لم يرد ابنته أن تلتقط تلك العادة السيئة، وتفسيره بأنه لم يقل لأسرته قط عن خطئه، وأنه قد توقف فعليا منذ أربعة عشر عامًا، محاولة منه لأن يؤسس لفكرة أنه لديه القوة الأخلاقية التى تمكنه من التغلب على ضعفه، والآن قد أصبح رجلاً يحترم المبادئ وملتزمًا بإخلاص باحترام ما كان يعظ به. لا بد أن ذلك كان قد مس وتر ملايين من الآباء الأمريكيين المتطلعين إلى إرشاد أبنائهم إلى حياة تؤسس على الشعور بالمسئولية والمبادئ.

يكشف التحليل فى هذا الفصل أن فشل جور فى بناء تفوق مستقر وذى معنى يعود بشكل أساسى إلى مسألة قلق الناخبين بشأن الثقة فى قيادتهم السياسية. لقد تناقصت ثقة الأمريكيين فى زعمائهم بشكل تدريجى منذ حرب ڤيتنام التى دمرت آمال الرئيس جونسون فى إعادة انتخابه لفترة رئاسية ثانية، مجبرة إياه للانسحاب من السباق الرئاسى. لقد ظن الناس أنه ربما بعد ووترجيت لن يقوى أى رئيس على إساءة استخدام سلطاته، أو المجد والهالة المحيطة بمنصبه، ولكن فضيحة مونيكا لوينسكى قد أثبتت أنهم كانوا مخطئين تمامًا. لم تسفر التحقيقات الخاصة بووترجيت فقط عن استقالة الرئيس نيكسون، ولكنها أدت أيضًا إلى فترات عقوبة فى السجن بالنسبة لبعض كبار مستشاريه. لقد ظن الناس أن فترات السجن تلك كانت إشارة إلى أنه فى المستقبل إذا حاول أى رئيس ارتكاب خطأ ما ، فإن المقربين له على الأقل سيكونون من الشجاعة أن ينتقدوه على الفور حتى يتضح موقفهم من القضية(درن أية تحفظات) وحتى يعلم الناس أنهم لم يوافقوا على الأداء الخاطئ. على الرغم من ذلك، فعندما افتضح أمر مونيكا لوينسكى، وطوال مدة التحقيقات، فإن جور نائب الرئيس بدلاً من أن يتخذ موقفًا احتفظ بصمته فى هذه القضية. لقد عبّر جور عن عدم موافقته فقط خلال حملته الانتخابية. سياسة الصمت المحسوب سياسيًا لم يتقبلها الملايين من الأمريكيين، وخاصة هؤلاء المؤمنين بالقيم التقليدية، وقد آذتهم هذه الفضيحة بشكل عميق. يبدو هذا واضحًا من تحليلنا حينما نرى أن الولايات المحافظة الإحدى عشرة

والتى تنتمى لحزام الكتاب المقدس فى الأقاليم الجنوبية ووسط غرب الولايات المتحدة قد تمردت ضد جور وصوّتت لصالح بوش، على الرغم من أن تلك الولايات كانت قد صوّتت لكلينتون عند إعادة انتخابه عام ١٩٩٦م.

تشكل تلك الولايات قلب البروتستانتية الأمريكية والحركة المحافظة فى البلاد. قد يجادل البعض أنه لأن تلك الولايات هى محافظة بشكل طاغ، فإنه من الطبيعى أن يصوتوا لبوش لأنه محافظ مثلهم. ولكن هذا الجدال حينما يتم تقييمه فى علاقته بالواقع، فإنه لا يبدو قويًا، لأن تلك الولايات قد صوّتت لكلينتون ضد القائد الجمهورى بوب دول. على الرغم من ذلك، فإن أمزجتهم قد تغيرت فى انتخابات عام ٢٠٠٠م، حيث لم يكن الاقتصاد فقط معيارهم ولكن بدلاً من ذلك كان ما وراء الاقتصاد (فى هذه الحالة: الثقة بالزعماء)، ولهذا فقد رفضوا التصويت لجور على الرغم من ثقل أوراق اعتماده ومهاراته الفائقة فى إدارة الاقتصاد. من ناحية المبدأ، كانت القوى المحافظة هى التى حولت التيار ضد جور. تلك القوى لها وجهات نظر خاصة فى قضايا المجتمع، وقد أعارت بالتالى، دعمها لبوش من أجل تحقيق رؤية معينة فى المستقبل. وفى إطار وجهة النظر تلك، ترى تلك القوى دوراً أعظم لنفسها فى المجتمع الأمريكى فى التمسك بالقيم الأخلاقية فى ضوء معتقداتهم الدينية والأيديولوچية. إدراكًا منه بإسهامها الكامن فى حل العديد من المشاكل الأخلاقية والاجتماعية، فقد استجاب بوش بشكل سريع. خلال الأسبوعين الأولين من بداية عهده الرئاسى، أسس بوش مكتبًا خاصًا للبيت الأبيض مكرسًا لتشجيع المؤسسات القائمة على الإيمان [الدينى] للعب دور أكبر فى حل المشاكل الاجتماعية فى المجتمع، ومن أجل أن تسعى أيضًا لنيل المعونات الفيدرالية لهذا الغرض. لقد أضاف ذلك بعداً جديداً للدينامية الاجتماعية ـ السياسية فى المجتمع الأمريكى، وكانت بمثابة مؤشر للأمور التى ستأتى تحت رئاسة بوش.

ذكرت الصحف:

«أسس الرئيس چورچ دبليو. بوش بالأمس مكتب فى البيت الأبيض خصيصًا لتشجيع المؤسسات القائمة على أساس الإيمان لتلقى المعونات الفيدرالية لكى تساعد فى حل المشكلات الاجتماعية مثل الإدمان ومشكلة عدم وجود مأوى. و بذلك جلب

بوش على نفسه غضب المدافعين عن الفصل بين الكنيسة والدولة، والذين حذروا أنهم قد يلجأون إلى تحدّ قانونى بناء على أساس دستورى. ظهر بوش بين خمسة وثلاثين قائداً دينيّا، وهويوقع على أمر تنفيذى بإنشاء مكتب البيت الأبيض لمبادرات المجتمع والمؤسسات الدينية. كما قام بتعيين چون ديلوليوأستاذ العلوم السياسية بجامعة پنسلڤانيا كرئيس لها»[٥٠].

ولهذا، فمن الواضح الآن أن القضية المؤكدة فى انتخابات عام ٢٠٠٠م الرئاسية كانت ما وراء الاقتصاد، والتى وجدت جذوراً لها فى أزمة الثقة فى القيادة السياسية. كان من المحتم على استراتيچيات حملة السيد جور أن تستجيب لمطالب الساعة وأن تجد الطرق والوسائل لكى تؤكد للناس أن جور كان بالفعل قائداً جديراً بالثقة. لم يكن مجرد السجل الصحى للتوصل إلى اقتصاد ناجح والوعد بالمحافظة عليه تأثيراً يذكر على أزمة الثقة فى القيادة السياسية التى كانت تعانى منها الأمة لمدة نصف قرن تقريبًا. وهنا كان خطأ حملة جور، حيث انتهى به الأمر لدفع الثمن غاليًا. فى حقيقة الأمر أن ما وراء الاقتصاد فى انتخابات عام ٢٠٠٠م قد وضع حدوداً على نيل الأرباح السياسية من الاقتصاد الأمريكى الناجح. وبالمنطق ذاته، من الصحيح أيضًا ـ أخذاً فى الاعتبار الاقتصاد الناجح ـ إذا ما تم تحقيق أهداف ما وراء الاقتصاد من خلال آليات ما وراء الاقتصاد، فإن المكاسب من وراء الاقتصاد الناجح سوف تكون مرتفعة وطويلة الأمد. يمكن أن نضيف إلى أنه فى الديمقراطية الليبرالية، مثل الولايات المتحدة، حيث هناك فصل واضح بين الكنيسة والدولة، كان للناخبين ذوى القيم الدينية القدرة على التأثير على نتيجة الانتخابات الرئاسية من خلال الاشتراك فى العملية السياسية القومية، من خلال الإطار العلمانى.

تقودنا خلاصة هذا الفصل إلى تساؤل آخر منطقى ولكنه مستفز، بشكل محدد: هل كان ذلك القلق بشأن القيم الأخلاقية تعبيراً طارئًا عن الغضب بسبب فضيحة مونيكا لوينسكى أم أنه سيستمر فى التأثير على السياسات الأمريكية فى المستقبل القريب؟ لقد رأينا فيما سبق أن قضايا الأخلاق والشخصية كانت محورية بسبب الدور الذى لعبه حزام الكتاب المقدس والولايات الجنوبية المحافظة دينيًا فى انتخابات عام ٢٠٠٠م، فلولم يكن الناخبون فى تلك الولايات يعتبرون هذه القضايا محورية،

لاختلفت نتيجة الانتخابات. ولهذا، فللإجابة عن هذا التساؤل بشكل علمى، فمن الملائم لنا أن ننظر بإيجاز إلى الدور الذى لعبته المسيحية فى إثارة القضايا، وإعطاء حلول وإجابات لها. سوف تسمح لنا هذه النظرة بتحديد ـ بشكل مؤكد ـ ما إذا كان القلق بشأن القيم الأخلاقية وقيم الأسرة هو مجرد ظاهرة سريعة الزوال، أم أن هناك بالفعل أجندة اجتماعية وسياسية للجماعات المحفّزة دينيًا فى المجتمع الأمريكى، والتى تسعى للتأثير على / استخدام العملية السياسية لتحقيق أهدافها من خلال التركيز على الدور التاريخى للقوى المثارة دينيًا فى الديناميات الاجتماعية السياسية للبلاد؟.

* * *

المسيحية في أمريكا
خلفية تاريخية موجزة

يبدأ التاريخ الأمريكى الحديث بانفتاح القارة الأمريكية أمام الأوروپيين[٥١]. لقد بدأت باكتشاف كولومبس لأمريكا عام ١٤٩٢م، وهو العام الذى سقط فيه المسلمون فى إسپانيا. كان ذلك زمن الفوضى فى أوروپا حيث كان يعترى الناس القلق بشأن الخلاص - أن يتم إنقاذهم فى الحياة الأبدية. «علم المذهب الكاثوليكى الناس أن الفرد يمكن أن ينقذه إيمانه بالله وكذلك أعمال الفرد الطيبة من خلال عيش حياة فاضلة، مراقبًا الأسرار المقدسة (مثل المعمودية، القداس، الكفارة)، والحج إلى الأماكن المقدسة، والصلاة للمسيح والقديسين»[٥٢]. كان لمسئولى الكنيسة سلطة بيع الغفران أيضًا. المؤمنون الذين كانوا يخافون من العقوبة فى الحياة الآخرة كان يمكنهم شراء الغفران. «. . . كفلت صكوك الغفران بتقصير تلك العقوبة افتراضيًا من خلال استغلال (خزينة الفضيلة) التى تجمعها الأعمال الطيبة للمسيح والقديسين»[٥٣].

تركيز الكنيسة الكاثوليكية على أداء الطقوس والأعمال الطيبة، بالإضافة إلى قدرتها على بيع صكوك الغفران، قد أمداها بسلطة هائلة على المجتمع، إلا أنه قد تم استغلالها بشكل سيئ من قبل موظفى الكنيسة. ولقد تسبب ذلك فى نشأة حركة التحرر من أوهام الكنيسة الكاثوليكية، مما أدى إلى معارضة قادت فى النهاية إلى عملية الإصلاح. كان مارتن لوثر (١٤٨٣-١٥٤٦م) وهو قس ألمانى، وچون كالڤين (١٥٠٩-١٥٦٤م)، وهو محام فرنسى تحول إلى لاهوتى، هما المخططين الرئيسيين فكريًا لأفكار الإصلاح فى ذلك الوقت. يمكن إيجاز تعاليمهما الرئيسية كالتالى:

• مارتن لوثر[٥٤]

١ - الله هو معبود محب ينشر رحمته للإنسانية الآثمة.

٢ ـ الخلاص هو نتيجة للإيمان فقط، والإيمان هو هدية الله الخالصة الثمن للآثمين.

٣ ـ «قدرة المرء على القيام بالأعمال الطيبة، لا يمكن أن يكون سبب الخلاص ولكنه نتيجته. تعرف تلك الفكرة بـ «التبرير عن طريق الإيمان وحده»(٥٥).

٤ ـ أكد لوثر على أن الكنيسة وموظفيها ليسوا معصومين من الخطأ(*)، فقط الكتاب المقدس هو المعصوم»(٥٦).

٥ ـ كانت الكنيسة الكاثوليكية تؤمن بأن «... الخلاص يأتى فقط من خلال الكنيسة ورجال الدين التابعين لها، وهم جماعة مميزة بتوسطها بين الله والناس. أكد لوثر أن كل إنسان لديه السلطة التى يدعيها هؤلاء الكهنة لأنفسهم»(٥٧). أصبحت تلك الفكرة مذهبًا: «كهانة كل المؤمنين».

• جون كالڤين(٥٨)

١ ـ أدرك كالڤين الله بوصفه صاحب السيادة المهيبة، العالم بكل الأمور والذى له مطلق القدرة والقوة المسيطرة على التاريخ الإنسانى، والذى سوف ينتصر فى النهاية على الشيطان. ولإحراز هذا الانتصار، كان كالڤين يعتقد بأن الله قد اختار أناسًا معينين ليكونون بمثابة وكلاء له للإرشاد فى مملكته المقدسة. هؤلاء الناس «القديسون»، أو المختارون ـ قد «قدر» الله لهم الخلاص الأبدى فى السماء(٥٩).

٢ ـ يمكن للمرء أن يعرف إذا ما كان «مختارًا» أم لا من خلال كفاحه لسلك مسالك القديسين. «يتوقع الله أن يعمل من اختارهم من أجل صلاح المجتمع»(٦٠)، وجادل بأن النجاح فى تهذيب النفس والتحكم فيها وإحكام النظام فى حياة الفرد والمجتمع برمته هو مؤشر على أن الفرد يمكن أن يكون بين المختارين.

٣ ـ على العكس من لوثر، الذى اقترح أنه ينبغى على المسيحيين أن يقبلوا النظام الاجتماعى الموجود، دعا كالڤين المسيحيين لأن يكونوا فاعلين، وأن يعيدوا تشكيل المجتمع والحكومة لكى تعمل وفقا للقوانين الإلهية التى وردت فى الكتاب المقدس(٦١).

(*) وفى ذلك أيضًا يختلف اختلافًا جذريًا عن الكاثوليكية التى تعتبر البابا معصومًا، ممثل الله على الأرض، له سلطة التحليل والتحريم ـ المترجمة.

٤ ـ حول كالڤين «مدينة چنيف السويسرية إلى دولة دينية (ثيوقراطية)، حيث ينظم المختارون سلوك وأخلاقيات الجميع»[٦٢]. أصبحت چنيف مركز الإصلاحيين من كل أنحاء العالم. لقد أراد لأوروپا كلها أن تحذو حذو چنيف.

٥ ـ وبشكل معارض للوثر، الذى كان يكتب بشكل رئيسى للألمان، فإن كتاب كالڤين «قوانين الديانة المسيحية (١٥٣٦)»، كان يهدف الوصول لكل المسيحيين[٦٣].

حدث الانقسام الأول فى المسيحية عام ١٠٥٤ فى الانشقاق بين الكنيسة الشرقية بقيادة الإمبراطور البيزنطى، والكنيسة الكاثوليكية الرومانية بقيادة البابا[٦٤]. بعد ذلك احتفظت الكنيسة الكاثوليكية بوحدة المسيحية تحت لوائها فى أوروپا الغربية. فى القرن السادس عشر، سبّب الإصلاح الپروتستانتى انقسامًا خطيراً فى المسيحية فى أوروپا الغربية أيضًا. وبشكل عام، بقيت أغلب الدول الجنوبية على المذهب الكاثوليكى بينما تحولت أغلب الدول الشمالية إلى الپروتستانتية[٦٥]. احتفظت فرنسا وإسپانيا وأيرلندا وإيطاليا بالمذهب الكاثوليكى. أما انجلترا، سكوتلاندا، هولندا، سويسرا، فقد ازدهرت فيها إما جماعات مسيطرة أوضخمة من أنصار كالڤين. انحازت أجزاء كبيرة من ألمانيا والدول الإسكندناڤية للوثرية[٦٦]. أدى التنافس حول ولاء المؤمنين والمتحولين إلى الاضطهاد والرقابة. أصبحت قائمة الكتب الممنوع قراءتها على الكاثوليك من قبل السلطات الكنسية جزءاً أساسيًا من حياة الكنيسة[٦٧]. أدى الصراع من أجل السلطة السياسية إلى اندلاع الحروب فى القرن السادس عشر حيث ذبح فيها الكاثوليك والپروتستانت بعضهم البعض. أدت عمليات القمع والاضطهاد والقتل المتبادل بين الكاثوليك والپروتستانت إلى الهجرة داخل أوروپا حسب اتفاقية «الناس على دين ملوكهم»، ثم هجرة الپروتسانت من أوروپا إلى أمريكا[٦٨][*].

• بعض السمات الدينية الأساسية للمجتمع الأمريكى الأولى

بسبب ذلك التدفق الجماعى للپروتستانت إلى أمريكا، كان للمجتمع الأمريكى فى مراحله الأولى السمات الرئيسية التالية:

(*) بحثا عن الحرية الدينية، ولنشر المعتقدات الدينية، بالإضافة إلى التنافس بين الدول على العالم الجديد، مع بحث الأفراد عن فرص جديدة للعمل والرزق، أو زيادة الثروات.

١ ـ أغلبية پروتستانتية مطلقة.

٢ ـ انتشار الپروتستانتية المحافظة.

٣ ـ التأكيد على تهذيب الذات والعمل الشاق، واللذين كانا يعدان من الفضائل.

أظهر انتشار الپروتستانتية المحافظة أن فكرة الخلاص الشخصى للفرد من خلال جهده قد سيطرت بشكل كامل على أفكار وأفعال أفراد المجتمع. فى إطار هذا النموذج، «. . . كان من المعتقد أن النوايا الطيبة ووفرة الحماسة ستكون كافية بمساعدة الله لمعالجة المشاكل الصعبة»(٦٩).

أطلق استقلال أمريكا عن الحكم البريطانى فى عام ١٧٧٦م العنان للفرص الوفيرة الواسعة للنمو والتصنيع فى العالم الجديد. فى القرن الأول بعد الاستقلال، تم استغلال تلك القوى الكامنة على مدى واسع. أنتج استغلال تلك الإمكانيات التصنيع والمدنية والازدهار المتزايد. على الرغم من ذلك، فمع نهاية القرن التاسع عشر، أصبح من الواضح تمامًا أنه من وجهة النظر الاجتماعية، فإن النموالسريع والتصنيع عكسا فوائد متفاوتة للأمريكيين، فمن ناحية، جلبت الوظائف الثروة والازدهار، ومن الناحية الأخرى تسبب زيادة التفاوت فى الدخول فى مشاكل اجتماعية اقتصادية خطيرة كذلك ازدحام المدن والإسكان غير الكافى، وتزايد معدلات الجريمة، إلخ.

وفى الحال أصبحت تلك المشاكل الشغل الشاغل للمجتمع. جذب التصنيع السريع والازدهار الاقتصادى المتنامى المهاجرين من غير الپروتستانت، مثل الكاثوليك واليهود أيضًا. وعلى عكس معظم الپروتستانت، كان الكثيرون من المهاجرين جاءوا لتحقيق الأرباح الاقتصادية، وكانوا يبحثون عن فرص اقتصادية أفضل وحياة مسالمة. وقد فرض التصنيع، بالإضافة إلى الاكتشافات العلمية، والتقدم التكنولوچى، ومولد الأفكار الجديدة ومضامينها الاجتماعية والفلسفية، بعض التحديات الخطيرة على الپروتستانتية المحافظة، والتى، حتى ذلك الوقت، كانت تركز بشكل كامل على خلاص الفرد. كذلك مثَّل تسلل التفكير العلمى تحديًا للرؤى الدينية الثابتة والمواقف المتعلقة بالقضايا الاجتماعية وحلولها التقليدية(٧٠).

شكل هذا الانتشار للمشكلات الاجتماعية والطريقة العلمية للتفكير، والأفكار الجديدة مثل الداروينية تحديًا كبيرًا للپروتستانتية المحافظة التي حاولت أن تفسر كل شيء بطريقتها الخاصة. كان رجال الدين الپروتستانت، نظرًا لطبيعة دورهم في المجتمع - الجماعة الأولى التي تواجه التحدي الفكري لتلك المشكلات، وحيث إن الكثير من تلك المشكلات كانت جديدة، فإن التقاليد (التراث الديني) لم تهيء مواقف معينة منها. ولهذا قام رجال الدين تدريجيًا بتطوير مواقفهم منها، وهوما عرف بـ«المسيحية الجديدة» «اللاهوتية الجديدة». لقد ارتكز هذا اللاهوت الجديد بشكل كبير على حركتين متصلتين، تحديدًا «الإنجيل الاجتماعي» و«المسيحية التعاونية»[٧١]. وقد اتضح المذهب الخاص بالإنجيل الاجتماعي في سبعينيات القرن التاسع عشر وفي العقد الأخير من القرن العشرين. لقد كسب اعتراف الكنائس الكبرى التي قامت باتباعه[٧٢]. لقد ركزت الپروتستانتية على مدى طويل على جهود الفرد في سعيه نحو خلاصه الشخصي، متضمنة أنه بمجرد أن كافح كل فرد في سبيل نقائه الشخصي و«وضعه المختار»، فإن المجتمع بأكمله سيستمتع تلقائيًا بالسلام، الانسجام، والخير. وعلى العكس من ذلك، أدرك مذهب «الإنجيل الاجتماعي» جاذبية الحقيقة ودافع بأن حل المشاكل الاجتماعية لم يكن في «إحياء» (جهود الفرد لخلاصه الشخصي) ولكن في تطور الحقيقة الاجتماعية والشروط الهيكلية التي كانت السبب الفعلي لتلك المشاكل. ولهذا، فإن الملتزمين بالإنجيل الاجتماعي دافعوا عن الإصلاح الاجتماعي الذي أثبتوا صحته على أساس الكتاب المقدس.

مثَّل التدفق المتزايد للمهاجرين من غير الپروتستانت تهديدًا للپروتستانت، وتأسست حركة «المسيحية التعاونية» كرد فعل لهذا التهديد. هدفت الحركة إلى توحيد كل الكنائس الپروتستانتية على نطاق واسع. كان رد فعل الپروتستانتية المحافظة على الأفكار الفلسفية والعلمية الجديدة مثل الداروينية والداروينية الاجتماعية مزيج من الشك والرفض. حاولت اللاهوتية الجديدة أن توفق بين الدين والعلوم من خلال تبني مذهب تكيفي. وبالتالي، فإن الأفكار الدينية التي وجدت جذورها في الإيمان بوجود قوة خارقة للطبيعة، والتي لم تستطع التكيف في ظل الإطار المزدوج للمذهب العقلي والاكتشافات العلمية، واجهت خطر تخلي رجال الدين عنها[٧٣]. ويصف جيمس هنتر ذلك التطور كما يلي:

«السمة المميزة للانقياد الشعبى هى ذلك الانتقال فى التأكيد من الروحانى إلى الاجتماعى والعملى. أصبحت الاحتياجات الروحانية للإنسانية لا تُعالج بصفتها الاحتياج الأعلى، ولكن كحاجة ضمن احتياجات أخرى. وأشار هذا الانتقال إلى الشك المتزايد فيما يتعلق بالقبول الظاهرى ومدى قابلية التفسير الروحانى للتجربة الإنسانية للتطبيق، بالمقارنة بمنظور أكثر عقلانية وطبيعية»(٧٤).

لم يستطع المحافظون أن يستجيبوا لا للأفكار العلميـة الجديدة ولا للقضايا الاجتماعية. «لقد فكروا بشكل عام، بأنه إذا قاموا بنجاح بالدفاع عن مذهب الكتاب المقدس بوصفه كلمة الله المعصومة عن الخطأ، فإنهم سوف يحتفظون بأساس كاف لرفض كل التعاليم غير الصحيحة»(٧٥).

لقد رأى المحافظون، فيما يمثل خلافًا لهذه الخلفية، المسيحية الجديدة كتهديد؛ لأنها نجحت فى تطوير مذهب بديل قابل للحركة يمثل إغراءً لأتباعه فى إطار الكتاب المقدس والمبنى فى الوقت ذاته على العقل، قادرًا فى الوقت ذاته على حل المشاكل وطرح أشكال جديدة للإصلاح.

انشقاق فى البروتستانتية الأمريكية ـ مولد الأصولية المسيحية

طرح نجاح المدافعين عن الإنجيل الجديد فى عمل مذهب له علاقة باحتياجات المجتمع على أساس الكتاب المقدس تحديًا خطيرًا للمحافظين، فلم يكن أمامهم سوى الاختيارات الثلاثة التالية فقط:

١ ـ قبول مذهب الإنجيل الاجتماعى بعقلانية والتخلى عن فلسفتهم القائمة على التقاليد، والتفسير الحرفى للكتاب المقدس وعصمته.

٢ ـ تبنى مذهب عقلانى مبنى على عقيدتهم الخاصة ثم إصلاحه.

٣ ـ رفض مذهب الإنجيل الاجتماعى القائل بالمذهب العقلى، والاحتفاظ بوجهة نظرهم الخاصة عن الدين، ومن ثم التسبب فى انشقاق البروتستانتية نفسها.

وبازدياد شعبية الإنجيل الاجتماعى مع مرور الوقت، فإن المحافظين الذين لم يكن لديهم أية استجابة فكرية لهذا التفسير العقلانى، قد استجابوا بتشديد موقفهم. ازداد

تشددهم مع مرور الوقت، وقاد فى النهاية إلى انشقاق فى البروتستانتية الأمريكية. قاد الموقف المحافظ المتعذر تبريره أو الدفاع عنه إلى تغيير فى قلوب المؤمنين. لقد حدث نوع من الهجرة الجماعية من الكنائس المحافظة إلى كنائس عقيدة الإنجيل الجديد. «ومع مجيء العقد الثانى من القرن العشرين، تخلى أغلبية القسس واللاهوتيين البروتستانت عن المواقف المحافظة باعتبارها غير مبررة ولا يمكن الدفاع عنها(٧٦)».

شهد العقد الأول من القرن العشرين انحداراً خطيراً فى عضوية الكنائس البروتستانتية المحافظة، وهودليل واضح على انشقاق البروتستانتية الأمريكية، وأن المحافظين قد أصبحوا بشكل سريع أقلية متضائلة. وفى محاولة جاهدة لاستعادة مكانتهم الضائعة، شن المحافظون حملة دفاع قوية عن العقيدة الأرثوذكسية [بالمعنى اللغوى للكلمة وليس المعنى الطائفى، أى العقيدة التقليدية] من خلال نشر : الأصول: شهادة الحق. وذلك فى العقد الثانى من القرن العشرين. لقد تضمن المؤلف اثنى عشر كتابا نشر تحت إشراف معهد موودى بايبل بشيكاجو، بتمويل من رجال النفط فى كاليفورنيا ليمان وميلتون ستيوارت(٧٧). قام آر. إيه. تورى بتحرير تلك الكتب، والتى عرفت باسم «الأصول»(٧٨). لقد تضمنت الكتب الاثنى عشر من «الأصول» تسعين مقالاً شرحت موقف الأصوليين فى الدفاع عن مذهبهم. من الجدير بالملاحظة أن مصطلحات مثل الأصولية، والأصولى قد وجدت جذورها فى الأصولية المسيحية فى الولايات المتحدة الأمريكية، وتدين بفضل بقائها كفلسفة للجناح المتشدد من الأصولية المسيحية البروتستانتية. إن هؤلاء الأصوليين هم من اختاروا منذ بداية القرن العشرين، أن يرفضوا المذهب المبنى على الإصلاح الاجتماعى (الإنجيل الاجتماعى)، والذى يعد أكثر عقلانية من قبل آخرين، وبالتالى أسسوا سابقة فكرية للأصوليين فى ديانات أخرى حول العالم. تناقش الأصول مرة أخرى وترصد «أصول الإيمان التى لا يمكن التسامح عن أى انحراف عنها»(٧٩). وهذه هى الأصول الحائزة على أكبر إجماع(٨٠):

١ ـ عصمة الكتاب المقدس.

٢ ـ ألوهية المسيح.

٣ ـ الولادة العذرية للمسيح .

٤ ـ الكفارة البديلة : الاعتقاد بأنه بالموت على الصليب ، فإن المسيح غير الآثم ، قد تحمل على نفسه العقوبة المستحقة على البشر الآثمين .

٥ ـ البعث[٨١] .

٦ ـ العودة الثانية للمسيح أو المجيء الثانى للمسيح[٨٢] .

وكما قال مارتن :

«حجر الأساس هو عصمة الكتاب المقدس ، ولا يعنى ذلك فقط أن الكتاب المقدس هو القاعدة الوحيدة والمعصومة عن الخطأ للإيمان والممارسة ، ولكنه أيضًا يجب تصديقه علميًا وتاريخيًا . ولهذا ، فإن التطور لا يمكن أن يكون حقيقيا ، فالمعجزات قد حدثت بالفعل فقط كما وصفها الكتاب المقدس ، وفى يوم الحساب سيحكم على كل من عاشوا فى هذه الحياة إما بالجنة أوالجحيم الأبدى ، وكلاهما موجود حقًا . إن أية محاولة لتفسير تلك الملامح أوملامح أخرى من مقاطع الكتاب المقدس بوصفها أمورًا غامضة أووردت على سبيل المجاز ، تعصف بجذور الإيمان المسيحى ويجب مقاومتها بكل نبضة للإنسان»[٨٣] .

وطبقاً لـ «هانتر» : «مع حلول عام ١٩١٩م ، كان من الواضح حتى لرجل الشارع أن هناك انقسامًا قد نشأ بوضوح فى البروتستانتية الأمريكية»[٨٤] .

ومع نشر «الأصول» ، رسمت بوضوح خطوط المعركة . فمن ناحية كان هناك الأصوليون والمدافعون عن جوهر الدين وأنصار الأرثوذكسية . وعلى الناحية الأخرى ، كان هناك «الحداثيون» ، أصحاب النزعة اللاهوتية التحررية فى البروتستانتية أوالليبراليون ، المبتكرون الذين ناصروا الإنجيل الاجتماعى . لقد كان الحداثيون هم هدف الهجوم الذى شنه الأصوليون . لقد اعتقد الأصوليون أن الليبراليين قد تخلوا عن الأسس ـ التى هى جوهر الإيمان المسيحى . بالنسبة لهم كانت مسيحية الإنجيل الاجتماعى هى ليبرالية حصان طروادة والتى صممت لكى تقتحم قوى العقلانية العلمانية عالم الدين ، لتدمير الأرثوذكسية . لقد كانوا قلقين بشأن المنهجيات الجديدة التى تطورت تحت تأثير الاكتشافات العلمية التى قد تقدم تفسيرًا مشوهًا للحقيقة الدينية[٨٥] .

من الناحية الأخرى، كان لدى الليبراليين همومهم إزاء الأصوليين. لقد «. . . صوروا الأصوليين بشكل ساخر، بوصفهم جهلاء ومعادين للفكر وظلاميين فيما يتعلق بتوجههم اللاهوتى. اتهموا الأصوليين بالدفاع عن تفسير عتيق للكتاب المقدس وللتجربة الدينية على أساس اعتقاد إيمانى مشوش، وليس على أساس من العقل الراجح»[٨٦].

ولهذا، فقد انتهى عقد العشرينيات من القرن العشرين بانشقاق دائم فى البروتستانتية الأمريكية بسبب الجدل الأصولى ـ الحداثى.

على الرغم من تزايد شعبية الإنجيل الاجتماعى، وأن الكنائس المحافظة كانت تمر بمرحلة انكماش فى عضويتها، فلم يكن لدى الأصوليين الرغبة فى إدراك مدى ضعفهم. لقد عقدوا العزم على مواصلة القتال. تحت هذا الضغط الذى مارسه المحافظون، مررت عدد من الولايات قوانين معادية للتطور[٨٧]، وكانت تينيسى واحدة من تلك الولايات. وكان من تبعات هذا القانون اعتبار قيام أى مدرس فى مدرسة عامة «بتدريس أى نظرية تنكر قصة الخلق الإلهى للإنسان كما جاءت فى الكتاب المقدس»[٨٨] من الأفعال غير القانونية. ولقد اعتبر الاتحاد الأمريكى للحريات المدنية (ACLU) هذا القانون من قبيل الإجراءات القمعية، وقام «. . بتقديم استشارة مجانية لأى معلم من ولاية تينيسى يكون لديه الرغبة فى تحدى القانون ويصبح مدعى عليه فى قضية اختبار»[٨٩]. فى عام ١٩٢٥م، قام أستاذ للبيولوجيا يدعى چون. ت. سكوپس بارتكاب ذلك الانتهاك. لقد ألقى القبض عليه وتم تقديمه للمحاكمة[٩٠] فى قضية تمت تغطية وقائعها على نطاق واسع فى الجرائد والمجلات ومحطات الراديو[*]. قام ويليام جنينجز بريان، وهو سياسى بارز، ومتحدث بارز باسم أصوليى أمريكا، وخطيب ذى كفاءة عالية ومرشح رئاسى غير ناجح لثلاث مرات (١٨٩٦، ١٩٠٠، ١٩٠٨م)[٩١] بمساعدة جهة الادّعاء[٩٢]. وخلال المحاكمة، كان الادّعاء محل تحدّ شديد لمرات كثيرة حينما وضع محامى الدفاع برايان فى موقف حرج «. . حيث جعله يعترف بعدم خضوع كل العقائد الدينية لتفسير واحد»[٩٣].

(*) أنتجت هولى وود فيلمًا عن تلك المحاكمة الشهيرة أسمته «داروين والكتاب المقدس»، وقام ببطولته سپنسر تراسى ـ المترجمة.

على الرغم من أن الأصوليين كسبوا هذه القضية على أساس أن المعلم قد انتهك القانون، فقد خسروا الجدال الكبير الواقع بين الأصولية والمذهب العقلانى. وبعد هذه المواجهة غيّر الأصوليون استراتيچيتهم. لقد أدركوا أن دفاعهم عن الأرثوذكسية كان ينقصه الجوهر العقلانى. ولهذا فقد انسحبوا من المشهد العام، وانصب تركيزهم على التعليم والبحوث. لقد شكلوا بشكل حماسى حركة لتأسيس مدارسهم الخاصة. كما بدأوا أيضًا فى التأكيد وتعزيز ثقافة الاطلاع الواسعة والبحث عن المعرفة فى المجتمع الأصولى بشكل عام.

***

الفصل الرابع

صعود الأصولية المسيحية بعد الحرب العالمية الثانية

بعد انسحابهم من المشهد العام، ظل الأصوليون مشغولين فى الجبهتين التعليمية والتنظيمية لحركتهم حتى نهاية الحرب العالمية الثانية. لقد كانت تلك أيضًا مرحلة من البحث عن الروح، والتفكير الاستراتيجى والعمل التنظيمى. بعد محاكمة سكوپس، اكتسب العمل التنظيمى وتجنيد أعضاء جدد اهتمامًا مركزيًا لدى الأصوليين. كان ذلك لأن المحتوى الفكرى الضعيف الذى قدمته الحركة فى محاكمة سكوپس قد خلق خطر عدم انجذاب الجيل الجديد للأصولية. ولهذا فقد وجدت طرقًا وسبلاً لمواجهة الجماهير مباشرة دون مواجهة مع الليبرالية والعقلانية.

استغلالاً لحرية التعبير والحرية الدينية التى ضمنها الدستور العلمانى والديمقراطى للولايات المتحدة، أسس القادة المحافظون شبكات الراديو والتليفزيون الخاصة بهم من أجل بث البرامج الدينية. أصبح الملايين من المحافظين والأصوليين البروتستانت مشاهدين بشكل منتظم، ثم أعضاء، وأخيرًا من مانحى المعونات لتلك البرامج. كان من بين الوعاظ التليفزيونيين البارزين جيرى فالويل، وبيلى جراهام، وأورال روبيرتس، وپات روبرتسون، وجيمى سواجارت.

أظهرت دراسة فى عام ١٩٦٣م أن ١٢ فى المائة فقط من البروتستانت يشاهدون أو يستمعون بانتظام للبرامج الدينية المبثوثة.

وأظهرت استفتاءات جالوپ التى أجريت فى نهاية السبعينيات، أن تلك النسبة قد تضاعفت، وأظهر استفتاء آخر عام ١٩٨١م أن نسبة ٢٧ بالمائة من الجمهور العام يقول أنه شاهد أكثر من برنامج دينى واحد فى الشهر السابق. وفى عام ١٩٨٤م، أظهرت دراسة جالوپ وكلية أننبيرج للاتصالات، أن الجمهور الذى يشاهد البرامج الدينية بانتظام قد بلغ حوالى ١٣,٣ مليونًا(٩٤). وطبقًا لمسح شامل أجرته كريستيانتى توداى

مع جالوپ ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩م، أشار إليه چورج مارسدن ، أن هناك ما بين ٤٠ ـ ٥٠ مليون أمريكى قد صنفوا بوصفهم إيڤانجليكيين[٩٥] . ومع حلول عام ١٩٨٠م، تجاوز التوزيع السنوى لجريدة بيلى جراهام «القرار ـ Decision»، ٢٤ مليون نسخة[٩٦] .

جلب هذا العدد الضخم من الأنصار ثقلاً ومكانة للوعاظ الأصوليين الذين يبثون برامجهم عبر التليفزيون، حيث حصل بيلى جراهام على لقائه الأول مع رئيس أمريكى خلال فترة حكم ترومان فى عام ١٩٥٠م[٩٧] . وبعد هذا اللقاء الأول، كانت تتم دعوته بشكل متكرر فى البيت الأبيض لمقابلة الرؤساء المتعاقبين : أيزنهاور وجونسون ونيكسون. على الرغم من ذلك، حتى الستينيات من القرن العشرين، التزم الأصوليون بسياسة عدم العمل السياسى[٩٨] . يعود هذا الإحياء للأصولية المسيحية فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية وتقدمها، للجهود جيدة التنظيم لقادتها وجماعاتها فى عدد من المجالات، مثل انتشار التعليم وتعزيز المستوى الفكرى للجماعة بشكل عام من خلال زرع ثقافة القراءة على نطاق واسع، واستخدام مذهب له شعبيته فى اجتذاب أعضاء جدد، وخلق شعور بالإلحاح الذى أدى إلى الوصول إلى ذروة التبشير. وسنشرح هذه النقاط تفصيلاً فى الأقسام التالية.

قرارات المحكمة العليا توقظ المارد النائم

على الرغم من أن الأصوليين كانوا قد التزموا بسياسة عدم الدخول فى عالم السياسة، فإن الأحداث التى جرت فى عقدى الستينيات والسبعينيات جعلت الكثيرين منهم يغيرون رأيهم. هزت التوترات الاجتماعية ونتائج المعارك القانونية البروتستانت والأصوليين حتى شعر قادتهم بأنهم مجبرون على خوض الساحة السياسية.

١ ـ قرار تطبيق الدمج العرقى: فى عام ١٩٥٤م، أصدرت المحكمة العليا قراراً ضد المدارس التى تتبنى الفصل العنصرى، مطالبة المدارس العامة أن تفتح أبوابها للأقليات العرقية. وفى رد فعل لهذا المطلب، أسست العديد من الجماعات والكنائس الأصولية «الأكاديميات المسيحية» الخاصة بها، حيث يمكن، بشكل ظاهرى، «. . لأبناء المؤمنين أن يتلقوا تعليمهم فى إطار علوم (نظرية الخلق) [المتصور طبقًا للكتاب المقدس] والقيم

التقليدية»[٩٩]. حققت تلك الأكاديميات أيضًا أجندة الفصل العنصرى بشكل خفى، حيث كان يتم قبول الطلاب البيض فقط. لقد تمتعت تلك الأكاديميات بوضع الإعفاء الضريبى. ثم فى عام ١٩٦٤م، مرر الكونجرس قانون الحقوق المدنية. لقد أعلن ذلك القانون أن عملية الفصل العنصرى غير قانونية وطالب بدلاً من ذلك بالتكامل. وكان على الأكاديميات التى تريد وضع الإعفاء الضريبى أن تلتزم بمتطلبات قانون الحقوق المدنية.

٢ - قرار المحكمة العليا فى شأن الصلاة بالمدارس: فى عام ١٩٦٢م أنهى قرار المحكمة العليا الصلوات التى تدعمها المدرسة وقراءات الكتاب المقدس التعبدية، على أساس أنها تنتهك الفصل الدستورى بين الكنيسة والدولة. وقد أثار ذلك غضب الأصوليين[١٠٠].

٣ - قرار الإجهاض[١٠١]: فى عام ١٩٧٣م منحت المحكمة العليا النساء الحق فى الإجهاض.

٤ - عقدا الستينيات والسبعينيات العاصف: شهد عقدا الستينيات والسبعينيات حرب ڤيتنام، الفوضى الاجتماعية التى اتسمت بالعنف، ثقافة المخدرات، الثورة الجنسية، ووترجيت، وكلها هزت البلاد. «خلال عقد السبعينيات، ازداد معدل الطلاق بنسبة ٦٧ ٪. ازدادت الأسر التى أدارتها أمهات غير متزوجات بنسبة ٣٥٦٪. ومع نهاية هذا العقد، كان هناك نسبة ٢١٪ من الأسر التى بها أطفال تحت سن الثامنة عشرة ذات والد واحد»[١٠٢]. وقد أزعج هذا الوضع البروتستانت الذين شعروا بأن هناك خطأ ما فى المجتمع، وأنه بحاجة إلى إصلاح من خلال الفعالية الاجتماعية للتأثير على النظام السياسى الذى سمح بحدوث هذا الوضع.

نبهت تلك التطورات الأصوليين، الذين وجدوا أنفسهم تحت حصار من كل اتجاه. فبالإضافة إلى النكسات التى أصابتهم، شعروا بأنه فى ظل مد الحداثة، أخذت الأسس الأخلاقية للمجتمع الأمريكى فى التدهور: ثقافة المخدرات بين الشباب والثورة الجنسية والعنف العام، وبشكل خاص من قبل الشباب المتمرد داخل الحرم الجامعى وحرب ڤيتنام والفساد وسوء استغلال السلطة فى مناصب عليا ممثلة بفضائح

ووترجيت، كل ذلك قد أقنع الأصوليين بأن الوقت قد حان للوقوف ووضع الأمور فى موضعها الصحيح. بداية من ساحات القتال فى ڤيتنام إلى البيت الأبيض، حتى شئون الأسرة، كان كل شىء يدعو للإحباط. لقد أدرك معظم الناس تلك المشاكل، وعلى الرغم من ذلك فإن القيادة فى الكنائس البروتستانتية الرئيسية والكنيسة الكاثوليكية والطوائف اليهودية، كانت أكثر قلقًا بشأن إعادة توزيع الدخل والثروة والعدالة الاقتصادية[١٠٣]. لقد استنتج الأصوليون أن الليبرالية ذاتها كانت السبب الرئيسى لكل تلك المشاكل، وأن الوضع يمكن أن يتحسن فقط فى حالة استعادة القيم الأخلاقية التقليدية. وحيث إن الدولة كانت تدافع عن الليبرالية وتقوم بتطبيقها من خلال مختلف مؤسساتها، فإنه ينبغى ترويض الدولة من خلال السلطة السياسية. لقد كانت المحكمة العليا حالة واضحة فى هذا الشأن. لقد كان القضاة الليبراليون هم من يقومون بتفسير الدستور والقانون بشكل ليبرالى. لو كان القضاة من المحافظين، فلم يكن ذلك ليحدث. ولكن القضاة يقوم الرئيس بترشيحهم ويصدق الكونجرس على تعيينهم. وهكذا لتشكيل هيئة القضاة من قضاة محافظين، يلزم أن تستجيب السلطة التنفيذية والتشريعية لاهتمامات الأصولية، بل وتنظر إليها باحترام. والطريق الوحيد لضمان ذلك هو الدخول فى الساحة السياسية، ووضع الأچندة وتعبئة القوى فى النظام الديمقراطى، ومساعدة القائد الصحيح للوصول إلى مرحلة الانتخابات فى البيت الأبيض والكونجرس لإنجاز العمل.

استراتيچية الأصولية فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية
إعادة تشكيل الجماعات، تجنيد الأعضاء، ووضع القوات موضع الاستعداد

بعد محاكمة سكوپس، ضعف موقف الأصوليين بشكل حاد وخسروا نفوذهم فى الكنائس الطائفية التى كانوا ينتمون إليها. «مع نهاية عقد العشرينيات، بدا أن الأصوليين قد هزموا وقلت أهميتهم وتراجع وضعهم. لم تفقد فقط الأصولية كل مواجهة خلقتها، ولكنها تعرضت واقعيا للسخرية بسبب ميلها للجمود الفكرى والظلامية بسبب أفعالها غير المتوازنة، من خلال توجهها لجذب ومنح الدعم للمعادين للسامية، والمعادين للكاثوليكية، والقوميين الآخرين والعناصر السياسية التى تنتمى

للجناح اليمينى، وبسبب تأكيدها على أن المسيحيين فقط يمكن أن يكونوا أمريكيين مائة بالمائة»[١٠٤]. وبعد محاكمة سكوپس واجه الأصوليون مشكلات مع كنائسهم. لقد كانوا كلهم من البروتستانت وينتمون إلى الكنائس الطائفية الرئيسية الضخمة، على سبيل المثال: حواريو المسيح، الكنائس المشيخية، الكنيسة الأسقفية، الكنيسة الموحدة للمسيح، المنهجيون المتحدون، الكنيسة اللوثرية فى أمريكا، الكنيسة الإصلاحية فى أمريكا، كنيسة اللوثريين الأمريكية، والمعمدانيون الأمريكيون، بين آخرين[١٠٥]. كانت المأساة تتمثل فى أن الكنائس الرئيسية لم تكن توافق على وجهات النظر المتجمدة للأصوليين. لقد حدث فى الجنوب فقط أن كان للأصوليين كنيستهم المعمدانية الجنوبية الخاصة، ولكن حتى فى تلك الكنيسة لم يكن هناك عدد من الأعضاء كما ينبغى أن يكون. لقد كان هناك أربع مشاكل متداخلة، إذا لم يتم التغلب عليها فى الحال، فقد تكون مهلكة لقضية الأصولية فى الولايات المتحدة:

* مشكلة الصورة.

* مشكلة الأغلبية غير المتعاطفة والنظام الاجتماعى.

* نقص القوة الفكرية بين الأصوليين للدفاع عن ومناصرة قضيتهم أمام أصدقائهم، جيرانهم، والمجتمع بشكل عام.

* وأخيراً التنافر مع دوائر السلطة.

كانت الحركة التى خضعت لسخرية واسعة فى البلاد من قبل الاتجاه العام لصناع الآراء ـ المفكرين، والأكاديميين، ورسامى الكاريكاتير، وسائل الإعلام، ورجال الدين ـ تحتاج فى ذلك الوقت لدعم فورى لكى تضمن بقاءها على الساحة. إذا سمح لصورتها السيئة أن تستمر، بدلاً من اجتذاب ملتزمين جدد، فإنها كانت ستبدأ فى خسران تابعيها أنفسهم، وأول من سينسحبون هم الأطفال والشباب الذين خضعوا لتأثير الصور الانطباعية عن الأصوليين وسخرية زملائهم.

لقد واجه الأصوليون ورطة أساسية فى تطوير رد فعل مناسب، فإذا تركوا الوضع على ما هو عليه، كانوا سيخسرون، ولكن إذا ما تحدوا النظام، فإنهم سيظلون خاسرين؛ لأنهم كانوا يشكلون مجتمعاً صغيراً غير منظم فى ذلك الوقت، بينما النظام

ككل كان غير متعاطف معهم. فى مثل تلك الظروف، للمرء أن يتوقع أن يكون رد فعل الجماعات الدينية المتطرفة عاطفيًا، متخذين الخط المتشدد، مظهرين رد فعل متطرف، والانتهاء بانهزام قضيتهم الخاصة. ولكن فى هذا الصدد، أظهر الأصوليون الأمريكيون مستوى عاليًا جدًا من النضوج، وتبنوا سياسة ترمى، ليس فقط لعدم تحدى النظام، ولكن فى الواقع أن يصبحوا جزءا منه واستخدامه لمصلحتهم.

لقد ركز الأصوليون انتباههم على أطفالهم. لقد انتابهم الخوف بأنهم إذا لم يتم تنشئتهم بشكل ملائم، فإن الهجوم الضارى لليبرالية سوف ينالهم. لقد أدركوا أيضًا أن الأطفال، إذا ما لقنوا مواعظ مملة وجافة طوال الوقت، فإنهم سيفقدون اهتمامهم بالپروتستانتية وسيتخلون عن الحركة حينما يكبرون. «ولكى يتفادوا هذا المأزق، بدأ قادة الإيڤانجليكية والأصولية فى البلاد بعقد اجتماعات ليلة السبت، والتى قدمت للناس خليطًا من التسلية الكلية، الحماسة الوطنية، والنصائح الإحيائية»[١٠٦]. بدأ جاك ويتزن قائد فريق نيويورك سيتى الموسيقى الذى تحول إلى قس، تلك الاجتماعات وبرنامجه الإذاعى فى الراديو «كلمة الحياة» عام ١٩٤٠م. لقد كانت تلك الاجتماعات تحظى بشعبية لدرجة أنها فى خلال أربع سنوات انتشرت إلى حوالى مائتى مدينة عبر الولايات المتحدة وأصبحت مظهرًا أسبوعيًا معتادًا.

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية، ورجوع القوات الأمريكية من الجبهة (لعبت القوة الأمريكية و«الأولاد»، (التعبير الشعبى المحبوب الذى أطلق على الجنود الأمريكيين الذين شاركوا فى الحرب) دورًا أساسيًا فى جلب النصر للأمة) كان هناك تيارات وطنية قوية عبر الأمة، والتى ولدت المشاعر الشعبية التالية[١٠٧]:

أولاً: كان الجميع يريد التعبير عن مشاعر النشوى والفرح. كان هناك مطلب قوى لإيجاد تعبير عام صريح يتضمن البيت والأسرة.

ثانيًا: كان هناك تقدير لفكرة السلام. ولقد استدعى ذلك التسلية التى يمكن أن يتشارك ويستمتع بها الجميع.

وأخيرًا: كان آلاف الجنود العائدين للوطن بعد نهاية الحرب يسعون إلى لحظات السلام مع التسلية والاستمتاع. اعتاد هؤلاء الجنود أن يتجولوا بلا هدف فى شوارع

المدن الكبرى مثل نيويورك وشيكاجو، إلخ. لقد وجدوا فرص المشاركة الصحية المسلية التى قدمها الأصوليون الذين استطاعوا تلبية بعض الحاجات الأصيلة للمجتمع الأمريكى، وبشكل خاص فى المراكز الحضرية الكبرى.

كان هناك بعض الوعاظ الإيڤانجليكيون الذين رأوا فى تلك المتطلبات فرصة لإحياء الأصولية من خلال تقديمها بصيغة شعبية من خلال صورة جديدة ومنقحة. استخدامًا للقاعدة الذهبية للتسويق ـ إذا جمعت بين منتجين لهما شعبية، يمكنك أن تخلق منتجًا شعبيًا ثالثًا ـ فقد قاموا بتطوير برامج ترفيهية ذات أفكار ضمنية من أجل هؤلاء الجنود، وقاموا بتجميلها بالرسائل الأصولية. قام أحد هؤلاء الوعاظ، «تورى جونسون» بتأجير قاعة الأوركيسترا فى شيكاجوالتى تتسع لثلاثة آلاف ومائتين مقعد، وجلب القس الشاب وواعظ الراديو بيلى جراهام، لمخاطبة التجمع الافتتاحى لـ«شباب شيكاجولاند من أجل المسيح» ـ (الشباب من أجل المسيح: Y F C)[١٠٨].

كان بيلى جراهام ضربة ناجحة بشكل واضح. استمرت الحركة واجتماعاتها الحاشدة فى التوسع بسبب شعبية تلك البرامج ورسالتها، وفى «يوليه عام ١٩٤٥م تقابل أكثر من ستمائة زعيم شاب من أمريكا الشمالية فى مركز مؤتمرات تابع للأصوليين فى بحيرة وينونا، وكوّنوا «منظمة الشباب العالمية من أجل المسيح»[١٠٩]. وتم انتخاب تورى جونسون رئيسًا لها، بينما اختير بيلى جراهام كممثل أول للمنظمة.

لقد انغمست المنظمة فى الشأن الوطنى، ويأخذ ملمح ذلك الزمان فى الحسبان، كان لها سطوة عظيمة. وفى يوم الذكرى الأولى فى عام ١٩٤٥م[١١٠]، والذى كان مناسبة أيضًا للاحتفال باستسلام الألمان، غنى نحو ٧٠,٠٠٠ من شباب المنظمة بالنشيد القومى فى شيكاجوفى ظل المئات من الأعلام المرفوعة. لقد أنشدوا أيضًا أغانى وطنية لتكريم جنود الحرب، حيث كان الكثيرون منهم يقفون ضمن الحشود[١١١]. كان من إحدى النقاط المهمة فى البرنامج صنع نوع ما من النزعة العاطفية التى قدمت للحشود لشراء سندات الحرب.

فى إطار هذه الممارسة الإحيائية، استخدم الأصوليون كل الوسائل الحديثة لجذب الانتباه وإنجاز الهدف بنجاح. كان قادة منظمة «الشباب من أجل المسيح» يرتدون

ملابس ملونة ومعاطف رياضية ، كما قدم الرياضيون ، والقائمون على الترفيه ، والقادة المدنيون والعسكريون ، برامج شيقة تهم عامة الناس ، ولكن الرسالة الأساسية كانت متجذرة فى الفلسفة الأصولية . لقد بذلت كل الجهود لتقديم تلك الفلسفة فى شكل مجموعة متداخلة من الأفكار الحديثة الجذابة . لقد تم إنجاز ذلك بالاختيار العمدى لبعض الشعارات مثل «الحقيقة التقليدية للشباب الحديث» و«التكيف مع الزمن مع الالتزام بالدعامة الأساسية» ، تلك الشعارات التى حملت معنى متضمنًا يفيد بأنهم حديثيون ولكنهم ليسوا دعاة للحداثة[١١٢] . من الألغاز المتعلقة بحكايات فى الكتاب المقدس ، إلى ألعاب الساحر ، إلى السيرك ، كان كل جانب من جوانب الترفيه قد أخذ مسحة مسيحية ، على سبيل المثال ، «كان هناك حصان يمكن أن يسجد للصليب ، وأن يضرب بقدميه اثنتى عشرة مرة حينما يسأل عن عدد رسل المسيح ، وثلاث مرات حينما يسأل كم عدد الأشخاص الذين يشكلون الثالوث الأقدس»[١١٣] .

كانت الموعظة ذروة كل تلك التجمعات التى خلطت ما بين الشعور الوطنى مع الخطاب الأصولى . حتى بالنسبة للشباب الذين لم يكونوا متحمسين للغاية بشأن الأصولية أوكانوا غير مكترثين بها ، فبعد كل سهرة ترفيهية كبيرة ، كانت العظة بمثابة النهاية السعيدة ، مع تذكرة مفيدة بواجب الإنسان نحو الله . وبزيارة الشباب لتلك التجمعات فى عطلة نهاية الأسبوع بشكل منتظم ، كانت الرسالة الأصولية قد بدأت تغوص ببطء فى قلوبهم وعقولهم ، بدون مجهود مدرك من جانبهم . لقد كان ذلك بمثابة نجاح عظيم للحركة . وفى هذا الإطار يلاحظ بيلى جراهام : «لقد استخدمنا كل الوسائل الحديثة لأسر اهتمام غير المهتدين للدين ، ثم لكمناهم مباشرة بين أعينهم بالإنجيل»[١١٤] .

غمر هذا الاستعراض الحماسى والعاطفى للوطنية الذى قام به الأصوليون الأمة كلها ، حتى إن وسائل الإعلام القومية ، والتى قد عاملت الحركة فى الماضى كجماعة هامشية ، قد حفلت فجأة بعبارات الإطراء عليها . كما أشادت الصحافة بالحركة باستفاضة بعناوين الأخبار والتغطية الكاملة لتلك الأحداث . فى فبراير ١٩٤٦م ، كان مقال مجلة التايم حول جماعة «الشباب من أجل المسيح» ممهورة بتعليق الرئيس ترومان «هذا ما كنت آمل حدوثه فى أمريكا»[١١٥] .

لقد نجح الأصوليون أخيراً فى جعل الإعلام القومى أكثر اهتماماً بهم بعد أن كان يحمل للأصولية مشاعر باردة منذ العشرينيات من القرن العشرين. وبمرور الوقت، أصبحت تلك التجمعات الحاشدة أكثر تأثيراً وشعبية، حتى إنه فى عام ١٩٤٧م كانوا ربما «يجتذبون مليوناً من الشباب كل أسبوع»[١١٦]. هؤلاء الملايين من الشباب المفعمين بالطاقة والدينامكية كانوا مخلصين لمثل عليا أخلاقية، وكانوا مستعدين لكى يتم اختيارهم فى قضايا سياسية. كذلك لعبت تلك التجمعات دوراً محورياً فى «. . محوأية مشاعر بالدونية ربما كانوا يضمرونها» فيما يتعلق بالاتجاه السائد فى أمريكا[١١٧].

ومع نهاية الأربعينيات، كان الديمقراطيون قد وصلوا إلى مدة عشرين عاما من الحكم غير المنقطع للبيت الأبيض، وهى المدة الأطول فى تاريخ الولايات المتحدة حتى ذلك الوقت[١١٨]. خلال هذه الفترة كانت هناك مناسبات لم تمض الأمور فيها على نحو صحيح، سواء على المستوى المحلى أوالخارجى، حيث كانت ليبرالية الديمقراطيين أوسياستهم المتكيفة تجاه الشيوعية محل لوم. لقد عرف بيلى جراهام أن الأمة فى مرحلة ما بعد الحرب، مرحلة ما بعد الكساد، تحتاج للثقة بالنفس والأمل، ولهذا فإن «تأكيده الجرىء والواثق بأن منظمة المسيح النشطة، الخالقة للحرية، الباعثة على القوة هى الحل الذى حظى بإعجاب هائل». ومع عام ١٩٤٧م، بدأت التحذيرات ضد الشيوعية تصبح ملمحاً معتاداً لمواعظ جراهام. حيث لاحظ الانتشار السريع للأيديولوچية الإلحادية، أعلن أنه «ما لم تقم المسيحية بإنقاذ الأمم من سطوة عدم الإيمان، فإن أمريكا ستقف وحيدة ومنعزلة فى العالم»[١١٩]. وحينما جرّب الاتحاد السوڤييتى فى عام ١٩٤٩م القنبلة الذرية، أعلن بيلى جراهام، متحدثاً أمام جمهور حاشد فى لوس أنچليس، أن هناك خطاً فاصلاً قد رسم بين الغرب المسيحى والعالم الشيوعى. لقد أعلن أن «الثقافة الغربية وثمارها، لها أسسها فى الكتاب المقدس، وكلمة الله، وفى الحركات الإحيائية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر. على الجانب الآخر، الشيوعية قد نشأت على أساس ضد الله، ضد المسيح، ضد الكتاب المقدس، وضد كل الأديان. الشيوعية ليست فقط تفسيراً اقتصادياً للحياة ـ إن الشيوعية هى ديانة ألهمها، ووجهها وحركها الشيطان ذاته، الذى أعلن الحرب على الله كلى

المقدرة». إن نيران تلك الحرب، قال لمستمعيه المشدوهين، ستقع مباشرة عليهم؛ لأن الشيوعيين كانوا «نشطين فى لوس أنچليس أكثر من أية مدينة أخرى فى أمريكا. . فى هذه اللحظة يمكنني أن أرى اليد الإلهية الحاكمة فوق لوس أنچليس. أرى أن قضاء الله أوشك أن يقع». إن السبب الوحيد وراء نجاة أمريكا من الخراب والدمار الناجمين عن الحرب العالمية الثانية، كما أعلن، كان بسبب «صلاة رجال الله، والأمل الوحيد الآن يكمن فى الندم والإحياء»(١٢٠).

لقد كان ذلك بمثابة نقطة تحول فى حياة جراهام العملية وأيضًا بالنسبة للحركة الأصولية برمتها. لقد كان هذا الخطاب بمثابة إعلان حرب على الشيوعية، كان خطابه ذلك ضد الحكومة أيضًا التى كانت بين أيدى الديمقراطيين منذ عام ١٩٣٢م، واتبعت منهج التكيف مع الشيوعية حول العالم. انحازت وسائل الإعلام، والجرائد والمجلات الكبرى المملوكة غالبًا للأثرياء وأصحاب النفوذ، الذين رأوا فى الشيوعية تهديدًا لثروتهم وسلطاتهم، فساروا فى ركب بيلى جراهام. لقد كان جراهام صانع العناوين الإخبارية فى البلاد، وهكذا أصبح محل اهتمام البلاد بأسرها. كان من المثير رؤية كيف أن الأصوليين بضربة واحدة استطاعوا اكتساب منزلة أخلاقية عالية، حيث أصبحوا أبطالاً لكلّ من أمريكا والمسيحية، وللرأسمالية أيضًا، لقد أتت الاستراتيچية البروتستانتية فى جعل الأصولية المسيحية مرادفًا للوطنية بثمارها أخيرا.

وبهذا الضوء المسلط عليه، أدار بيلى جراهام برنامجًا من خمسة أسابيع يتكون من صلوات ومحاضرات فى واشنطن دى. سى. عام ١٩٥٢م. لقد أطلق على هذا البرنامج «حملة واشنطن الصليبية». فى هذه الحملة «وعظ بتعبئة الأسلحة تقريبا فى كل صلاة، وقد جمع على درجات سلم مبنى الكاپيتول (الكونجرس) بواشنطن(١٢١)، برغم الأمطار، عددًا من الجماهير وصل إلى أربعين ألفًا»(١٢٢).

حينما اقترح جراهام فى البداية فكرة الصلاة عند درجات سلم الكونجرس، قيل له أن ذلك أمر مستحيل، حيث إن هناك فصلاً بين الكنيسة والدولة فى الدستور الأمريكى. كان جراهام يهدف إلى هدم حائط الفصل ذاك خطوة إثر خطوة. وفى الخطوة الأولى، نجح فى الحصول على موافقة الكونجرس بالسماح له بعقد «الصلاة

الدينية الرسمية الأولى على أدراج الكاپيتول»[١٢٣]. لقد كانت تلك الموافقة إشارة واضحة على أن المكانة الرفيعة والشعبية والقوة الناشئة لحركة الأصولية قد نجحت فى إنجاز فوز استراتيجى على حائط الفصل.

يتضح النفوذ المتزايد لجهود جراهام الرامية إلى تضييق هوة الفصل بين الكنيسة والدولة، من حقيقة أن حوالى ثلث أعضاء مجلس الشيوخ وربع أعضاء المجلس قد طلبوا مقاعد خاصة فى صلواته فى مبنى الكاپيتول. وفى تلك الصلوات نجح جراهام فى تطوير علاقات صداقة مع ليندون جونسون وريتشارد نيكسون، اللذين أصبحا فيما بعد رؤساء. وبمساندة مثل تلك الشخصيات صاحبة النفوذ لجراهام، استطاع بسهولة أن يحصل على إذن لعقد جلسات الصلاة فى البنتاجون أيضًا. هذا الدعم المتنامى من قبل السياسيين، كان إما بسبب ورعه، أوبسبب أنهم شعروا أنه من الحصافة أن ومن المفيد لعملهم أن يتماثلوا مع شخصية جراهام.

كان موعد انعقاد الانتخابات الأمريكية فى عام ١٩٥٢م، وفى عام ١٩٥١م، أطلق جراهام وعيدًا صارخًا من منطلق قوة الناخبين الأصوليين. لقد قال «إن مسيحيى أمريكا لن يظلوا متعطلين خلال الحملة الرئاسية الانتخابية لعام ١٩٥٢م. (إنهم) سيذهبون للتصويت ككتلة واحدة لانتخاب من له برنامج انتخابى ذى أخلاق وروحانية أقوى، بغض النظر عن آرائه فى القضايا الأخرى. أعتقد أننا يمكننا أن نقبض على ميزان القوة. إن هذه الكتلة، كما أقترح، يمكن أن تبذل جهدًا منسقًا، حيث يمكن لأعضاء الكنيسة أن يتبعوا «تعليمات قادتهم الدينيين»[١٢٤].

فى الانتخابات الرئاسية لعام ١٩٥٢م، أراد الحزب الجمهورى ترشيح دوايت أيزنهاور الذى كان مترددًا[١٢٥]. من خلال المراسلات واللقاءات، استطاع جراهام بشكل قوى إقناع أيزنهاور بقبول العرض ودخول الحملة الرئاسية[١٢٦]. لقد نجح جراهام فى إقناع أيزنهاور، والباقى يعرفه التاريخ. لقد حدث خلال فترة إدارة أيزنهاور فى عام ١٩٥٤م، أن أضيفت كلمات «تحت الله ـ Under God» كعهد للولاء لعلم الولايات المتحدة[١٢٧]. على الرغم من ذلك، فيجب الاعتراف بأن أيزنهاور كان يتمتع بفهم أوسع كثيرًا للإيمان والدين فى سياق المجتمع الأمريكى والحكومة، حيث

أعلن، «إن حكومتنا لن يكون لها معنى ما لم تؤسس على شعور دينى عميق ـ ولا أهتم بما يكون»(١٢٨).

ولهذا، مع نهاية النصف الأول من القرن العشرين، كان بيلى جراهام وحلفاؤه قد استعادوا صورة الأصوليين، لقد تم التغلب على عائق النظام الاجتماعى غير المتعاطف، وأصبحت وسائل الإعلام حافلة بصور الإشادة بهم ومستعدة لإفراد عناوين الأخبار والتغطية الإخبارية فى وقت ذروة المشاهدة بشكل متكرر. كان يسعى السياسيون وراء أخذ بركاتهم، ولم تفتح فقط الدهاليز السياسية لهم، ولكنهم الآن أصبحوا مدعوين لهذه الدهاليز لكى ينعموا على أصحاب النفوذ بالبركات.

***

الفصل الخامس

التحدى الفكرى و الاستجابة

حينما حاول الأصوليون فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أن يؤكدوا مواقفهم الدينية، واجهوا تحديًا جادًا من قبل الفكر الليبرالى والعلمى الحديث. ولأن ذلك قد حدث فى مجتمع ديمقراطى، فقد نجم عن هذا التحدى جدال مفتوح فى أمريكا. وفى هذا الجدال لم تستطع صلابة الحجج الأصولية والتى وجدت أساسًا لها فى الكتاب المقدس أن تقف على أرض صلبة، وأجبر الأصوليون على التراجع. وفى محاولتهم للتجمع مرة ثانية واستعادة الأرض الخاسرة، كانوا مدركين تمامًا الحاجة لتطوير قوتهم الفكرية وتفوقهم. ولتحقيق هذا الهدف، تبنى وعّاظهم وقادتهم مذهب «متعدد الشعب» كان له الملامح المميزة التالية:

١ ـ الرعاية الواعية لثقافة القراءة على مستوى القاعدة، وتشجيع الكتابة. كان القادة الأصوليون يكتبون بشكل دائم وينشرون الكتب والمقالات. كان الوعاظ أنفسهم يقرأون بتوسع ويناقشون الكتب فى مواعظهم وشجعوا أتباعهم على القراءة. بالإضافة إلى ذلك، انتشرت المجلات الأصولية والجرائد والنشرات بتوسع فى مجتمعاتهم عبر البلاد. «واليوم، فإن إحدى نتائج ذلك أن الكتب المباعة للبروتستانت المسيحيين بشكل دورى، تفوق فى بيعها تلك التى تظهر فى قوائم النيويورك تايمز لأفضل الكتب مبيعًا»[١٢٩].

٢ ـ تأسيس معاهد لاهوتية قوية ومعاهد لدراسة الكتاب المقدس[١٣٠].

أخذ الأصوليون قضية المعرفة مأخذًا جادًا، وبدأوا فى التأكيد على أهمية الوصول إلى مستوى عال من التعليم فى كل المستويات. وكنتيجة لذلك، انتشرت الكليات والمعاهد الأصولية المعتمدة على الجمع بين الدين والتعليم الحديث عبر الولايات المتحدة. كان هناك اهتمام خاص بالمعاهد الثانوية اللاهوتية ومعاهد الكتاب المقدس.

ومع حلول عام ١٩٣٠م، كان معهد موودى للكتاب المقدس قد درب حوالى سبعين ألف طالب لكى يعملوا كقساوسة وموسيقيين تابعين للكنيسة وموجهين تعليميين ومعلمين فى مدارس الأحد، ومبشرين. لقد قام المعهد أيضًا بنشر صحافة قوية، وقام بدعم المؤتمرات، وأدار محطة برامج مسيحية للراديو. كذلك تمتع كل من معهد الكتاب المقدس بلوس أنچليس (BIOLA) ومعهد فولر اللاهوتى بسمعة طيبة. وبين آخر ما يمكن أن يضم للقائمة جامعة ليبرتى، والتى أسسها جيرى فالويل عام ١٩٧١م فى مدينته لينشبرج بڤيرجينيا. كانت الجامعة تحمل شعار: «تحدٍّ عقلك... نمِّ إيمانك»[١٣١].

٣- الهجوم على الليبرالية من خلال تصوير الإنسانية العلمانية بوصفها ديانة.

لقد خسر الأصوليون الجولة أمام الحداثيين فى بداية القرن العشرين على أساس فكرى. لقد كانت مشكلتهم الأساسية أنهم قاموا بتحدى العلوم الحديثة على أساس حقائق الكتاب المقدس بوصفه الحقيقة النهائية. فى النصف الثانى من القرن العشرين، قاموا بتغيير استراتيچيتهم وجادلوا بدلاً من ذلك بأن الأيديولوچيات الليبرالية يعتبرها الفكر العلمانى ديانة[١٣٢]. ولقد كان ذلك يعنى أن الرؤية الليبرالية العالمية والنموذج، جاءت فعليًا من الأسس الفلسفية للفكر العلمانى. ألهم هذا الهجوم على الليبرالية كتبا منشورة تحت العناوين الآتية: المنار المسيحى، الجوهرى، البطل الصليبى، أعمال الملك، الصراع، المدافع، والديناميت[١٣٣].

كان فرانسيس شايفر هو المخطط الرئيسى لهذا الموقف الفكرى[١٣٤]. لقد قام بتأليف نحو ثلاثين كتابًا على مدى حياته، وكان أكثرها تأثيرًا «البيان المسيحى»[١٣٥]، والذى كتبه لخدمة الحركة الإيڤانجليكية، كما قام البيان الشيوعى بخدمة الحركة الشيوعية، ولقد قدم فرانسيس شايفرفى كتابه «البيان المسيحى» عرضا ثانيًا جديدًا ومقنعًا لمبادئ الإيمان المسيحى - مكتوب بصيغة مفردات القرن العشرين، حيث أبرز فيه، طبقًا لإدراكه للاحتياجات المعاصرة، دعوة لعمل الحوارية للحوارية المسيحية الراديكالية[١٣٦].

كان هدف شايفر الرئيسى التأسيس لفكرة تفوق الفكر الأصولى المسيحى على الفكر الليبرالى. لقد عمل من أجل هذا الهدف طيلة حياته، وكانت له استراتيچية ذات شعبتين: أولاً: كان يرى نفسه بوصفه مفكرًا أيديولوچيًا للأصولية المسيحية. ثانيًا:

كان نشطًا يعمل من أجل قضية نشر التعليم والوعى بين أفراد شعبه . وفى إطار المهمة التى حمّلها لنفسه ، والتى تسعى لتعليم الأصوليين المسيحيين ، قام بتشجيع شعبة لتأسيس الجمعيات المسيحية من أجل دراسة الكتاب المقدس والتفكير فى القضايا المهمة . ومن أجلهم قام بنشر دليل الدراسة ، وقام بإنتاج الأفلام التعليمية والمسلسلات التليفزيونية . وكنتيجة لذلك ، أصبحت جمعية دراسة الكتاب المقدس (CBS) مألوفة فى كل أنحاء الدولة .

وكأيديولوچى ، وضع شايفر مكانة الأصولى فى سياق عالمى معاصر من خلال مهاجمة الفكر العلمانى بوصفه الديانة الخاصة بالليبراليين . لقد أشاع مسألة الفكر العلمانى بين الناس بوصفه ديانة هدامة ومعادية للمسيحية ، وذلك فى كتبه وخطبه ومن خلال عمله كناشط يدعو لاتخاذ الإجراءات الفعّالة لتحقيق أهدافه الدينية(١٣٧) . لقد كان يعلم أن فكر الحضارة الغربية والتراث الثقافى للفترة الرومانية الإغريقية حتى ذلك الوقت يكمن وراء الفكر العلمانى . كان يعتقد أن الفكر الليبرالى الغربى المعاصر هو قمة ذلك التراث التراكمى . ولهذا ، فإن الهجوم على الليبرالية لن يكون مؤثرًا إلا إذا كان يؤسس بشكل واضح للأخطاء التى حدثت فيما يتعلق بالتاريخ الثقافى للحضارة الغربية ، بدءًا من اليونانيين حتى تلك اللحظة . لقد أسس لهذا الطرح فى كتابه «كيف ينبغى إذن أن نعيش؟ ـ صعود وانحدار الفكر والثقافة الغربيين» . لقد كان يهدف إلى « . . قياس كل السلوكيات الأخرى السائدة ضد الحقيقة المطلقة للإيمان المسيحى» . وبالتالى ، كان منهجه للفلسفة الإغريقية ـ الرومانية هو أن يقابل بين «ضعفها» ضد «قوة» المسيحية(١٣٨) . لقد تبع شايفر آخرون مثل هال ليندسى ، تيموسى لاهاى ، أونالى ماكجرو ، . . إلخ . . . الذين أوضحوا المواقف الأصولية تجاه مختلف القضايا .

أساس القوة بالنسبة للأصولية المسيحية

عند هذه النقطة يبرز بشكل طبيعى السؤال الآتى : ما هى قاعدة القوة التى تستند عليها الأصولية الأمريكية المسيحية؟

يتضمن مصطلح أساس القوة ما يلى :

(١) الفلسفة أومجموعة المعتقدات.

(٢) طبيعة الناس الملتزمين بها.

تمثل قاعدة القوة للأصولية الأمريكية فى مجموعة من البروتستانت يدعون «الإيڤانجليكيون». إن الإيڤانجليكية هى ظاهرة فريدة فى البروتستانتية. على الرغم من ذلك، وينبغى ملاحظة ما يلى:

(أ) كل الإيڤانجليكيين هم پروتستانت، ولكن ليس كل پروتستانتى هو بالضرورة إيڤانجليكيًا.

(ب) يمكن للإيڤانجليكى أن ينتمى لأى طائفة پروتستانتية أو كنيسة رئيسية.

بالمعنى الواسع لها، تنادى الإيڤانجليكية بوحدة المفاهيم البسيطة. طبقا لمارسدن، سيكون البروتستانت المنتمون لأية طائفة إيڤانجليكيين إذا ما قاموا بالتأكيد على التعاليم التالية[١٣٩]:

* «المذهب الإصلاحى للمرجعية الأعلى للكتاب المقدس».

* «الطبيعة التاريخية الحقيقية لإنقاذ الله لعباده والمدونة فى الكتاب المقدس [تجسد الله فى المسيح، وصلب المسيح]».

* «الخلاص الأبدى فقط من خلال الثقة الشخصية فى المسيح».

* «أهمية الإيڤانجليكية والأنشطة التبشيرية».

* «أهمية (الذات) من خلال حياة روحانية متحولة (التحول أو الولادة ثانيًا، أو من جديد)».

لقد حذر الخبراء بأن الأمر سيكون مضللاً إذا تحدثنا عن الإيڤانجليكية كظاهرة موحدة فى جملتها من خلال أخذ مظهر بارز واحد وتعميمه على كل الإيڤانجليكيين. يفضل تيموثى إل. سميث - وله باع طويل فى الإيڤانجليكية - أن يصفها بأنها كيان من الموزاييك، مدركا التنوع داخل الوحدة[١٤٠].

لقد توسع الإيڤانجليكيون فيما يخص أهمية الذات بشكل متطرف، حيث أخذت الذات معنى جديدًا فيما يتعلق بتعاليم الحياة المتحولة روحيًا.

«مع قليل من الاستثناءات، يؤمن المحافظون المتدينون بالتحول، عمل الإيمان والغفران، والذى من خلاله يعبر الآثمون من الخطيئة إلى حالة من الخلاص الدائم. وباستثناءات قليلة، جربوا التحول بأنفسهم، وقد ولدوا ثانية فى لحظات التحول الجذرية، والتى تغير حياتهم كلية. ولهذا فإن التحول (تجربة أن تولد ثانيًا، أو من جديد) يكمن فى جوهر شخصياتهم. تحول تلك التجربة شخصياتهم وتغير حياتهم. والأكثر من ذلك، أنها تعمل كنقطة بداية لبناء حس ليس فقط بالاستقلال الذاتى والهوية، ولكن أيضًا بالنظام الاجتماعى والهدف العملى»[١٤١].

وبهذا المنطق يرى روبرت زواير الفعالية الخاصة باليمين المسيحى بوصفها «سياسة الولادة ثانيًا، أو من جديد»[١٤٢].

ظاهرة التحول التى عرفت بشكل عام بوصفها «الولادة ثانيًا، أو من جديد»، هى جوهر الإيڤانجليكية. يقول ويليام مارتن واصفًا هذا المفهوم بأسلوب بسيط، «. . . لهؤلاء الذين يتداولونه، يشير مصطلح «ولد ثانيًا، أو من جديد» إلى نقطة فى حياتهم حينما بدأوا جديًا بالنظر لأنفسهم باعتبارهم مسيحيين»[١٤٣]. بجانب كونها ظاهرة روحانية، فإن هذه التجربة لها عدد من المعانى الضمنية للفرد، (١) يكتسب الفرد السيطرة على (الذات) بالمقارنة بالحياة التى عاشها فى البداية هائمًا على وجهه، (٢) يكون لديه حس بالانتماء للآخرين الذين مروا أيضًا بتجربة الولادة ثانيًا، أو من جديد. هذا الحس بالانتماء هو ظاهرة عبر طائفية. ولهذا يشعر كل الإيڤانجليكيين أنهم أبناء جماعة واحدة بغض النظر عن الكنائس أوالطوائف التى ينتمون إليها، (٣) الشعور بدافع قوى لحث الآخرين على التحول (الآخرون ليسوا فقط المسيحيين فقط ولكن غير المسيحيين أيضًا). وهكذا، تلهم الإيڤانجليكية روحًا تبشيرية قوية جدًا بين الأصوليين وهى مصدر قوى للوحدة عبر الطائفية بينهم.

فى الحملة الرئاسية لعام ١٩٧٦م، أعلن المرشح الديمقراطى چيمى كارتر أنه مسيحى ولد ثانيًا، أو من جديد. وكان من شأن هذا الإعلان أن بدأ الجدال العام الكبير عن كون المرء «مولودًا ثانيًا، أو من جديد». لم تكن أغلبية الناس تعلم الكثير عن هذه الظاهرة فى ذلك الوقت، ولهذا كان هناك شغف عام لمعرفة هذا الأمر. فى صلاة عامة

أذيعت عبر التليفزيون فى عام ١٩٧٦م، شرح بيلى جراهام أصل العبارة المستقى من الكتاب المقدس. وقد أشار ويليام مارتن لهذا الشرح كما يلى: «فى الإصحاح الثالث من إنجيل يوحنا، جاء ما يلى: «غير أن إنسانًا من الفريسيين اسمه نيقوديموس، وهو عضو فى المجلس اليهودى، جاء إلى يسوع ليلا وقال له: «يا معلم، نعلم أنك جئت من الله معلّمًا؛ لأنه لا يقدر أحد أن يعمل ما تعمل من آيات إلا إذا كان الله معه». فأجابه يسوع: «الحق الحق أقول لك: لا أحد يمكنه أن يرى ملكوت الله إلا إذا وُلد من جديد». فسأله نيقوديموس: «كيف يمكن الإنسان أن يولد وهو كبير السن؟ ألعله يستطيع أن يدخل بطن أمه ثانية ثم يولد؟» أجابه يسوع: «الحق الحق أقول لك: لا يمكن أن يدخل أحدٌ ملكوت الله إلا إذا ولد من الماء والروح. فالمولود من الجسد هو جسد، والمولود من الروح هو روح»(١٤٤)- إنجيل يوحنا: ٣: ١-٦.

يمثل فهم الخطيئة، ثم أن يتم إنقاذك من خلال ولادتك ثانيًا، أو من جديد، خبرة مشتركة بين كل الإيڤانجليكيين، وتساهم بشكل قوى جدًا فى تشكيل وجهات نظرهم فى المجتمع وما حولهم. «بالنسبة لفالويل الأصولى، الخطيئة هى أمر أصلى وموروث، تناقلته البشرية من آدم منذ بداية العالم»(١٤٥). يحكى فالويل عن جده الذى كان «مجاهرًا بالإلحاد» وكان يكره الوعّاظ ويرفض الذهاب للكنيسة. قتل والد جيرى فالويل ويدعى كيرى فالويل أخاه فى مشاجرة كلامية فى نطاق الأسرة، ولم يشف قط من الشعور بالذنب. إن المعاناة من هذا الشعور بالذنب جعلت منه مدمنًا للكحول. يشعر فالويل أنه ورث آثام والده. «إنه يفكر فى حياته الخاصة وكأنها صراع مستمر مع الشيطان»(١٤٦).

هذا الوعى بالخطيئة سواء كان يخص المرء ذاته أو المجتمع، هو الذى يجلب كل «المولودين ثانيًا» معًا ويمنحهم رابطة طبيعية مشتركة للاتحاد كجماعة لقيادة المعركة ضد الخطيئة فى المجتمع وحول العالم. على الرغم من ذلك، كان الإيڤانجليكيون كأفراد مشتتين ولم يكن لهم أية بنية هيكلية رسمية.

* * *

الفصل السادس

شبكة الله، والقيصر، والمخلص

شكل الأمريكيون الإيڤانجليكيون « . . . ربع عدد السكان الإجمالي في الولايات المتحدة وحوالي خمسى البروتستانت»(١٤٧). ليس لديهم بنية رسمية، أو منظمة مركزية هرمية عالميًا (على عكس الكنيسة الكاثوليكية الرومانية). لديهم مجموعة من المنظمات الشاملة التي تتصل عبر شبكات بالكنائس الإيڤانجليكية المنتشرة عبر الولايات المتحدة، وحول العالم أيضًا. وتندرج تحت تلك المنظمات التي تعمل كمظلات أسماء مثل: المجلس الأمريكي للكنائس المسيحية (ACCC) والذي تأسس عام ١٩٤١م، والمؤسسة القومية للإيڤانجليكيين (NAE) والتي تأسست عام ١٩٤٢، والمجلس العالمي للكنائس المسيحية (ICCC)، والذي تأسس عام ١٩٤٥م. . إلخ(١٤٨). تمثل تلك المنظمات مختلف الطوائف والكنائس، بما في ذلك الكنائس المستقلة. لقد تطور هيكلها التنظيمي عبر السنوات، حيث يصفها چورچ مارسدن، أستاذ تاريخ الكنائس الأمريكية في الكلية اللاهوتية بجامعة ديوك:

«يشبه الهيكل هنا بشكل ما النظام الإقطاعي للعصور الوسطى. إنه يتشكل من إمبراطوريات متنافسة، تربط بينها صداقات سطحية قام بتأسيسها الزعماء الإيڤانجليكيون المتنافسون على الجمهور، ولكنهم جميعًا يعترفون بالولاء للملك واحد. ولهذا نجد إمبراطوريات تحيط بالشخصيات الأمريكية الكارزمية الإيڤانجليكية التي تؤدي الصلاة عبر شاشات التليفزيون، مثل بيلي جراهام، جيري فالويل، أورال روبيرتس، پات روبرتسون، جيم بيكر، جيمي سواجارت، وآخرون يظهرون عبر التليفزيون(١٤٩).

ويرجع لهؤلاء التلي إيڤانجليكيين [الذين يعظون عبر التليفزيون] الفضل في إحياء الحركة الأصولية الأمريكية في النصف الثاني من القرن العشرين. على الرغم من ذلك، فما جعل منهم شخصيات فريدة هو أنهم على الرغم من انتمائهم لطوائف

مختلفة، فإنهم جميعا تحت مظلة الكنيسة الإلكترونية. يمكن تقدير مدى الكنيسة الإلكترونية من خلال حقيقة أنه مع نهاية عقد السبعينيات « . . . شبكة الوعّاظ التليفزيونيين والتى تكونت من ١٣٠٠ محطة راديو وتليفزيون، تدّعى أن لديها جمهوراً يصل إلى ١٣٠ مليون مشاهد، وتفتخر بأن أرباحها تتراوح ما بين ٥٠٠ مليون دولار إلى البلايين من الدولارات»(١٥٠).

على الرغم من أن التلى إيڤانجليكيين [الذين يعظون ويؤدون الصلوات عبر التليفزيون] لديهم أتباع من الإيڤانجليكيين يقدرون بالملايين، فلم يستخدموهم قط كأدوات سياسية فى عقدى الخمسينيات والستينيات؛ لأنهم كانوا يؤمنون بسياسة عدم التدخل فى السياسة. فى عام ١٩٦٥م، قال فالويل: «نحن ندفع ضرائبنا، وندلى بأصواتنا الانتخابية كمسئولية من مسئوليات المواطنة، ونطيع قوانين البلاد، ونقوم بالأشياء الأخرى المطلوبة منا، نحن واعون بأن غرضنا الوحيد على الأرض هو معرفة المسيح وأن نجعله معروفًا»(١٥١). ولكن مع نهاية عقد السبعينيات، تغير مزاجهم وتخلوا عن موقفهم الأول الداعى لعدم التدخل فى السياسة. بدلاً من ذلك، بدأوا بشكل حماسى اقتحام أبواب الساحة السياسية الأمريكية. الأمر الأكثر إثارة للدهشة هو ظهور الأعداد الكبيرة من النشطين من حملة الكتاب المقدس، الذين منذ بداية الثمانينيات كانوا يشاهدون بأعداد كبيرة غير مسبوقة فى تجمعات المؤتمرات الحزبية، وتجمعات الحملات الانتخابية، واجتماعات الأحزاب.

أعلن ماريون پات روبرتسون الواعظ الإيڤانجليكى عبر التليفزيون أن «لدينا عدداً كافيًا من الناخبين لإدارة البلاد» ويبدو أن الكثيرين قد صدقوه. وفى ليلة الانتخابات استنتج مستطلع الرأى لويس هاريس أن التابعين للوعاظ التليفزيونيين قد أعطوا رونالد ريجان هامش الفوز، وأنهم أسهموا أيضًا فى هزيمة قائمة طويلة من المرشحين الليبراليين(١٥٢).

الانتخابات الرئاسية لعام ١٩٧٦م: الناخبون الإيڤانجليكيون والمرشح «المولود من جديد»

جرت الانتخابات الأمريكية لعام ١٩٧٦م، على خلفية من الأزمات والفضائح التى

هزت ثقة الناس فى حكومتهم ومؤسسة واشنطن السياسية. لقد بدأ الأمر بفضيحة ووترجيت. وفى أثناء التحقيقات الخاصة بووترجيت، استقال سپيرو آجنيو نائب الرئيس، بسبب تهم الرشوة والممارسات المالية الفاسدة. تولى جيرالد فورد منصب آجنيو. ثم أجبر الرئيس نيكسون على الاستقالة بسبب فضيحة ووترجيت وتم استبداله بفورد. وبعد شهر واحد من حصوله على السلطة كرئيس، قام فورد بمنح العفو الكامل لنيكسون. صدم هذا العفو السريع الأمة وأثار التساؤلات حول مصداقية فورد ذاته[١٥٣].

فى الانتخابات الرئاسية لعام ١٩٧٦م، واجه الرئيس الديمقراطى فورد تحديًا من قبل المرشح الديمقراطى چيمى كارتر، المحافظ السابق لچورچيا. كانت الفكرة الأساسية لحملة كارتر مبنية على عدائه لواشنطن. لقد كان شعاره يتلخص فى كونه مرشحًا من الخارج وينوى ترتيب واشنطن وتخليصها من الفوضى. كما أعلن كارتر أيضا أنه مسيحى ولد من جديد. وأخذًا فى الاعتبار الحالة المزاجية للأمة التى تلت فضيحة ووترجيت، وإعلان كارتر بأنه «مسيحى ولد من جديد»، أدرك بيلى جراهام حاجة اللحظة وأخبر جمهوره عبر التليفزيون أن أمريكا كانت تمر بتجربة «. اشتياق قومى عميق، تحول باتجاه الروحانية وحنين للفضيلة. يريد الأمريكيون يريدون الصفات الروحانية أكثر من أى شىء آخر فى رئيسهم هذا العام»[١٥٤]. بالنسبة لجمهور فالويل الإيڤانجليكيين، أن تكون «مولودًا من جديد» كان يعنى الشرط المسبق للروحانية، وكارتر قد أصبح مولودًا من جديد كما أعلن بنفسه. ولهذا فقد كان حماس الإيڤانجليكيين عظيمًا للغاية تجاه كارتر، لدرجة أنه فى خطاب رئيسى أمام خمسة عشر ألفا من القسس والعامة فى المؤتمر المعمدانى الجنوبى، أعلن بيلى سميث، الرئيس القادم للمنظمة ذات الشعبية الواسعة، أن البلاد تحتاج إلى «رجل مولود من جديد فى البيت الأبيض. حيث تكون حروفه الأولى مثل حروف إلهنا»[١٥٥]. لقد حظى كارتر دعمًا وثيقًا أيضًا من پات روبرتسون، الواعظ التليفزيونى الأكثر شعبية[١٥٦].

ومع بدء الإيڤانجليكيين فى الشروع فى الاهتمام النشط بالحملة الرئاسية، أشار تقرير لاستطلاع الرأى من معهد جالوپ، بأن عددًا يقدر بخمسين مليون أمريكى يمكن أن

يصنفوا بوصفهم إيڤانجليكيين، وأعلنت النيوزويك أن عام ١٩٧٦م هو «عام الإيڤانجليكيين»[١٥٧]. وخلال حملته، سئل كارتر عن ديانته، وكان رده يحتوى دائمًا على ثلاث نقاط: أولاً: تحوله، ثانيًا: أهمية الإيمان الدينى كمصدر للقوة الأخلاقية للقائد السياسى، ثالثًا: التزامه بالفصل بين الكنيسة والدولة[١٥٨]. أخيرًا، فى نوڤمبر ١٩٧٦م، فاز كارتر، هازمًا فورد بهامش نقاط ٢٪ فقط من الأصوات الانتخابية الشعبية. وفى تلك الانتخابات تفوق كارتر على فورد فى صناديق الاقتراع بين المعمدانيين البيض بنسبة ٥٦٪ فى مقابل ٤٣٪. لقد أعطاه الإيڤانجليكيون هامش الفوز ليس فقط فى الجنوب (حيث سانده أيضا الاعتداد الإقليمى بالنفس) ولكن أيضًا فى ولايات شمالية مهمة مثل پنسلڤانيا وأوهايو التى تتميز بعدد سكانها الريفى الكبير الذى عادة ما يمنح صوته للجمهوريين. ولأن أفضلية كارتر القومية فى الصوت الشعبى كانت ٢٪ فقط، فمن العدل القول بأنه يدين بالفضل فى انتخابه للإيڤانجليكيين (وأيضًا بالطبع للسود واليهود والجماعات الأخرى التى فضلته بهامش كبير)[١٥٩]. وعد كارتر خلال حملته الانتخابية بأنه « . . إذا ما تم انتخابه، فإنه سيقوم بتعيين الأكفاء من الإيڤانجليكيين المسيحيين فى مناصب فى الحكومة الفيدرالية»[١٦٠]. وبعد فوزه، فإن إدارة كارتر ليس فقط لم تف بالوعد، ولكنها حتى لم تتبع أولويات الأچندة الإيڤانجليكية فى قضايا مثل الإجهاض، الصلاة فى المدارس. . إلخ. بدلاً من ذلك، ذهب البيت الأبيض بزعامة كارتر فى الاتجاه العكسى من خلال دعم (تعديل الحقوق المتساوية) ERA[١٦١]، والدعم المالى الفيدرالى للإجهاض، حقوق الشواذ. . إلخ. وعلى الرغم من أن سياسات إدارة كارتر كانت مخيبة للآمال بالنسبة للإيڤانجليكيين، فإنهم وجدوا فى الوقت ذاته فى انتخابات عام ١٩٧٦م فرصة غاية فى الثراء، حيث أكدت لهم أنهم إذا عملوا بشكل منظم، فستكون لديهم السلطة الضرورية للتأثير على نتائج الانتخابات لصالحهم وبشروطهم.

زواج الأصوليتين الاقتصادية والمسيحية

الحزب الجمهورى «يولد من جديد»

لقد دافعت زعامة الحزب الجمهورى بشكل تقليدى عن الاتجاه المحافظ فى مجالات

السياسة المحلية الاقتصادية والسياسة الخارجية. وفى عقد السبعينيات، عانى الحزب من انتكاستين خطيرتين: كانت الأولى فضيحة ووترجيت، وكانت الثانية العفو الكامل الذى أصدره الرئيس فورد عن الرئيس نيكسون. لقد أغضب ذلك الناخبين وأدى إلى فقدانهم الثقة فى المؤسسة السياسية فى واشنطن. ولهذا السبب، قام كارتر، وهو خارج عن تلك المؤسسة، بإدارة برنامجه الانتخابى تحت شعار معارض لمؤسسة واشنطن، وانتهى الأمر بفقدان فورد، الرئيس الأمريكى فى ذلك الوقت، منصبه عام ١٩٧٦م. ومع اقتراب الانتخابات الرئاسية لعام ١٩٨٠م، كان هناك فكر جديد ينشأ فى الحزب. تسعى السياسات الاستراتيجية للجمهوريين نحو البحث عن قضايا صائبة يمكن للحزب أن ينتصر فيها ويجمع حوله مساندة الأغلبية للفوز بالبيت الأبيض عام ١٩٨٠م.

فى السادس من يونيه عام ١٩٧٨م، وافق ناخبو كاليفورنيا على الاقتراح ١٣ والذى كان يهدف بشكل رئيسى إلى تخفيض الضرائب على الممتلكات، التى أصبحت غير محتملة بالنسبة لكثير من العاملين بالولاية(١٦٢). إن تمرير الاقتراح ١٣ فى كاليفورنيا كان له تأثيره على السياسات القومية. فى عام ١٩٧٨م عبّر الناخبون فى انتخابات الكونجرس عن مزاج جديد للاتجاه المحافظ الاقتصادى الناشئ. لقد هُزم الكثير من الأعضاء الليبراليين البارزين فى الكونجرس فى محاولتهم لإعادة الانتخاب واستبدلوا بجمهوريين معروفين باتجاههم المحافظ القوى. انتخبت الولايتان الليبراليتان الرئيسيتان، كاليفورنيا وماساشوسيتس، شخصيتين ملتزمتين بالاتجاه المحافظ فى المجال الاقتصادى لمنصب محافظ الولاية. اتضحت هذه الموجة المحافظة فى المجالات الاجتماعية أيضًا، كما كان مبينًا فى الدعم العظيم للصلاة فى المدارس والموقف المعارض لإباحة الإجهاض. أجبر هذا المد الجديد للاتجاه المحافظ كارتر على التحرك إزاء اليمين المحافظ خلال العامين المتبقيين من فترة رئاسته، بشكل معارض للعامين الأولين. وفى عام ١٩٧٩م، اتبعت بريطانيا هذا الاتجاه بانتخاب مارجريت تاتشر، المحافظة، كرئيسة للوزراء(١٦٣).

ومع اقتراب انتخابات الرئاسة لعام ١٩٨٠م، كان هناك صراع خطير على السلطة داخل الحزب الجمهورى. لقد بدأ هذا الصراع ـ منذ عقد ونصف، بشكل رئيسى، إبان

الحملة الرئاسية فى عام ١٩٦٤م للمرشح الرئاسى الجمهورى لأريزونا السيناتور بارى جولدووتر. كان جولدووتر بطل كل من الاتجاه الاقتصادى المحافظ والاتجاه الأصولى الدينى بفضل موقفه طيلة حياته وإسهامه فى عدد من القضايا اليمينية(١٦٤):

١ ـ وافق على موقف السيناتور ماكارثى المعادى للشيوعية وقام بإلقاء خطاب لصالح المكارثية(١٦٥).

٢ ـ اقترح انسحاب الولايات المتحدة من الأمم المتحدة إذا ما منحت الصين الشيوعية عضوية المنظمة.

٣ ـ هدد بتدمير الصين فى حرب نووية إذا ما فكرت الصين فى استخدام أسلحتها النووية، حيث كانت هناك إشاعات فى ذلك الوقت أن الصين تقوم بتطوير قنبلتها النووية.

٤ ـ اهتم بالمدارس المتكاملة ولكنه اعتبر تطبيق الدمج العرقى بشكل إلزامى هو إجراء يعمل ضد سيادة الولايات.

٥ ـ قام بالتصويت ضد قانون الحقوق المدنية.

٦ ـ كان مساندًا قويًا للتجارة الحرة ورأسمالية السوق، ودعم الصلاة وقراءة الكتاب المقدس، مما أدى إلى ابتهاج الأصوليين.

كانت آراء جولدووتر راديكالية، وأدت بالتالى إلى معاناته من الهزيمة النكراء. كانت هناك معارضة قوية لتلك الأفكار داخل المؤسسة الحزبية، والتى تبنت مواقف ليبرالية إزاء الكثير من تلك القضايا. ولقد شن نيلسون روكفيلر محافظ نيويورك هجومًا عنيفًا على تلك الميول ووصفها بأنها «يمينية راديكالية»، وعبر عن مخاوفه بأن الحزب الجمهورى فى «خطر حقيقى حيث هناك محاولة لتخريبه من قبل أقلية راديكالية، ممولة جيدًا، ومنظمة على درجة عالية»(١٦٦).

وخلال حملة جولدووتر، ظهر ريتشارد ڤيجوريه، وهو نشط من اليمين الراديكالى، كمنظم مميز، وجامع تبرعات مؤثر. بعد هزيمة جولدووتر، استخدم قائمة تحتوى على ١٢ ألف مساهم لحملة جولدووتر وخلق شبكة واسعة من المحافظين

والراديكاليين مكونة من أربعة ملايين مساهم وخمسة عشر مليونًا من المؤيدين(١٦٧). وبعد هزيمة جولدووتر عام ١٩٦٤م، استعاد الصراع بين الجناحين الراديكالى والليبرالى للحزب الجمهورى نشاطه مجددا. كان رونالد ريجان من بين قادة الجناح الراديكالى البارزين، وممثلٌ من هولى وود كان ينتمى من قبل للحزب الديمقراطى(١٦٨). لقد جذب انتباه القيادة الجمهورية بفضل خطابه التليفزيونى بمناسبة حملة جمع تبرعات لحملة جولدووتر، حيث كان خطابًا مؤثرًا. أفكاره التى تناولت «الحكومة القوية والحق فى حمل أسلحة وخفض الضرائب والإصلاح الرامى لتحقيق الرفاهية»(١٦٩) جعلته يفوز بدعم القيادة الجمهورية ذات النفوذ فى كاليفورنيا. وبدعمهم هذا حصل على الترشيح الجمهورى لمنصب حاكم كاليفورنيا، وفاز بالمنصب عام ١٩٦٦م. وقد سلط ذلك عليه الضوء قوميًا. لخص ريجان فلسفته كما يلى: «إذا لم نقم نحن الناس العاديين بإدارة الحكومة فإن الحكومة، سوف تديرنا»(١٧٠). كان الجناح الليبرالى للحزب الجمهورى مساندًا لنيلسون روكفيلر حاكم نيويورك.

فى عام ١٩٦٨م، انتخب نيكسون رئيسًا. لقد كان من الجناح الليبرالى للحزب ولم يكن الراديكاليون سعداء به. لم يكن ريتشارد ڤيجوريه، وهيوارد فيليپس، وپول ويريتش النشطاء الجمهوريون الراديكاليون راضين عن مؤسسة الحزب الليبرالية. كانوا يرغبون فى بناء حزب جمهورى جديد، بحيث تكون أغلبية أعضائه من المدافعين عن الجناح اليمينى الراديكالى وأچندة السوق الحر، وبالتالى عن قيادة جديدة للحزب التى سوف تتبع تلك الأچندة. لقد منحتهم فضيحة ووترجيت تلك الفرصة. اكتشاف المزاج العام للأمة، فى «. . . عام ١٩٧٤م، شكل فيجوريه وفيليپس حملة لإقالة الرئيس، كان دافعهما كراهية ليبرالية نيكسون وليس انحرافاته وفضيحة ووترجيت. لقد كانا حتى أقل سعادة بجيرالد فورد، وخاصة حينما عين نيلسون روكفيلر كنائب للرئيس»(١٧١). كان قرار فورد باختيار نيلسون روكفلر القشة الأخيرة التى قصمت ظهر البعير، حيث حدث فيما بعد أن «. . نسب ڤيجوريه ولادة اليمين الجديد لهذا الحدث وحده»(١٧٢).

كان بارى جولدووتر بطل الجناح اليمينى الراديكالى حيث إنه انتصر لأچندتهم. على الجانب الآخر كان هناك عدد من القرارات السياسية الكبرى التى اتخذها الرئيس

فورد والتى كانت مناقضة تمامًا لأچندة الراديكاليين. على سبيل المثال، برنامج العفو لمقاومى التجنيد لحرب ڤيتنام، واستمرار سياسة نيكسون ـ كيسنجر التى طبقت الانفراج السياسى مع الاتحاد السوڤييتى، وتوقيع معاهدة SALT II، وعودة قناة پنما إلى پنما، وقبول حقيقة سقوط ڤيتنام[١٧٣]. كل تلك الأحداث سببت الضيق للراديكاليين الجمهوريين، وقوّت من عزمهم على شن حركة لتحدى وتغيير قيادة الحزب. كان الراديكاليون فى الحزب الجمهورى خلال فترة الستينيات وأوائل السبعينيات يشكلون تلك العناصر التى فضلت انخفاض الضرائب والإقلال من القوانين الحكومية، والسوق الحر.. إلخ. وجاء العديد منهم من أسر ثرية من الطبقة العليا، ومجتمع رجال الأعمال، وكانوا ملتزمين بالاتجاه المحافظ الاقتصادى المؤيد للسوق الحر، وأرادوا تحولاً إلى رأسمالية أكثر نقاء بشكل معارض للميل القوى باتجاه «دولة الرفاهية» والعدالة الاجتماعية، والتى كان قد دعمها بقوة شعار الرئيس جونسون «المجتمع العظيم»[١٧٤].

لما كان الراديكاليون المؤيدون لسياسة السوق أقلية، فلم يكن لهم تأثير كبير على شئون الحزب. كان تركيزهم الأساسى هو إحراز بعض الإصلاحات الاقتصادية النابعة من سياسة عدم التدخل الحكومى فى الشئون الاقتصادية، ولم يكن لديهم أية أچندة دينية مسيحية جادة. لقد كان هؤلاء الراديكاليون الاقتصاديون مجرد مجموعة صغيرة دون نفوذ كبير، حيث إن الحزب كان يسيطر عليه الليبراليون. على الرغم من ذلك، وجدت مهمة تلك المجموعة المدافعة عن الرأسمالية دعمًا كبيرًا من التدفق الهائل للإيڤانجليكيين فى النصف الثانى من عقد السبعينيات. كان الإيڤانجليكيون من الراديكاليين الاجتماعيين قد أغاروا على الحزب الجمهورى بأعداد كبيرة بخطة للوصول بها للبيت الأبيض ومبنى الكاپيتول؛ لكى يضمنوا قيام الحكومة بتنفيذ أچندتهم الدينية. لقد أراد الراديكاليون الاقتصاديون أن يتخذ الاقتصاد منعطفًا يمينيًا لكى يكون مواليًا للسوق، بينما كان الإيڤانجليكيون، ـ بصفتهم راديكاليين اجتماعيين ـ يضغطون باتجاه منعطف اجتماعى يمينى آخر لكى يجعلوا البلاد «تقية وخيرة». وبأخذ هذا التقارب فى المصالح بعين الاعتبار، فإنه إدراكًا من الأقلية المدافعة عن الرأسمالية بقوة الصوت الإيڤانجليكى فى الحزب، فقد دخلت فى تحالف مقدس

معهم[١٧٥] . يعرف هذا التحالف الآن باسم «اليمين الجديد» . يتكون من الراديكاليين الاقتصاديين الموالين لاقتصاد السوق والراديكاليين المسيحيين . وسرعان ما شد هذا التحالف عضلاته السياسية . فى الانتخابات الرئاسية لعام ١٩٧٦م، كان رونالد ريجان يتحدى فورد الرئيس الأمريكى وقتها من أجل الفوز بترشيح الحزب الجمهورى . وبمساعدة التحالف المقدس ، أعد ريجان معركة قوية للغاية ، ولكن فورد نجا منها . إلا أن ذلك جعل فورد يرى قوة التحالف المقدس . ولهذا فقد استسلم لهم فى النهاية من خلال التخلص من نيلسون روكفيلر كنائب له ووضع السيناتور المحافظ روبرت دول بدلاً منه ، وأيضًا من خلال الموافقة على برنامج انتخابى كتبه بشكل رئيسى حلفاء ريجان ، يقودهم جيسى هيلمز سيناتور شمال كاليفورنيا[١٧٦] .

كان الفوز بالحزب الجمهورى خطوة استراتيجية من قبل العناصر الراديكالية . بعدما أصابهم كارتر بخيبة الأمل وبعد سيطرتهم على الحزب الجمهورى ، أخذ واضعو الخطط الاستراتيجية الراديكالية فى الحزب الجمهورى فرصتهم فى تطوير استراتيجية منتصرة . لقد أدركوا أنه لن يقدر أى من الراديكاليين الموالين لاقتصاد السوق ، ولا الإيڤانجليكيين وحدهم ، على دفع المرشح الجمهورى إلى البيت الأبيض . ويرجع ذلك لحقيقة أن الإيڤانجليكيين كانوا مجرد فئة فرعية من الپروتستانت فى الولايات المتحدة . يقدم بروس تحليلاً للهوية الدينية لخريطة السكان الأمريكية برمتها ، وطبقًا لتحليله : « . . . فى عام ١٩٨٤م ، كان ٥٧ ٪ من الپروتستانت ، ٢٨٪ من الكاثوليك ، ٢٪ من اليهود ، ١٣٪ ينتمون لديانات أخرى أو لا ينتمون لأية ديانة على الإطلاق» . (جالوپ ١٩٨٥) ، يقترح التحليل الخاص للپروتستانت أن بين ١٥-٢٠٪ ينتمون إلى طائفة «محافظة» فى عام ١٩٨٤م . ولهذا فحتى لو تشارك كلّ الپروتستانت المحافظين فى التطلعات السياسية نفسها (الأمر الذى لا يحدث) ، وتجمعوا ككتلة واحدة ، فإنهم سيظلون فى حاجة إلى دعم الآخرين خارج هذه الكتلة ليكونوا أغلبية فى أى جماعة[١٧٧] .

ومع اقتراب انتخابات عام ١٩٨٠م ، جلس الاستراتيجيون الجمهوريون للعمل على أوسع أجندة محافظة ممكنة يمكن أن تجتذب مدى واسعًا من الجماعات المنتمية للجناح اليمينى . لقد أدركوا أنه لتوحيد جميع درجات الجناح اليمينى ، فإنه ينبغى على

الأچندة أن تواكب القضايا الاقتصادية، والأخلاقية المناصرة للأسرة، وأن تكون ضد الشذوذ الجنسى وضد الإجهاض. كان استراتيچيو الحزب يعرفون أن لديهم بالفعل الخبرة والعمالة والشبكات اللازمة لتعزيز الأچندة الاقتصادية الموالية للسوق، ولكنهم كانوا يعون أيضًا أنه تعوزهم الخبرة والمؤسسة والشبكات أو المتطوعين لكى يبرزوا ويبيعوا بكفاءة الأچندة الإيڤانجليكية بين الناخبين. لقد أدركوا أن البرنامج الانتخابى المناصر للأسرة كان مثاليًا، بحيث يضمن النجاح فى الانتخابات الرئاسية لعام ١٩٨٠م ولكن كانت هناك حاجة ملحة لجيش من المتطوعين الذين يستطيعون توصيل الرسالة من الباب للباب. كان الاستراتيچيون الذين يمثلون طوائف مختلفة، يعلمون جيدًا أنه حيث إن الإيڤانجليكيين كانوا قسمًا من البروتستانت فى الولايات المتحدة، فإن الطريقة الوحيدة التى يمكن أن ينجحوا بها هى توحيد كل الأصوليين عبر كل الأديان والطوائف(١٧٨)(*).

* * *

(*) المقصود الكاثوليك واليهود مع البروتستانت، حيث لم يكن للمسلمين وزن فى أمريكا ذلك الوقت، مع التعارض الذى يمثله المسلمون فيما يخص نهاية الزمان وسياسة الولايات المتحدة فى فلسطين وإسرائيل - المترجمة.

الفصل السابع

«الأغلبية الأخلاقية»
فى الليبرالية الديمقراطية
جيش الله لإخضاع القيصر

كان الاستراتيچيون من الجمهوريين يعتقدون أن قضية الإجهاض من بين مجموعة قيم الأسرة، هى التى يمكن أن توحد الأصوليين عبر الخطوط الإيمانية والطائفية المختلفة والتى تشمل الإيڤانجليكيين، والأصوليين البروتستانت، واليهود والكاثوليك. يمكن للكاثوليك الذين صوتوا بشكل معتاد للديمقراطيين - يمكن الآن وبشكل خاص - أن ينجذبوا إلى صفوف الحزب الجمهورى بسبب البرنامج الانتخابى العنيف المعارض للإجهاض. ولهذا ففى مايو ١٩٧٩م، قابل الاستراتيچيون المحافظون فى الحزب الجمهورى چيرى فالويل فى مدينته لينشبرج، ڤيرچينيا، لمشاركته الخطة ولكى يطلبوا منه حث وتنظيم وتعبئة الإيڤانجليكيين سياسيًا؛ دعمًا للأچندة الراديكالية الجديدة للحزب الجمهورى. وافق فالويل. وفى يونيه ١٩٧٩م أعلن تأسيس حركة بالاتحاد مع منظمة تحمل اسم «الأغلبية الأخلاقية - MM . Moral Majority»، وكان فالويل قائدا لهذه الحركة. قام فالويل بوضع قائمة بأهداف (الأغلبية الأخلاقية) كما يلى(١٧٩) : «. . . ممارسة نفوذ ملحوظ فى الاتجاه الأخلاقى والروحانى لبلادنا من خلال: (أ) تعبئة عامة الشعب من الأمريكيين الأخلاقيين فى صوت واحد واضح ومؤثر، (ب) إعلام الأغلبية الأخلاقية بما يجرى وراء ظهورهم فى الكونجرس والهيئات التشريعية الرسمية عبر البلاد، (ج) ممارسة الضغط بشكل مكثف فى واشنطن لهزيمة الجناح اليسارى، وقوانين الرفاهة الاجتماعية والتى ستؤدى إلى تآكل حريتنا، (د) دفع التشريعات الإيجابية مثل تلك التى تدعو لتأسيس وكالة حماية الأسرة، والتى ستضمن بناء أمريكا القوية، (هـ) مساعدة الأغلبية الأخلاقية فى المجتمعات المحلية على محاربة: الدعارة، الشذوذ الجنسى، اللاأخلاقية فى الكتب المدرسية بالإضافة إلى قضايا أخرى تواجه كل فرد منّا.

قامت الأغلبية الأخلاقية بتعريف نفسها بالكلمات التالية: «مؤسسة الأغلبية الأخلاقية تتشكل من الملايين من الأمريكيين، بما فيهم القساوسة والكهنة والحاخامات، القلقين بشدة بشأن الانحدار الأخلاقى لأمتنا، والذين أصابهم الضجر بشأن الطريقة التى يدمر بها أنصار الفلسفة الإنسانية من الأخلاقيين العلمانيين والليبراليين الآخرين الأسرة التقليدية والقيم الأخلاقية التى بنيت عليها أمتنا»(١٨٠). كان هدف فالويل الرئيسى هو التعبئة السياسية للإيڤانجليكيين من خلال البرنامج الانتخابى للأغلبية الأخلاقية، ولكنه واجه مشكلة حثهم على ممارسة النشاط السياسى، حيث انسحبوا منذ هزيمتهم فى محاكمة سكوپس من النشاط الاجتماعى- السياسى وركزوا بشكل شامل على الورع والعبادة. حينما أعلن فالويل عن تكوين الأغلبية الأخلاقية، قوبل بمعارضة لهذا القرار من بين أتباعه أنفسهم. لقد أجاب بأن ذلك التدهور الذى أصاب الثقافة الأمريكية هو الذى أجبره على أن يقوم بعمل شىء ما. لقد حدد موقفه فى هذه العبارة: «.. إن لم يكن أنا، فمن إذن؟ وإن لم يكن الآن، فمتى إذن؟»(١٨١). وهكذا حدد فالويل الإجهاض والطلاق والفلسفة الإنسانية العلمانية كأهداف معادية لحركة الأغلبية الأخلاقية.

بعد تأسيس الحركة، خلال الفترة المتبقية حتى الانتخابات الرئاسية لعام ١٩٨٠م، كان فالويل فى حالة تنقل دائم، حيث سافر لأكثر من ٣٠٠,٠٠٠ ميل مخاطبًا تجمعات الجماهير وتعبئة رعاة الأبرشيات لتنشيط وحث جموع المصلين. حث فالويل كل مجتمع على تأسيس فروع محلية للأغلبية الأخلاقية واستخدام كنائسهم لتسجيل الأصوات الانتخابية. لقد تم إمداد تلك الأقسام المحلية بالمعلومات حول الإجهاض وقضايا أخرى ذات أهمية بالنسبة لهم. وطبقًا لسياسة فالويل، حيث إن الأغلبية الأخلاقية هى مؤسسة سياسية، وليست دينية، فإن أبوابها ستفتح للجميع، سواء كانوا يهودا أو من الكاثوليك الرومان أو الپروتستانت أو المورمون، وحتى غير المؤمنين الذين يتفقون فى الرأى فى قضايا الأسرة والمجتمع والبلاد، مثل معارضة الإجهاض والدفاع القومى القوى، وتأييد إسرائيل. لقد سبب ذلك الكثير من الاضطراب بين الإيڤانجليكيين، فقد كان من الصعب عليهم أن يدركوا أنه حان الوقت لكى يعملوا مع اليهود والكاثوليك الرومان.

ولإقناعهم بالعمل مع أفراد من طوائف ومعتقدات دينية أخرى، استخدم فالويل الأصولى مفهوم «حالة الاشتراك الفعلى فى الحرب» والتى قام بتطويرها فرانسيس شافير، الزعيم الأيديولوچى الأصولى فى القرن العشرين. ويعنى مفهوم الاشتراك الفعلى فى الحرب حالة يتوحد فيها مجموعة من الأفراد مع بعضهم « . . مع أفراد آخرين قد يختلفون معهم أيديولوچيا أو يختلفون بشأن قضايا رئيسية، ولكن يجمعهم الرغبة فى القتال فى صف واحد للوصول إلى أهداف معينة. بالنسبة للسياسيين الكبار، كانت تلك فكرة قديمة، أما بالنسبة للأصوليين الذين اعتادوا على تمزيق العلاقات بسبب أتفه الخلافات، كان هذا الأمر ثوريًا»[١٨٢]. إن تحرك فالويل إلى المجال السياسى من خلال الأغلبية الأخلاقية لم يأت من فراغ. فى الوقت ذاته تقريبًا كان هناك إيڤانجليكون آخرون من هؤلاء الذين يؤدون الصلاة عبر التليفزيون مثل تشارلز ستانلى، د. جيمس كنيدى، وآخرون كانوا يستهدفون أيضًا الخطر الأخلاقى الذى يكمن أمام أمريكا. ومع حلول ربيع عام ١٩٧٩م، أرسل ستانلى راعى الكنيسة المعمدانية الأولى فى أتلانتا إلى مئات الآلاف من المشاهدين شريط ڤيديو لموعظته، «انهضى يا أمريكا، والذى حث فيه المسيحيين لأن يكونوا أكثر نشاطًا فى المجال السياسى»[١٨٣].

بدأ العديد من رعاة الأبرشيات الآخرين أيضًا فى تضمين المضامين السياسية فى مواعظهم. ناشط راديكالى آخر يدعى إدوارد ماكاتير وإدراكًا منه أنه من أجل تزييف وحدة متماسكة من المفاهيم والأفعال بين الأصوليين من مختلف الطوائف والأديان، قام بتأسيس ورئاسة منظمة تحمل اسم «المائدة الدينية المستديرة»[١٨٤]. لم تؤسس فقط العديد من المنظمات لنزع السدادة عن الطاقة الجارفة للبركان المخبوء داخل الحركة الأصولية المسيحية، ولكن كانت تلك المؤسسات أيضًا مكملة بعضها لبعض ومتصلة فيما بينها، بحيث تخلق تعاونًا فى فعالية الحركة الأصولية. بين ثلاثتهم، خلق ڤيجوريه وويريتش وفيليپس عددًا من المنظمات شديدة الترابط، لدرجة أن أى خريطة توضيحية لهذه المنظمات سوف تبدو مثل إخطبوط يصافح نفسه بيديه»[١٨٥]. لقد كان هناك بالفعل جماعة أصولية مسيحية نشطة فى الساحل الغربى أطلقت على نفسها «الصوت المسيحى». لقد ادعت تلك الجماعة أنها تعمل فى سبيل «أغلبية مسيحية فى

إطار ديمقراطية مسيحية» . ومن وقت لآخر ، كانت هذه الجماعة تصدر بطاقات درجات طبقًا للكتاب المقدس . كانت تلك البطاقات تُقَيِّم المشرعين طبقًا لمواقفهم من بعض القضايا التى تهم الأصوليين والمحافظين المسيحيين(١٨٦) . ولكن حينما طلب من فالويل تأسيس منظمة جديدة وقيادتها ، قام الجناح المحافظ للحزب الجمهورى بتحرك استراتيجى محسوب بدقة . كان الهدف هو استخدام الأغلبية الأخلاقية لإيقاظ وتحريك تنظيم صفوف المحافظين والأصوليين الإيفانجليكيين دعمًا للبرنامج الانتخابى للحزب الجمهورى المناصر للرأسمالية ، والذى يدعو لاقتصاد السوق الحر ، بعيدا عن التدخل الحكومى وتنظيماته وقوانينه ، وخفض الضرائب ، وموقف مناصر للتصنيع - حدث كل ذلك بينما كان الأصوليون يتجمعون فى بنك صوتى للتصويت لصالح أجندتهم الأخلاقية .

حيث إن الأصوليين المخلصين دينيًا كانوا ملتزمين بكنيستهم ، كانت هناك حاجة ملحة لضمان الدخول الإيجابى لرعاة الكنائس فى السياسة . وبمجرد أن تم تنشيط الرعاة ودمجهم ، فإن أعضاء كنائسهم سيتبعونهم بشكل تلقائى . ولهذا ، فإن المهمة الحقيقية لفالويل كانت تنصب فى تعبئة الرعاة . كان لفالويل صورة ذهنية طيبة لدى الناس عبر البلاد . «منذ عام ١٩٧٦م وهو يحمل ذكرى ميلاد منظمته ، كان فالويل يعقد اجتماعات حاشدة تحت شعار (لنحب أمريكا) على درجات سلم مبانى البرلمان عبر البلاد»(١٨٧) . كان يحضر تلك التجمعات ، حيث ينشد الطلبة الإيفانجليكيون الأغانى الدينية - الوطنية ، موظفو المدينة وعادة ما يحضرها آلاف المواطنين . وفى نهاية تلك التجمعات الحاشدة كان هناك دومًا خطاب وطنى ملهم دينيًا من فالويل والذى قوبل بحماس وحظى بشكل ثابت بالتغطية الإخبارية فى الصفحة الأولى فى الجرائد المحلية .

وهكذا حصد فالويل بالفعل صورة أصيلة للاستقامة الدينية والمواطنة الوطنية الحقيقية . وعندما قام بزيارة الكنائس عبر البلاد لحث وتعبئة رعاة الكنائس للمشاركة الإيجابية فى الانتخابات الرئاسية لعام ١٩٨٠م ، لم يكن يرى كسياسى يحاول أن يتاجر بالأصوات مقابل وعوده ، ولكن بدلاً من ذلك قدم نفسه إليهم «كنافذة من الفرص» . ترى ما نوع تلك الفرصة؟ . لقد كانت الفرصة ، كما قيل للناخبين ، أنهم إذا

ما قاموا بشكل إيجابى بمساندة البرنامج الانتخابى ومرشح الأغلبية الأخلاقية، فإنهم سيضعون أمريكا مرة أخرى فى مسيرتها نحو قدرها كدولة عظمى فى العالم، حيث ستكون مثالاً يُحتذى به ليس فقط بسبب التقدم الاقتصادى والعلمى والتكنولوچى، ولكن أيضا كأمة صحية أخلاقيًا ومستقيمة دينيًا. «أمضى جيرى فالويل وخلال الوقت المتبقى من عامى ١٩٧٩، و١٩٨٠م، وبالتأكيد لسنوات عديدة تالية معظم وقته فى الطرق مسافرًا، قاطعًا نحو ٣٠٠,٠٠٠ ميل كل عام، غالبًا ما يتحدث مرات عديدة فى اليوم الواحد فى الكنائس، والتجمعات العامة، والمآدب الصغيرة وموائد العشاء، والمؤتمرات الصحفية، وعقد مقابلات منفردة مع شبكة الأفراد الذين كانوا يقدمون المساعدة لإقامة أفرع محلية للأغلبية الأخلاقية عبر البلاد»[١٨٨].

إن أمريكا بلاد شديدة الاتساع، ولكن على الرغم من هذا السفر المنتظم، كان فالويل يحرص على أن يعود كل أحد إلى ڤيرچينيا لكنيسته المعمدانية توماس رود لإلقاء موعظته. ولكى يقوم بجمع التبرعات للأغلبية الأخلاقية، استخدم فالويل القائمة البريدية التى تحوى أسماء ٢٥٠,٠٠٠ من المانحين لبرنامجه الكهنوتى «ساعة من إنجيل الزمن القديم». كانت التكاليف المتوقعة للأغلبية الأخلاقية فى عامها الأول ٣ ملايين دولار، وثلث هذا المبلغ تم جمعه فى الشهر الأول فقط. وصلت عضوية المنظمة بعد عام واحد من تأسيسه، ومع منتصف عام ١٩٨٠م، إلى ٣٠٠,٠٠٠ عضواً وكان من بينهم ٧٠,٠٠٠ من القساوسة[١٨٩]. ركزت منظمة الصوت المسيحى غالبًا على الغرب والجنوب الغربى، حيث قامت بجمع حوالى ٥٠٠,٠٠٠ دولار للمرشحين المحافظين[١٩٠]. لم يمر النشاط السياسى على مستوى القاعدة الشعبية دون ملاحظة من قبل وسائل الإعلام المحلية. «افترضت جريدة النيويورك تايمز أن فالويل (قد خلق شيئًا مشابها للغاية بحزب سياسى)»[١٩١]. جذبت الروح المعنوية والحماس اللذين عبأت بهما الأغلبية الأخلاقية الأصوليين، انتباه يوإس نيوز والوورلد ريبورت حينما كتبت «حرب سياسية مقدسة غير مسبوقة... على أشدها فى جميع أرجاء البلاد»[١٩٢]. كان الأصوليون غير سعداء بالمرة بشخصية كارتر، لدرجة أنه فى الانتخابات الرئاسية لعام ١٩٨٠م، لم يظهروا معارضتهم له فقط ولكنهم كانوا يحاولون إيذائه بكل الطرق الممكنة. طلب فالويل فى اجتماع على مائدة الإفطار مع

الرئيس فى يناير ١٩٨٠م، من البيت الأبيض الإذن بتسجيل نقاشه مع كارتر. لقد منح الإذن بذلك، ولكن فى ذات الوقت قام أحد أعضاء فريق العمل بالبيت الأبيض بتسجيل الحديث ذاته بين فالويل والرئيس. «وفى وقت ليس ببعيد بعد ذلك الحدث، وفى تجمع حاشد للأغلبية الأخلاقية فى ألاسكا، أخبر فالويل الجمهور العريض: كنت فى البيت الأبيض منذ وقت ليس ببعيد وسألت الرئيس، سيدى، أريد أن أعرف السبب وراء تعيين موظفين كبار من الشواذ جنسيًا فى البيت الأبيض؟ أجابه كارتر أنه طالما أراد أن يمثل الجميع، فإن عليه أن يعين بعض الشواذ. إن هذه القصة قد أحدثت بشكل واضح رد الفعل الذى أراده فالويل فى ألاسكا، وبالتالى قام بنشره فى التقرير الذى يصدر عن الأغلبية الأخلاقية. إن المشكلة هى أن هذا الحوار لم يحدث مطلقًا[١٩٣]. وحينما واجهه كبار الصحفيين بالدليل، حاول فالويل أن يعتذر عن فعله بتشخيص ما قاله بوصفه «رمزًا»، وهو ما أطلق عليه المعمدانى الجنوبى جيمس دن: اسم جديد للكذبة»[١٩٤]. قام الجمهوريون فى انتخابات عام ١٩٨٠م، بترشيح رونالد ريجان، بينما كان المرشح الديمقراطى هو الرئيس كارتر فى ذلك الوقت. وفى مؤتمر الحزب الجمهورى فى يوليو ١٩٨٠م سيطرت الأجندة الأصولية على برنامج الحزب حيث[١٩٥]:

١ ـ سحبت مساندتها الطويلة الأمد لتعديل الحقوق المتساوية، على الرغم من عدم الموافقة الصريحة من قبل الكثيرين فى مؤسسة الحزب.

٢ ـ دعمت تعديلاً دستوريًا لإعلان عدم قانونية الإجهاض.

٣ ـ أوصت بأن يخضع التوظيف فى منصب القضاء لموقف المرشحين المعارض للإجهاض.

٤ ـ دعت إلى تنحى الرئيسة المساعدة للحزب مارى كريسپ بسبب موقفها المناصر لتعديل الحقوق المتساوية.

لقد كان ذلك انتصارًا كبيرًا للأصوليين المسيحيين حيث لم يكن لهم السيادة فقط فى كتابة البرنامج الانتخابى للحزب، ولكنهم أيضًا استطاعوا بنجاح مطاردة العناصر الليبرالية فى الحزب وأدخلوا بدلاً منهم الملتزمين بآرائهم. وبشكل مناقض للجمهوريين، أشار البرنامج الانتخابى للحزب الديمقراطى للقضايا الأسرية فى جملة

واحدة فقط، حيث تعهد بمساندة «الجهود الرامية إلى جعل البرامج الفيدرالية برامج أكثر حساسية لاحتياجات الأسرة، بكل أشكالها المتنوعة»[١٩٦]. وحتى هذه العبارة «الأسرة في كل أشكالها المتنوعة» كانت تشمل الشواذ جنسيًا والأسر التي يعولها أحد الوالدين فقط.

انتصار ريجان عام ١٩٨٠م والأجندة الأصولية

١ ـ أظهرت نتائج الانتخابات أن حالة الاشتراك الفعلي في الحرب قد نجحت كاستراتيجية، حيث إن السود وذوي الأصول الإسپانية فقط هم الذين ساندوا الحزب الديمقراطي. بخلاف ذلك، فإن، كل التجمعات التقليدية للأصوات الانتخابية في الحزب الديمقراطي، قد تحولت نسبة كبيرة منها إلى الحزب الجمهوري[١٩٧].

٢ ـ أسست نتائج الانتخابات ـ بلا شك ـ لحقيقة أن «المشاركة الفعلية في الحرب» قد عملت بشكل مؤثر بالفعل لصالح الجمهوريين. لقد ساعد الكاثوليك في مناطق مثل دوبوك وأيوا، في انتخاب المرشح الإيڤانجليكي تشارلز جراسلي، وانتخب الإيڤانجليكيون في مناطق مثل موبايل الكاثوليكي چيرمایاه (أرميا) دنتون. لقد كان هناك إدراك واضح في الصحافة أن الإيڤانجليكيين قد أثروا حتمًا على الانتخابات. منح فالويل أيضًا الفضل وراء الفوز بتلك الانتخابات، حيث أطلق على المعركة الانتخابية تلك « أنقى أوقاتي »[١٩٨].

٣ ـ كان أحد العوامل المهمة المسببة في هزيمة كارتر هو الركود والتضخم[١٩٩]. ولهذا، فبعد فوز ريجان بانتخابات ١٩٨٠م، كان الاقتصاد هو الأولوية الفورية له ولفريقه. بعد الانتخابات بوقت قصير، أعلن ريجان وزعيم أغلبية مجلس الشيوخ هوارد بيكر أن التفكير الجاد في «الأجندة الاجتماعية» سيتم تأجيله لمدة عام على الأقل، لإعطاء الإدارة الجديدة الوقت للتركيز على تحقيق الانتعاش الاقتصادي[٢٠٠]. لم يكن انشغال القيادة السياسية بالاقتصاد أمرًا مبشرًا بالنسبة للأصوليين، وفي الحال نشرت الواشنطن پوست موضوعًا قال فيه مايكل ديڤر نائب رئيس فريق البيت الأبيض، مشيرا إلى اليمين المتدين، «سنرحب بهم في البيت الأبيض، ولكن عليهم أن يأتوا من الباب الخلفي»[٢٠١]. وحينما أعلم فالويل ريجان بهذه الواقعة، أكد له ريجان

أنه ليس هناك مثل هذا التمييز، وأن فالويل سيظل مرحبًا به دومًا فى بيت ريجان الأبيض. لقد كانت رئاسة ريجان التجربة الأولى على الإطلاق فى الانهماك فى نشاط سياسى بالنسبة للأصوليين. إلا أنه على الرغم من إسهامهم فى نجاحه، فإنهم لم يستطيعوا تغيير الوضع الراهن فيما يتعلق بأچندتهم المحلية (الصلاة فى المدارس، والشواذ جنسيًا، والإجهاض). فى الحقيقة تسبب ريجان فى إزعاج الأصوليين بتعيينه قاضية أريزونا سندرا داى أوكونور فى المحكمة العليا للولايات المتحدة؛ لأنها كانت مساندة قوية لتعديل الحقوق المتساوية ومؤيدة لحق الاختيار (أى اختيار للمرأة للإجهاض أو وضع الطفل)[٢٠٢]. على الرغم من ذلك، وتحت ضغط الأصوليين أصبح ريجان «. . الرئيس الأمريكى الأول الذى يصدق على تعديل خاص بالصلاة فى المدارس»[٢٠٣]. إجمالاً كان الأصوليون سعداء برئاسة ريجان حينما اتخذ عددًا من المواقف الشجاعة فى القضايا الخاصة بالسياسة الخارجية[٢٠٤]، مثل القضايا التالية:

١ ـ عارض الشيوعية وأعلن أن الاتحاد السوفيتى هو «إمبراطورية الشر».

٢ ـ قام بتدعيم المقاومة الأفغانية ضد الغزو السوفيتى لأفغانستان(*) بدلاً من تبنيه سياسة الانفراج.

٣ ـ قام بزيادة مصاريف الدفاع لصالح مبادرة الدفاع الاستراتيچية.

٤ ـ قام بتخفيض الضرائب، الأمر الذى كان يعنى أموالاً أقل لدولة الرفاهة، وبالتالى أموالاً أقل للمدارس العامة.

٥ ـ أرسلت إدارته قوات أمريكية لغزو جزيرة جرينادا الكاريبية فى أكتوبر عام ١٩٨٢م لقلب نظام الحكم الموالى للنظام الماركسى هناك.

حققت الحملة الانتخابية لعام ١٩٨٨م علامة مميزة جديدة فى تسييس المسيحية فى أمريكا المعاصرة. فى هذه الحملة، شن پات روبرتسون الواعظ ذو الشعبية الكبيرة الإيڤانجليكى الذى يقدم صلواته عبر التليفزيون، حملة لنيل الرئاسة متحديا نائب الرئيس چورچ بوش فى الفوز بترشيح الحزب الجمهورى له. لقد نجح أيضًا فى التفوق على نائب الرئيس فى نتيجة الاقتراع فى بداية العام فى المؤتمر الحزبى لاختيار المرشحين

(*) وهنا كانت بداية طالبان وأسامة بن لادن ـ المترجمة.

فى ولاية أيوا[٢٠٥]. على الرغم من فشل محاولة روبرتسون فى الحصول على ترشيح الحزب له، فقد قوى ذلك من شأن السياسات الأصولية بطرق عديدة، على سبيل المثال:

١ ـ لكونه واعظًا على درجة كبيرة من الأهمية، فإن ترشيحه قد أعطى ثقة جديدة لهؤلاء الأصوليين الذين جادلوا ضد الفصل بين الكنيسة والدولة.

٢ ـ أشعل ذلك حماس المجتمع الأصولى برمته، بما فيهم هؤلاء الذين لم يشاركوا قط كناخبين.

٣ ـ أدى ذلك لتأسيس التحالف المسيحى عام ١٩٨٩م والذى أصبح منظمة أصولية مهمة للنشطاء الاجتماعيين.

كانت فترة حكم ريجان ـ بوش التى امتدت إلى اثنى عشر عامًا (١٩٨٠-١٩٩٢م) بمثابة مرحلة تعلم بالنسبة للأصوليين. لقد أدركوا أن مجرد الإتيان برئيس منتخب للبيت الأبيض ليس بأمر كاف. لقد كان من المهم ـ بشكل مساو أيضًا ـ فهم كيفية عمل الكونجرس؛ لأنه فى نهاية الأمر، يصوِّت أعضاء الكونجرس على القوانين، وإذا لم يحصل قانون ما على أغلبية الأصوات المطلوبة، فإنه لا يكون له فائدة. لقد علموا أن أعضاء الكونجرس لم يصوتوا على أساس «الصواب» و«الخطأ». على العكس من ذلك، كانت معاييرهم محدودة جدًا. كان همهم الوحيد هو الفوز بالانتخابات القادمة. ولهذا فقد صوتوا بطريقة تجعل الجزء الأكبر من الناخبين النشطاء سعداء بهم، حتى لو كان ذلك يعنى التصويت لشىء ما قد يكون غير صائب من الناحية الأخلاقية. يقتبس ويليام مارتن قول الأصولية كونى مارشير، التى توصلت أخيرًا لفهم معايير التصويت فى الكونجرس الأمريكى تحت تهليل الديمقراطية الأمريكية المزعومة «إنهم لم يدركوا درجة فساد السياسيين (الذين يصنعون) القرارات بشأن كيفية قيامهم بالتصويت على أساس (من سيقوم بممارسة ضغط أكبر علىّ؟ من الذى يمكنه أن يتسبب فى أكثر المتاعب فى حملة إعادة انتخابى؟ أكثر من التفكير فى (ماالأمر الذى أعتقد أنه صائب؟) إن قيادة شخص ما نحو الخلاص أمر مختلف للغاية عن قيادته لكى يصوت بطريقتك. إنك لا تقودهم، بل تقوم بإجبارهم»[٢٠٦].

خلال هذه المدة، كان الأصوليون قادرين أحيانًا على دفع بعض مشروعات القوانين الخاصة بقضايا الأسرة إلى ساحة الكونجرس، مدركين أنهم سيهزمون. كانت هناك أغراض متعددة من وراء ذلك التحرك. أولاً: أن ممارسة عرض مشروعات القوانين على الكونجرس كانت تعنى تدريب الأصوليين النشطين على جهود وأساليب الضغط فى الكونجرس. ثانيًا: أن بعض مشروعات القوانين كانت قد صممت بشكل متعمد لكى تكون متطرفة، حتى لا يقوم العديد من الليبراليين والمعتدلين بالتصويت لصالحها، وبالتالى إشعال غضب الإيفانجليكيين المتعاطفين مع الأصوليين، والذين ليسوا نشيطين. قد تؤدى تلك الهزائم المتكررة إلى مساهمة هؤلاء المتعاطفين فى شكل أموال أو رجال. ثالثًا: أن الكثير من الناخبين، وبشكل خاص المعمدانيين الجنوبيين، كانوا ديمقراطيين تقليديا ولكنهم اختاروا منح صوتهم لريجان بسبب دعمهم للقضايا الراديكالية. والآن أصبح من الضرورى إبقاؤهم فى الحزب الجمهورى، وتم إنجاز ذلك من خلال جعلهم يشعرون بألم الهزيمة، تعميق التزامهم بالقضية، وإجبارهم على البقاء فى الحزب بوصفه «جيش الله».

وهناك هدف آخر من جلب القوانين المتطرفة إلى الساحة وهو فرز أعضاء الكونجرس الذين لا يتفقون مع الموقف الأصولى فى بعض القضايا وصوتوا ضدها. وبمجرد تحديد هؤلاء الأعضاء، فإنه يمكن استهدافهم عند محاولتهم لإعادة الانتخاب، ويمكن بذلك بذل جهود أكبر لهزيمتهم، وبالتالى إرسال إشارات لأعضاء آخرين تفيد بأنه فى حال قيامهم بالتصويت ضد القضايا الأصولية، فإن عملهم السياسى سيصل إلى نهاية غير متوقعة. ومع نهاية الفترة الرئاسية الثانية لريجان، كان البيت الأبيض يغوص فى مستنقع فضيحة إيران كونترا، ولكن الضابط المتورط فى الفضيحة، الكولونيل أوليفر نورث، أصبح بطلاً بالنسبة للأصوليين.

فى عام ١٩٩٢م، انتخب كلينتون، وهو ليبرالى، كرئيس لأن الاقتصاد فى وقت الانتخابات، كان فى حالة سيئة بسبب الركود. على الرغم من أن الرئيس بوش كان متفوقًا فى صناديق الاقتراع الشعبية فى عام ١٩٩١م عند هزيمة صدام حسين، فإن الركود قد حل بالبلاد مع وقت الانتخابات، وأراد الناس التغيير، ولهذا فاز كلينتون بالبيت الأبيض، حيث إنه جعل من الاقتصاد قضيته المهمة. وهناك نقطة مهمة أخرى

تسترعى الانتباه فى عام انتخابات ١٩٩٢م، وهى محاولة التلى إيفانجليكى پات روبرتسون داعية التليفزيون الإيفانجليكى للوصول لترشيح الحزب الجمهورى لمنصب الرئيس. لقد ألهبت تلك الحملة حماس الملايين من الأصوليين، وأسست التحالف المسيحى والذى قاده رالف ريد لتجميع الناخبين والدولارات دعمًا لروبرتسون. جعل الخوف من الركود، وعدم مقدرة الرئيس بوش على التعامل مع مشكلة الركود بكفاءة فى الوقت المناسب، حتى الإيفانجليكيين الجنوبيين يصوتون لصالح كلينتون. وكنتيجة لذلك، فاز كلينتون بأغلبية الأصوات فى الولايات الجنوبية. على الرغم من أن كلينتون كان ليبراليًا، فإن ليبراليته قد اختبرت كما ينبغى من قبل الأصوليين عند بداية فترته الانتخابية الأولى. فخلال الشهر الأول من رئاسته، أعلن البيت الأبيض لكلينتون أنه «. . . فى المستقبل لن يُفصل بعد أى من الشواذ من الجيش»[٢٠٧]. لقد أظهر الكونجرس، البنتاجون، والأصوليون معارضة قوية لهذا الاقتراح، لدرجة أن البيت الأبيض تراجع عن هذه السياسة إلى حل وسط على أساس مبدأ «لا تسأل، لا تخبر أحدًا»[٢٠٨]. لقد سددت القوى المحافظة أيضًا ضربة موجعة لخطة الرعاية الصحية التى طرحها كلينتون، وكانت قد أعدتها السيدة الأولى هيلارى كلينتون. فى القضايا الاجتماعية، فاق دهاء كلينتون الجمهوريين والأصوليين الذين كانوا يضعون اللوم دومًا على الليبراليين فيما يتعلق بقضية ازدياد معدل الجريمة. اقترح كلينتون تشريع للجريمة من شأنه أن يضع ١٠٠,٠٠٠ رجل شرطة فى الشوارع، حظر بيع تسعة عشر نوعًا من الأسلحة الهجومية المختلفة، وتمويل بناء سجون جديدة. (وأجاز قبل ذلك قانون برادى، والذى أسس مبدأ فترة انتظار لمدة خمسة أيام قبل شراء بندقية يد)[٢٠٩]».

شهدت الانتخابات النصفية للكونجرس عام ١٩٩٤م انتصارًا ساحقًا للجمهوريين، حيث أعطتهم أغلبية فى كلٍّ من مجلس النواب ومجلس الشيوخ للمرة الأولى منذ عام ١٩٥٢م. بدأ نيوت جنجريتش المتحدث الجمهورى الجديد للمجلس التشريعى بممارسة الضغوط على البيت الأبيض من خلال تطوير برنامج لإصلاح الحكومة الفدرالية أطلق عليه «عقد مع أمريكا»[٢١٠]. كان تخفيض الضرائب اختزال سياسة الرفاهية (البرامج الاجتماعية) هو المكون المهم للعقد مع أمريكا. لقد أيد الأصوليون أيضًا هذا العقد حيث إنهم أرادوا تخفيضًا فى عبء الضرائب على الأسر، وأن ينقل العمل الخاص بالخدمة الاجتماعية إلى المنظمات الخيرية الخاصة من خلال تخفيض

النفقات الخاصة بالعمل الاجتماعى[٢١١]. وبسبب هذا الالتقاء فى المصالح، أعلن رالف ريد «العقد مع الأسرة الأمريكية»[٢١٢]، والذى جمعت من خلاله منظمة اليمين المسيحى الدعم لعقد جنجريتش مع أمريكا. لقد أجبر ذلك كلينتون على التخلى عن موقفه الليبرالى، واتخاذ موقف وسط بدلاً من ذلك فى عدد من القضايا.

رئاسة بوش عام ٢٠٠٠م: ألفية جديدة وسياسات جديدة

كانت الأعوام الثمانية لإدارة كلينتون-جور(١٩٩٢-٢٠٠٠م) فترة من الاستقرار الاقتصادى الملحوظ وتحقيق معدلات النمو المرتفعة وانخفاض البطالة والتضخم فى الاقتصاد الأمريكى، بالإضافة إلى السلام الداخلى وقوة الولايات المتحدة عالميًا التى لا يمكن تحديها. فى ظل مثل هذه الظروف، كان ينبغى لجور أن ينتصر انتصاراً ساحقًا على چورچ د. بوش، ولكن فى الواقع لم يكن جور قادراً قط على التفوق بشكل مقنع على بوش خلال الحملة الانتخابية برمتها. أخيراً، أصبح بوش محققا لعدد أصوات مقارب جدًا، لدرجة أنه كان على مسافة شعرة لتحقيق الفوز القاضى على جور، وهو ما حدث بالفعل.

السؤال المطروح هنا هو لماذا لم يمنح الناخبون جور الفوز الحاسم على بوش، على الرغم من الازدهار الاقتصادى وفرص العمالة الكاملة، والازدهار العام؟ تكمن الإجابة فى الخريطة الأيديولوچية الجديدة للولايات المتحدة. لقد فاز بوش بمعظم الولايات الجنوبية، التى تشكل حزام الكتاب المقدس للبلاد ومركز الإيڤانجليكية. الجنوب هو قلب الأصولية المسيحية. للمرء أن يندهش لدى رؤية خسارة جور فى ولايته الأم تينيسى. تعرف تينيسى شعبيًا لميلها الشديد نحو الأيديولوچية اليمينية، بأنها «الحلية المعدنية القديمة (أو العروة الوثقى) لحزام الكتاب المقدس»[٢١٣]، كما إن ولاية تينيسى هى أيضًا الموطن الأم لإيد ماكاتير، مؤسس حركة المائدة الدينية المستديرة[٢١٤]. صوّت الأصوليون فى عام ١٩٩٢م فى الجنوب لكلينتون لأن بوش الأب لم يف فقط بوعوده، ليس فقط حينما قام بزيادة الضرائب ولكنه فشل أيضًا فى تحفيز الاقتصاد وهو فى حالة الركود.

كان الاقتصاد يسير بشكل جيد ولكن كلينتون كان قد اكتسب سمعة سيئة بسبب تورطه فى فضيحة مونيكا لوينسكى. وقبل ذلك، أشيع أن كلينتون كانت له علاقة بجنيفر فلاور حينما كان محافظًا لأركانسو. لقد أشيع أيضًا أن هناك بعض الفضائح المالية الأخرى التى تورط فيها كلينتون والتى أطلق عليها «فضيحة وايتووتر». تضاعفت كل تلك العوائق بسرعة، مما أدى إلى قيام الإيڤانجليكيين استلهامًا بالقيم الدينية والأخلاقية بانتخاب بوش. ركز معظم هؤلاء الناخبين على الجنوب وامتداداته[٢١٦]. فى النهاية كان الناخبون الجنوبيون (أى الإيڤانجليكيون) هم الذين لعبوا دورًا كبيرًا فى الانتخابات الرئاسية الأمريكية لعام ٢٠٠٠م، وبرزوا كقوة سياسية عظيمة النفوذ. طبقا للدستور الأمريكى، على الرغم من تصويت الشعب فى الانتخابات الرئاسية، الصوت الانتخابى وليس الصوت الشعبى هو الذى يحدد الفائز النهائى. كل ولاية مخصص لها عدد من الأصوات الانتخابية، والعدد الإجمالى للأصوات الانتخابية فى الولايات المتحدة هو ٥٣٨، وفى السباق الرئاسى الثنائى يفوز المرشح الذى يحظى بـ ٢٧٠ صوت انتخابى منها برئاسة الولايات المتحدة[٢١٧]. والجدير بالملاحظة أنه فى انتخابات عام ١٩٩٢م فاز كلينتون بـ ٣٧٠ صوت انتخابى، وفاز بفترته الرئاسية الثانية عام ١٩٩٦م بـ ٣٧٩ صوت انتخابى من خلال الفوز بـ ٣١ ولاية، بالإضافة إلى مقاطعة كولومبيا (واشنطن دى سى)[٢١٨]. وفى انتخابات عام ٢٠٠٠م، استطاع جور الفوز بعشرين ولاية فقط، بالإضافة إلى واشنطون دى. سى. خسر جور الولايات الإحدى عشرة الأخرى لصالح بوش والتى كان كلينتون قد وضعها فى جيبه إبان إعادة انتخابه عام ١٩٩٦م. تلك الولايات الإحدى عشرة هى: أريزونا (٨)، أركانسو (٦)، فلوريدا (٢٥)، كنتاكى (٨)، لويزيانا (٩)، ميسورى (١١)، نيڤادا (٤)، نيوهامپشير (٤)، أوهايو(٢١)، ويست ڤيرجينيا (٥) والولاية الأم للسيد جور تينيسى (١١). تظهر الأرقام التى بين الأقواس عدد الأصوات الانتخابية الخاصة بكل ولاية. يصل العدد الإجمالى للأصوات الانتخابية لكل تلك الولايات الإحدى عشرة إلى ١١٢ صوت. وفيما عدا نيوهامپشير، والتى تقع فى الشمال الشرقى، فإن كل الولايات العشر المتبقية تقع فى الجنوب غرب الوسط للولايات المتحدة. إن تلك الولايات العشر محافظة تقليديًا، وتقع إما فى نطاق حزام الكتاب المقدس أو أقاليم حزام الشمس للبلاد. تلك الأقاليم هى محافظة تقليديًا

ومنطقة حزام الكتاب المقدس هو قلب الأصولية والپروتستانتية الإيڤانجليكية. لسكان تلك الأقاليم لهم توجهات أسرية ويؤمنون بقوة بالقيم التقليدية والشخصية الأخلاقية.

طبقا لأحد التقارير، صوّت ٥٦٪ من الپروتستانت فى انتخابات عام ٢٠٠٠م لصالح بوش، بينما صوّت ٤٢٪ فقط لصالح جور[٢١٩].

بدأت حركة الإحياء المسيحية(*) فى الولايات المتحدة فى سبعينيات القرن العشرين بسبب المشاكل التى خلقتها المادية وإطلاق العنان للرأسمالية والعلمانية وفساد القادة السياسيين وسوء استغلالهم للسلطة. لقد أعلنت الإحيائية عن نفسها بأشكال كثيرة ـ الجماعات الدينية، الإيمانات الزائفة، بالإضافة إلى نشوء جماعات عنصرية تابعة للجناح اليمينى وارتفاع نجم المسيحية الإيڤانجليكية. وبين كل هؤلاء، كانت المسيحية الإيڤانجليكية هى القوة الاجتماعية والسياسية الأسرع صعوداً. وكما كتب المؤرخ الأمريكى آلان برنكلى عام ٢٠٠٠م: «يصف أكثر من ٧٠ مليون أمريكى الآن أنفسهم كمسيحيين (ولدوا من جديد) ـ لقد أسسوا رجال ونساء (علاقة شخصية مباشرة مع المسيح). امتلك المسيحيون الإيڤانجليكيون جرائدهم الخاصة، مجلاتهم، محطاتهم الإذاعية وشبكات التليفزيون الخاصة بهم. كما قاموا بإدارة مدارسهم وجامعاتهم الخاصة»[٢٢٠].

لن يكون من المبالغة القول بأن الأصولية المسيحية، مع نهاية القرن العشرين، قد ظهرت كقوة ضخمة فى المشهد السياسى الأمريكى، وأنه لا يمكن لحزب سياسى، سواء كان الحزب الجمهورى أو الديمقراطى، أن يحقق أى تقدم ذى مغزى فى الانتخابات دون الحصول على موافقتهم. لقد سعى المرشح الرئاسى چورج بوش الابن فى محاولته للحصول على ترشيح الحزب الجمهورى له، إلى تطوير موقف معتدل يمينى وسطى للفوز بمساندة المدى الأوسع من المجتمع الأمريكى. وبوضع هذا الهدف نصب أعينه، أظهر بوش علانية موقف يمينى متطرف فى العديد من القضايا القريبة من قلوب الأصوليين. لقد خبر نفوذ الأصوليين بشكل مباشر فى حملة والده عام ١٩٨٨م للفترة الرئاسية الثانية، والتى عمل فيها هو نفسه «. . كهمزة وصل مع اليمين المتدين»[٢٢١]. أقنعته هذه التجربة أن طرق والده لم تفلح مع اليمين المتدين[٢٢٢].

(*) فى الواقع تلك هى حركة الإحياء الدينى الثالثة فى تاريخ الولايات المتحدة ـ المترجمة.

كانت النتيجة أن حملة بوش قد احتفظت، على الرغم من وضعها العام المعتدل، بروابط مع الأصوليين، عبر الخطابات والرسائل الإلكترونية[٢٢٣]. على الرغم من ذلك، حينما خسر بوش نيوهامپشير فى الانتخابات الأولية للحزب الجمهورى لصالح متحديه جون ماكين، لم يضيع الوقت فى طمأنة الأصوليين على ولائه لهم والتزامه بقضاياهم ووجهة نظرهم من أجل بث تلك الطمأنينة والفوز فى المقابل بدعمهم الكامل».. قام بوش بزيارته الشهيرة لجامعة بوب چونز فى جنوب كارولينا، الجامعة المعروفة بأصوليتها المتطرفة وموقفها الرسمى المعادى للكاثوليكية الرومانية. تميز الاستراتيچيون بالتعامل بشكل مبهم فى العلن، غير معبرين عن أسفهم فيما وراء المشهد. قال أحد الموظفين الكبار الذين كانوا يعملون تحت إمرة بوش فى ذلك الوقت: كان علينا أن نرسل رسالة ـ سريعة ـ إرسالنا له هناك هى الطريقة الوحيدة لفعل ذلك. تم إنجاز الصفقة بشكل نهائى، فقد تدفق الصوت الانتخابى للأصوليين كالفيضان فى صناديق الاقتراع فى الجنوب لصالح المتنافس الجمهورى. كان بوش هو الفائز فى النهاية. فى ظل إدارة چورچ بوش الابن «شكّل المسيحيون الأصوليون جوهر الحزب الجمهورى، الذى يتحكم فى كل مصدر القوة للمرة الأولى منذ نصف قرن»[٢٢٥].

تنتشر جماعات صلوات الكتاب المقدس الآن على نطاق واسع فى البيت الأبيض. «إن المناخ بداخل البيت الأبيض، كما يقول العاملون به، يفيض بعبير الصلاة»[٢٢٦].

فى انتخابات عام ٢٠٠٠م التى شهدت تنافسًا حامى الوطيس، صعد بوش إلى البيت الأبيض على أكتاف الأصوليين المسيحيين الذين كانت لهم أچندة قائمة على أساس المعتقد الدينى. لقد تطلبت السياسة والمبادئ، وقبل كل شىء الحصافة، أن يقوم بوش بتقديم ما سيتم تقديره بشكل جديد. وبأخذ نتائج انتخابات عام ٢٠٠٠م فى عين الاعتبار، والتى شهدت انقسام الأمة التام إلى نصفين، لن يقوى چورچ بوش الابن على أن يكون نسخة أخرى من كارتر أو ريجان، وذلك فيما يخص الوفاء بالأچندة الأصولية سواء فى الشئون المحلية أو السياسة الخارجية. كان يعلم أنه مع مجىء نوڤمبر ٢٠٠٤م، سيصدر الأصوليون حكمهم عليه على أساس مستواه فى «كروت التقييم حسب الكتاب المقدس»، ولا شك أنه سيحصل، بالنظر إلى أدائه فى فترة الرئاسة الأولى، على درجة A، إن لم تكن + A، فى كل المهام الموكلة إليه.

حيث إن الولايات المتحدة هى القوة العظمى الوحيدة فى العالم المعاصر ، وأن هذا هو عصر العولمة ، على الدول التى لها مصالح استراتيچية متعلقة بسياسات الولايات المتحدة أن تفهم هذه السياسات الجديدة والرؤية التى تثيرها فى واشنطن. ستدفع الدول التى تتجاهل هذه الحقيقة - وتتعامل مع البيت الأبيض والكونجرس والشعب فى إطار الخريطة القديمة - ثمنًا غاليا لهذا التجاهل.

* * *

الفصل الثامن

الأبعاد الاقتصادية ـ الاجتماعية للأصولية المسيحية

أوضحت ـ بجلاء ـ المناقشة السابقة أن هناك أسبابًا حتمية وراء قلق الأصوليين المسيحيين الحقيقى، أجبرتهم على دخول الساحة السياسية والعمل على تنفيذ أجندتهم. نحتاج من وجهة نظر البحث العلمى، أن نجيب عن سؤال أساسى، تحديدا لماذا تجسدت جذور الأصولية المسيحية فى الجزء الجنوبى من الولايات المتحدة؟ ولماذا بقيت على قوتها هناك؟ بكلمات أخرى، ما السمات الخاصة بالمجتمع الجنوبى التى تجعل منه أرضًا خصبة للأصولية الدينية؟

يعد هذا أمرًا مهمًا لأنه إذا كانت أمريكا فى حالة مد من الإحياء الدينى، فالمفترض أن يكون لهذا المد تأثير متساو على كل أجزاء البلاد، ولهذا نتساءل لماذا ظلت هذه الموجة محصورة على الجنوب وامتداداته؟ من أجل الإجابة عن هذا التساؤل فإننا نقارن فى القسم التالى بين الشروط الاقتصادية الاجتماعية لتلك الولايات التى صوتت لصالح بوش، بتلك الولايات التى صوّتت لصالح آل جور فى الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٠م. ستمكننا هذه المقارنة من تعريف تلك السمات الخاصة بولايات بوش التى لعبت دورًا مهمًا فى استيعاب الرسالة الأصولية، وبالتالى جاذبية رسالة حملة السيد بوش لهذه الدائرة الانتخابية فى انتخابات عام ٢٠٠٠م.

انتقد معظم العلماء الغربيين ووسائل الإعلام الإسلامَ بشكل عام فى مقابل المسيحية على أساسين. لقد جادلوا بأن:

١ ـ الإسلام ينتج الأصولية.

٢ ـ يخلط الإسلام بين السياسة والدين.

لقد استجاب المسلمون بقولهم إن الإسلام دين معتدل لا يعظ بالأصولية ولا يدافع عن التطرف. لم ينكر العلماء المسلمون وجود الجماعات المتطرفة بين المسلمين، ولكن

فى الوقت ذاته جادلوا بأن أسباب وجود التطرف يجب أن يتم تحليلها بشكل علمى والتعامل معها طبقًا لهذا التحليل من أجل منعها فى المستقبل. لا يزال العلماء الغربيون، على الرغم من ذلك، يرفضون قبول هذا المنهج العلمى القائم على السبب ـ التأثير، ويفضلون بشكل عام انتقاد الإسلام ذاته. لقد ذهب البعض منهم إلى حد الدفاع عن صدام الحضارات(٢٢٧). لهذا المذهب غير العلمى بعض المكاسب السياسية، الاقتصادية، التبشيرية، أو الشخصية المباشرة لهؤلاء العلماء الغربيين والدوائر التى يخدمونها، ولكنه لا يسهم فى تقدم البحث العلمى باتجاه فهم ظاهرة صعود الأصولية الدينية حول العالم. الحقيقة التى لا يمكن إنكارها هى أن الأصولية الدينية، أخذًا فى الاعتبار جاذبيتها ونفوذها فى تعبئة الجماهير، لديها القوة الكامنة للتأثير على عملية التغيير الاجتماعى بمجرد إتاحة التركيبة المناسبة للشروط الاقتصادية الاجتماعية لذلك.

وعلى هذا، فهناك حاجة لدراسة ظاهرة الأصولية الدينية بشكل علمى، والشروط الاجتماعية ـ الاقتصادية التى تولدها أو تعجل بها. لو كانت هذه الدراسة قد تبنت المنهجية المستخدمة بشكل عام من قبل العلماء الغربيين فى دراستهم للإسلام والمجتمعات الإسلامية، فإنها ستبدأ، وفقًا لطريقتهم المعتادة، بافتراض مقدمة منطقية تقول إن المسيحية هى ديانة تولد الأصولية وتخلط بين السياسة والدين، ولكن من أجل الموضوعية، نحاول هنا أن نتخذ رؤية علمية لصعود الأصولية المسيحية واندماجها فى السياسة الأمريكية. ولهذا السبب فنحن نركز هنا على السمات الاقتصادية ـ الاجتماعية للأصولية المسيحية فى الولايات المتحدة. فى حالة بروز الحركات الساعية نحو التغير الاجتماعى، من الضرورى أن تتم دراسة السمات الاقتصادية ـ الاجتماعية لهذا المجتمع لتحديد سياق ظهور تلك الحركات. يضمن ذلك الموضوعية العلمية ويساعد أيضًا على تحديد بعض المبادئ العامة، وإلا فإن الأمر سينتهى بالمرء إلى الوصول إلى تعميمات ضخمة دون أى أساس علمى، وبالتالى توجيه أصابع الاتهام إلى أيديولوچية بعينها أو أخرى. يزخر التاريخ الفكرى الغربى بمثل تلك المنهجيات غير العلمية فى دراسة السلوك الاجتماعى ـ كراهية اليهود والأفارقة ـ الأمريكيين المنتشرة بين الأصوليين المسيحيين، وتبريرهم للسياسات الاقتصادية الاجتماعية، والعرقية المعادية لليهود والسود، والتى سادت لقرون ونحتت فصلاً حزينًا فى تاريخ الحضارة الإنسانية.

وبمرور المجتمعات (وحتى الحضارات) بمراحل مختلفة من التطور، تتغير اهتماماتها وأولوياتها، وقد يغير ذلك أيضًا من مواقفها إزاء الدين. يتأرجح هذا التغير فى المواقف فى نطاق واسع، ما بين الأرثوذكسية [بمعناها اللغوى وليس الطائفى]، الأصولية، والراديكالية، إلى الاعتدال ثم الليبرالية وصولاً إلى غير المبالاة. وهناك إمكانية أنه مع هذا التغير فى المواقف، فإن تعامل تلك المجتمعات مع الديانات الأخرى (وأتباعها) قد يتغير أيضًا. ولهذه الأسباب يصبح الأمر أكثر أهمية للعلماء الاجتماعيين المسلمين والعلماء الدينيين أن يقوموا بتحليل وفهم الاتجاهات وفهم الاتجاهات الأصولية فى المسيحية المعاصرة، القوى التى تكمن خلفها، وأچندتها. سيساعد هذا على توليد حوار بنّاء من أجل فهم متبادل وتعاون أفضل بين المجتمعين والحضارتين لكى نجعل من هذا العالم مكانًا أفضل للبشرية كلها.

وإلا، فى حالة غياب مثل هذا الفهم، سيكون هناك فراغ يمكن أن يستغله هؤلاء الذين يعظون بالكراهية والتحيز والعنف وصدام الحضارات. ومن المأمول لكى نبدأ الخطوة الأولى فى هذا الاتجاه، أن يهيئ الفهم السياقى للعوامل الاقتصادية - الاجتماعية والمؤشرات الأخرى ذات الصلة، المناخ لدراسات أخرى فى الأصولية المسيحية والاتجاهات الأصولية فى أديان أخرى بشكل عام، من أجل فهم أفضل لهذه الظاهرة.

وكما أشرت سابقًا، من الصحيح بشكل عام أن الأداء الاقتصادى يلعب دورًا مهمًا فى الانتخابات الرئاسية الأمريكية فى الولايات المتحدة. ومن الصحيح بشكل مساو أيضا أن الانكماش القصير الأجل والقليل التأثير لا يولد الحركات الأيديولوچية الهادفة إلى تغير جذرى فى النظام من خلال التخلى عن الأسس الفلسفية للمجتمع واستبدالها بأسس جديدة. يرجع ظهور الحركة الأيديولوچية الرامية لإسقاط النموذج المسيطر للمجتمع لعوامل تاريخية واقتصادية - اجتماعية متجذرة فى المجتمع. سوف يسمح تقدير هذه العوامل، فى التحليل النهائى، للمرء بفهم طبيعة تلك الحركة والقوى المحركة لها ومن ثم الخروج بإجابة علمية.

ليس هناك من شك فى أن الولايات المتحدة هى أكثر مجتمعات العالم تقدمًا فى المجالين العلمى والتقنى. يعدً دخل الفرد والرفاهية الاقتصادية العامة للسكان من بين

أعلى المعدلات العالمية. قد لا يكون نظام الرفاهة الاجتماعية للولايات المتحدة الأفضل فى العالم، ولكنه يخدم الفقراء بشكل عام. وبأخذ كل ذلك فى الاعتبار، يقدم نشوء وصعود الأصولية المسيحية فى المجتمع الأمريكى المعاصر فرصة هائلة للبحث التجريبى لكل هؤلاء المهتمين بقضايا التقدم والتغير الاجتماعى لتحليل الوضع بشكل موضوعى واكتساب البصيرة العلمية فى شأن هذه الظاهرة. يبدو منهجنا هذا معقولا، حيث إن نشوء وصعود الأصولية المسيحية متركز فى إقليم معين من الولايات المتحدة. هذا الإقليم هو الجنوب الأكبر، وتعد الولايات الإحدى عشرة التى انفصلت عن الاتحاد عام ١٨٦١م وشكلت الولايات المتحالفة الأمريكية جوهر هذا الإقليم(*). لقد هزمت الولايات المتحالفة بشكل حاسم من قبل الاتحاد فى الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١-١٨٦٥م)(٢٢٨). كان الجنوب قبل هزيمته فى الحرب الأهلية مجتمعًا زراعيًا بشكل رئيسى واستفاد بشكل كبير من ممارسة العبودية، التى مكنته من الإبقاء على انخفاض تكاليف الإنتاج فى المحاصيل التى تحتاج لعمالة مكثفة والأنشطة الاقتصادية الأخرى وضمنت التقدم التدريجى فى السوق المحلى والتجارة الخارجية والتى استند ازدهارها عليها.

وعلى الرغم من ذلك، ألغى الرئيس أبراهام لينكولن العبودية فى الثانى والعشرين من سبتمبر ١٨٦٢م بإصداره إعلان التحرير من الرق(٢٢٩). لقد هزمت الولايات المتحالفة فى نهاية الأمر إبان الحرب الأهلية. لم يجلب هذا الانهزام للجنوب الذل فقط، وإنما أثر بشكل سلبى على الاقتصاد. جلب إلغاء الرق الحرية للعبيد، الأمر الذى كان يعنى ارتفاعًا نسبيًا فى أجور العاملين مؤثرًا على الجميع بشكل مساو، ولهذا، فإن الجنوب الذى حقق ازدهاراً من وراء استغلال عمالة العبيد الرخيصة، فقد اقتصاده المستقر نسبيًا بالمقارنة بالشمال، ومنذ ذلك الوقت فصاعدًا، تخلف اقتصاديًا بالمقارنة بالشمال والشرق الصناعيين. لقد أثر ذلك على ازدهار تلك الولايات الجنوبية. لقد أنتج هذا الوضع ثلاثة أبعاد إضافية للجنوب: أولاً الإحساس بالذل فى الحرب الأهلية، وثانيًا: الإحساس بالحرمان الاقتصادى فى مقابل الشمال المسيطر

(*) وفى حقيقة التاريخ، بدأت تلك الولايات الحرب الأهلية، بعد انفصالها، بأن أطلقت نيرانها على مبان فيدرالية - المترجمة.

اقتصاديًا ، وثالثًا : الإحساس بأنهم ضحايا عدم العدالة الاجتماعية على أيدى الولايات الشمالية . على الرغم من مرور قرن ونصف القرن تقريبًا منذ انتهاء الحرب الأهلية فى منتصف الستينيات فى القرن التاسع عشر ، فإن الإحساس بالذل وعدم العدالة لا يزال متجذرًا بعمق بين الكثيرين فى الجنوب ، وعادة ما يبدو واضحًا بطرق متعددة، على سبيل المثال التميز العنصرى ضد الأفروأمريكيين فى الجنوب ، والاعتقاد القوى بتفوق الجنس الأبيض ، ورفض قبول أفكار جديدة مثل المساواة العرقية ، حقوق المرأة ، والتعددية الدينية[٢٣٠] . . إلخ . لم يختف هذا المزاج الخاص من الجنوب ولا يزال يؤثر على المجتمع الجنوبى . خاطبت هولى وود القضايا الناشئة عن تلك الظاهرة بين الفينة والفينة . يظهر الفيلم الذى أنتجته هولى وود عام ٢٠٠٢م والذى حمل اسم «ألاباما موطننا الحبيب ـ Sweet Home Alabama»[٢٣١] أن الكثيرين من الجنوبيين المعاصرين ما زالوا يمجدون الكونفدراليين (الذين انفصلوا عن الحكومة الفيدرالية) كأبطال ، ويكرهون الشخصيات الاجتماعية السياسية المعاصرة التى تدافع عن المساواة والتناغم العرقى . وما زال علم الولايات المتحالفة يلقى شعبية فى الجنوب وليس من غير الشائع رؤية « . . . الرجال الذين يضعون أعلام التحالف على عربات النقل الخاصة بهم»[٢٣٢] .

تعمق فى هذا السياق التاريخى الأوضاع الاقتصادية ـ الاجتماعية بشكل أكبر ؛ التطلع الجنوبى للماضى وعشق التقاليد . ومن أجل تعريف السمات الاقتصادية ـ الاجتماعية للمجتمع الأصولى وتلك المتجانسة مع مسبباتها ، نقارن بين السمات الاقتصادية ـ الاجتماعية لولايات بوش (الولايات التى فاز بها بوش فى انتخابات عام ٢٠٠٠م) بولايات جور (الولايات التى فاز بها آل جور فى انتخابات عام ٢٠٠٠م) . سوف تسمح لنا هذه المقارنة بتحديد الخلفية العامة لناخبى ومساندى كل مرشح ، ونأمل أن نكون قادرين على رسم صورة اقتصادية ـ اجتماعية للناخبين المؤيدين لقضايا الأصولية المسيحية .

تصنيف الولايات من أجل تحليل البيانات: ملاحظة

تتشكل الولايات المتحدة من ٥٠ ولاية بالإضافة إلى العاصمة الفيدرالية واشنطن ، مقاطعة كولومبيا (والتى تعرف شعبيا بـ دى . سى) . فى الانتخابات الرئاسية لعام

٢٠٠٠م، فـاز بوش فى ثلاثين ولاية، بينمـا فـاز جـور بعـشـرين ولاية بـالإضـافـة إلى واشنطن دى. سى. سنمـيـز فى تحليلنا هنا، الـولايات الـثـلاثين التى صـوّتت لبـوش بولايات بوش(BS) . من وجـهـة نظر هذا التـحليل، يمكن أن تقـسـم الـ (BS) إلى مجموعتين فرعيتين. تتكون المجموعة الأولى من الإحدى عشرة ولاية التى تمردت فى الستينيات من القرن التاسع عشر وحاولت أن تؤسس بلدًا منفصلاً من خلال الانفصال عن الاتحـاد. لقـد أطلقت الولايات المنفـصلة اسـمًـا على البلد المشكل حـديثًـا وهو « Confederate States of America (CSA) » أو الولايات الأمـريكيـة المتـحـالفـة. هذه الولايات هى ألابامـا، أركانسو، فلوريدا، چورچيا، لويزيانا، ميسيسيپى، نورث كارولينا، ساوث كـارولينا، تينيسى، تيكساس، وڤيرچينيا. هذه الـولايات التى تمثل قلب الجنوب هى أيضًا قلب الأصـوليـة المسيـحيـة. وحـينمـا نشيـر إليـهـا فى تحليلنا كمجموعة فرعية سنميزها بـ CSA. وفى الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٠م صوتت CSA كلها لصالح بوش، لقد شكلوا مجموعة فرعية داخل BS . أما الولايات التسع عشرة المتبقية داخل مجموعة BS والتى صوّتت لصالح بوش، سنطلق عليها ولايات بوش غير المتحالفة (NCBS).

فى الانتـخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٠م، صوّت عدد ٢٠ ولاية بالإضافة إلى واشنطن دى سى لصالح جور. فى مناقشتنا هنا سنشير لتلك الولايات بما فيها واشنطن دى. سى، بولايات جور (GS). وسنضيف من أجل الوصول إلى صورة أكبر ممثلة للبلاد، البيانات الخاصة ببوش وجور لكل الولايات الخمسين مع البيانات الخاصة بواشنطن دى. سى. نتـوقع باستـخـدام هذا المجموع الإجمـالى أن نحدد ملامح عـامة بالنسبة للولايات المتحدة بشكل عام. سيستخدم هذا المجموع الإجمالى فى حساب متوسط المستوى القومى المناسب، والذى سنحدده بمتوسط الولايات المتحدة (U.S.Ave).

وفيما يلى تحليل مقارن للسمات الاقتصادية ـ الاجتماعية لولايات بوش فى مقابل ولايات جور:

١ ـ المستوى التعليمى والأصولية المسيحية

إن فهم المجتمع للعلاقة بين العقل والدين يؤثر عليه بشكل كبير المستوى العام

للتعليم ومفكروه الذين حصلوا على تعليم عال. تظهر بيانات التقرير الصادر عن المكتب الإحصائي للولايات المتحدة، لعام ٢٠٠٠م (جدول ١، عمود ٣) أنه في المتوسط، تحتفظ ولايات بوش BS بالمستوى الأدنى كثيراً في التحصيل التعليمي بدرجة أعلى من ولايات جور GS. وفي مجموعة السكان الذين تتراوح أعمارهم ما بين ٢٥ عامًا فأكثر، فإن نسبة التسرب من التعليم الثانوي بين BS وصلت إلى ١٨,٨٨٪ بالمقارنة بـ ١٧,٠٢٪ في GS. وبين ولايات بوش، الولايات الإحدى عشرة الانفصالية CSA أسوأ نسبة في البلاد، حيث تصل نسبة التسرب من المدارس الثانوية إلى ٢٣,٢٤٪، والتي تعد أعلى من النسبة القومية التي وصلت إلى ١٩,٦٠٪. صوتت ولاية ميسيسبي لصالح بوش، والتي سجلت أعلى معدل تسرب من التعليم في البلاد، حيث وصل إلى ٢٧,١٪ (جدول ٢، عمود ٢).

يدعم الاتجاه السابق بشكل أكبر المستوى التعليمي الأعلى (جدول ١، عمود ٤)، ففي ولايات بوش، في المتوسط، تصل نسبة السكان الذين حصلوا على درجات البكالوريوس إلى ١٤,٣٪، أما هؤلاء الذين حصلوا على دراسات عليا أودرجات مهنية (جدول ١، عمود ٥) فيصل المتوسط إلى ٨,٤٪ من عدد السكان. في ولايات جور حصل في المتوسط ١٦,٦٪ من عدد السكان على درجة البكالوريوس (جدول ١، عمود ٤)، بينما حصل ١٠,٣٪ (جدول ١، عمود ٥) على درجة عليا أودرجة مهنية. وهنا نرى أن ولايات بوش تحصل على أقل المعدلات القومية في التعليم العالي أيضًا، ومثل الولايات السابقة CSA كان متوسط حاملي درجة البكالوريوس ١٣,٨٪ من عدد السكان(جدول ١، عمود ٤). بينما NCBS كمجموعة فرعية حصلت على أقل معدل (٨,٣٧٪) (جدول ١، عمود ٥) من عدد السكان، الذين يحملون درجات عليا/ مهنية. ومن الجدير بالملاحظة أن ويست ڤيرچينيا (جدول ٢، عمود ١٢-١٣)، كانت الولاية ذات النسبة الأكثر انخفاضا من السكان الحاصلين على درجات جامعية: (درجة البكالوريوس ٩,٨٪، والدراسات العليا أو المهنية ٩,٥٪) قد صوتت لصالح بوش. ومن الناحية الأخرى، صوتت ولاية ماساشوستس لصالح جور، تلك الولاية التي حصلت على أكبر نسبة من حاملي درجة البكالوريوس في الولايات المتحدة (جدول ٣ عمود ١٢) تصل إلى ١٩,٥٪ وتصل نسبة الحاصلين على الدراسات العليا

Infant mortality rates per 1000 live births[f]		[g]Age-adjusted death rates per 100,000 population		Crime[h] index per 100,000 inhabitants	[i]Divorces per 1000 population	[j]Forcible Rape per 100,000 population	[k]Population based on race/ethnicity percentage of total	
White	African American	White	African American				Whites	African American
8	9	10	11	12	13	14	15	16
5.68	*14.08*	*853.20*	*1124.60*	*4124.00*	*4.00*	*32.00*	*75.14*	*12.32*
5.46	14.04	816.17	1038.72	3995.42	3.53	32.77	75.48	10.60
6.40	13.79	887.61	1108.33	4078.68	4.53	34.48	80.81	11.09
6.32	13.90	923.69	1208.55	4686.25	4.81	33.29	71.12	22.95
6.45	13.67	866.72	1039.43	3726.93	4.36	35.67	86.42	4.23

TABLE : 1

Socio-Economic Indicators of the Groupings of States: 2000

No	Groupings of States	No. of States	High[a] School Dropout %	Bachelor Deg. holders as a % of Pop. 25 yrs and above[b]	Grad/Professional Deg. Holders as a % of Pop. 25 yrs and above[c]	Per capita personal income[d] US $	Population below poverty line[e] %
	1	2	3	4	5	6	7
1	*USA average***		*19.60*	*15.27#*	*9.17#*	*29770*	*12.20*
2	GS + (D.C)	20	17.02	16.64	10.29	31448	11.01
3	BS	30	18.88	14.30	8.39	26384	12.58
	Sub-groupings						
4	CSA	11	23.24	13.81	8.41	25729	14.54
5	NCBS	19	16.36	14.59	8.37	26762	11.39

Notes:

*Includes 20 states plus Washington, D.C.

**National average for the entire United States as published by the relevant U.S. government departments/agencies.

#National average data are not available from the relevant US government sources. Therefore, the figures here refer to our calculated average from the total of 50 States plus D.C.

Sources of Data:

[a] Profile of Social Characteristics: 2000, U.S. Census Bureau 2000. (Table:DP-2).
http://www.ci.sanjose.ca.us/planning/sjplan/data/census_2000/citywide_dp_pdf/social_char_2000_2.pdf

[b] Profile of Social Characteristics: 2000, U.S. Census Bureau 2000. (Table:DP-2).
http://www.ci.sanjose.ca.us/planning/sjplan/data/census_2000/citywide_dp_pdf/social_char_2000_2.pdf

[c] Profile of Social Characteristics: 2000, U.S. Census Bureau 2000. (Table:DP-2).
http://www.ci.sanjose.ca.us/planning/sjplan/data/census_2000/citywide_dp_pdf/social_char_2000_2.pdf

[d] *U.S Department of Commerce,*
http://quickfacts.census.gov/qfd/states/html

[e] American Community Servey, Percent of Population Below poverty Level Ranking Tables, U.S. Census Bureau.
http://www.cenus.gov/acs/www/products/ranking/SS01/R01T040.htm

[f] Health, United States 2002, Department of Health and Human Services Center for Disease Control and Prevention, Natonal Center for Health Statistics, August 2002,

DHHS Publication No. 1232. , http://www.cdc.gov/nchs/data/hus/tables/2002/02hus029.pdf

[g] Health, United States 2002, Department of Health and Human Services Center for Disease Control and Prevention, Natonal Center for Health Statistics, August 2002,

DHHS Publication No. 1232. , *http://www.cdc.gov/nchs/data/hus/tables/2002/02hus029.pdf*

[h] The Disaster Center (1997-2000),
http://www.fbi.gov/ucr/cius_00/00crime2.pdf

[i] The Disaster Center (1997-2000),
http://www.fbi.gov/ucr/cius_00/00crime2.pdf

[j] U.S. Federal Bureau of Investigation, *Crime in the United States*, annual. No. 285.,
http://www.fbi.gov/ucr/cius00/contents.pdf

[k] U.S. Department of Commerce, State and County QuickFacts, U.S. Census Bureau,
http://quickfacts.census.gov/qfd/states/html

[f]Infant mortality rates per 1000 live births		[j]Forcible Rape per 100,000 population	Bach.s Deg. holders as a % of Pop. 25 yrs and above[b]	Grad/Professional Deg. Holders as a % of Pop. 25 yrs and above[c]	[k]Population based on race/ethnicity percentage of total	
White	African American				Whites	African American
9	**10**	**11**	**12**	**13**	**14**	**15**
7.1	15.4	33.3	12.2	6.9	71.12	25.99
7.4	12.6	31.7	11	5.7	80	15.67
5.8	12.6	44.2	14.3	8.1	77.99	14.61
5.9	13.5	24	16	8.3	65.07	28.7
6.2	13.5	33.5	12.2	6.5	63.91	32.49
6.6	14.7	35.8	11.1	16.9	61.38	36.34
6.7	15.7	27.1	15.3	7.2	72.11	21.59
6.3	15.5	37.7	13.5	6.9	67.19	29.54
5.4	15.6	38.4	12.8	6.8	80.21	16.4
5.5	11	37.7	15.6	7.6	70.97	11.53
5.6	12.8	22.8	17.9	11.6	72.33	19.64
6.32	***13.90***	***33.29***	***13.81***	***8.41***	***71.12***	***22.95***
5	NA	79.3	16.1	8.6	69.31	3.48
6.6	15	30.7	15.2	8.4	75.5	3.1
5.9	14.8	41.2	21.6	11.1	82.77	3.84
6.8	NA	29.7	14.8	6.8	90.99	0.42
6.9	15.4	28.9	12.2	7.2	87.49	8.39
7.1	10.5	38*	17.1	8.7	86.07	5.74
6.9	12.7	27*	10.3	6.9	90.08	7.32
6.1	16	24.1	14	7.6	84.86	11.25
6	NA	33.4*	17.2	7.2	90.58	0.3
6.2	16.2	25.5	16.5	7.3	89.6	4.01
6.1	12.1	43	12.1	6.1	75.16	6.78
4.7	NA	42.2*	18.7	10	96.04	0.73
7	NA	26.3	16.5	5.5	92.37	0.61
6.7	14.4	37.6	13.7	7.4	84.96	11.46
8.2	13.5	41.2	13.5	6.8	78.17	7.56
6.7	NA	40.4	6	21.5	88.68	0.62
5.2	NA	38.6	17.9	8.3	89.24	0.79
7.6	9.8	18.3	8.9	5.9	95.05	3.16
6.8	NA	32.4	14.9	7.8	97.08	0.75
6.45	***13.67***	***35.67***	***14.59***	***8.37***	***86.42***	***4.23***
6.40	***13.79***	***34.48***	***14.30***	***8.39***	***80.81***	***11.09***

TABLE: 2
Socio-Economic Indicators of the States won by Bush: 2000

No	State	*High School Dropout %	*Population below poverty line %	Per capita personal income* US $	*Crime index per 100,000 inhabitants	*Divorces per 1000 population	Age-adjusted death rates per 100,000 population[g]	
							White	African American
	1	2	3	4	5	6	7	8
1	Alabama	24.7	16.5	23694	4545.9	5.3	969.1	1204.3
2	Arkansas	24.7	15.4	22000	4115.3	6.6	972.9	1273.2
3	Florida	20.1	12.5	28366	5694.7	5.4	799.9	1161.9
4	Georgia	21.4	11.7	28103	4751.1	3.8	936.8	1172
5	Louisiana	25.2	19.1	23185	5422.8	NA	956.3	1252.1
6	Mississippi	27.1	18.6	20920	4004.4	5.4	996.9	1243.2
7	N. Carolina	21.8	14.1	27055	4919.3	4.5	891.9	1201.1
8	S. Carolina	23.7	13.4	24209	5221.4	3.5	924.4	1219.3
9	Tennessee	24	14.3	26290	4890.2	5.2	971.6	1287.8
10	Texas	24.4	15	27992	4955.5	4.1	874	1124.5
11	Virginia	18.5	9.3	31210	3028.1	4.3	868.8	1154.6
	Average of 11	*23.24*	*14.54*	*25729.45*	*4686.25*	*4.81*	*923.69*	*1208.55*
1	Alaska	11.6	7.2	29,960	4249.4	4.1	785	808.1
2	Arizona	19	NA	25,361	5829.5	4.2	830	983.9
3	Colorado	13	9.6	33,060	3982.6	NA	798.6	941.9
4	Idaho	15.3	12	23,987	3186.2	5.6	812.1	872.3
5	Indiana	17.9	9.8	27,010	3751.9	NA	914.3	1222.2
6	Kansas	14	11.3	27,439	4408.8	3.2	835.9	1157
7	Kentucky	25.9	15.4	24,258	2959.7	5.5	992.8	1184.3
8	Missouri	18.6	11.7	27,493	4527.8	4.3	916.8	1250.5
9	Montana	12.9	14.6	22,961	3533.4	2.8	836.5	NA
10	Nebraska	13.4	10.3	27,781	4095.5	3.7	808.6	1205.1
11	Nevada	19.3	9.7	29,794	4268.6	6.8	973	962
12	N. Hampshire	12.6	6	33,266	2433.1	5	841.7	627.5
13	N.Dakota	16.1	12.1	24990	2288.1	2.7	770.6	NA
14	Ohio	17.1	11	28,130	4041.8	4	903.8	1161.3
15	Oklahoma	19.4	15.5	24,007	4558.6	3.4	990.3	1183.4
16	S.Dakota	15.5	11.6	25,815	2319.8	3.4	778.9	NA
17	Utah	12.3	8.6	23,410	4476.1	4.4	789.6	935.6
18	W.Virginia	24.8	17.2	21,821	2602.8	5.2	1010.1	1174.1
19	Wyoming	12.2	11.4	27,941	3298	6.1	880.1	961.6
	Average of 19	*16.36*	*11.39*	*26762.32*	*3726.93*	*4.36*	*866.72*	*1039.43*
	Average of 30	*18.86*	*12.62*	*26383.60*	*4078.68*	*4.53*	*887.61*	*1108.33*

Sources of Data: Refers to the Data sources in TABLE: 1. *Refers to estimated data. NA-*Not Available*.

أو المهنية فيها إلى ١٣,٧٪ (جدول ٣ عمود ١٣). يضفي هذا نوعًا من الثقة للرؤية القائلة بأنه بوجه عام المجتمعات التى تحصل على قدر أقل من التعليم تكون محافظة على الأرجح وتفضل تفسيرًا أصوليًا ومتزمتًا للدين.

٢ ـ مستويات الدخل والأصولية المسيحية

من الأرجح لهؤلاء الذين التصقوا فى مستنقع الفقر أو المعاناة من شعور الحرمان بسبب الفقر النسبى أن يبحثوا عن عزاء فى الدين للتغلب على طموحهم فى تحقيق ازدهار اقتصادى ذلك الطموح الذى يؤججه الاستهلاك الواضح للأغنياء والأثرياء. فى بعض الأحيان، يمكن لهذا الشعور بالحرمان أن يحثهم على التطرف وتبنى أيديولوچيات راديكالية تحض على التغيير الثورى للوضع الراهن. يمكن فى بعض المجتمعات (كما فى حالة الولايات المتحدة) حيث قد لا يكون للأيديولوچيات الراديكالية قوة جاذبة ضخمة، أن يخدم الدين الغرض ذاته. قد تستغل الشخصيات الكاريزمية الدين كقوة لتعبئة الجماهير لتوحيد كل الذين «لا يملكون»، واستخدام هذه القوة الجمعية للتأثير على النظم السياسية لفرض رؤيتهم الأصولية وسلطتهم بالقوة على المجتمع سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، حتى لو تصادف أن تكون الديانة ذاتها معتدلة، متسامحة، وسلمية.

لقد عانت ولايات بوش BS من الفقر النسبى ونصيب الفرد المنخفض من الدخل القومى[٢٣٣] فى مقابل ولايات جور GS. تظهر بيانات وزارة التجارة الأمريكية (جدول ١ عمود ٧) أن ١٢,٢٠٪ من عدد السكان فى البلاد كان تحت خط الفقر عام ٢٠٠٠م ولكن فى BS وصلت هذه النسبة إلى ١٢,٥٨٪، والتى تعد أعلى من المتوسط القومى، بينما فى GS كانت هذه النسبة ١١,٠١٪. سجل مركز الأصولية المسيحية (ولايات CSA السابقة)، متوسط قدره ١٤,٥٤٪ من عدد السكان تحت خط الفقر، وهو المعدل الأعلى على مستوى الولايات المتحدة كلها. ومن المهم ملاحظة أن ولاية لويزيانا (جدول ٢ عمود ٣)، والتى حققت أعلى نسبة للسكان تحت خط الفقر (١٩,١٪) قد صوّتت لصالح بوش. وبشكل مشابه، حقق نصيب الفرد من الدخل القومى (جدول ١، عمود ٦) فى BS متوسط قدره ٢٦,٣٨٤ دولار أمريكى، والذى

يعد ليس فقط أدنى من متوسط GS الذى وصل إلى ٣١,٤٤٨ دولار أمريكى، ولكنه أدنى من المتوسط القومى لنصيب الفرد من الدخل القومى، والذى بلغ ٢٩,٧٧٠ دولار أمريكى. هذا بالرغم من حقيقة أن السكان البيض (جدول ١، عمود ١٥) فى ولايات بوش كانوا ٨٠,٨٪ فى مقابل ٧٥,٥٪ فى ولايات جور. تعد نسبة السكان البيض من الأمور الحاسمة لحالة الفقر، حيث إن الأفرو- أمريكيين وذوى الأصول الإسپانية بشكل عام هم أكثر فقرًا من البيض. الآن، إذا كان السكان البيض فى BS يشكلون نسبة ٨٠,٨٪، بينما السكان البيض فى GS تصل نسبتهم إلى ٧٥,٥٪ فقط، ينبغى إذن نظريًا أن تحصل ولايات بوش على نسبة أقل من السكان تحت خط الفقر بالمقارنة بولايات جور، وبالمنطق ذاته فإن نصيب الفرد من الدخل القومى فى ولايات جور ينبغى أن تكون أقل من ولايات بوش. ولكن البيانات تظهر أن متوسط نصيب دخل الفرد من الدخل القومى فى GS كان أعلى من نظيرتها فى BS. بين المجموعات الفرعية لولايات بوش، حققت ولايات CSA، مركز الأصولية المسيحية، أقل متوسط لنصيب الفرد من الدخل القومى فى البلاد بأسرها حيث بلغ ٢٥,٧٢٩ دولار أمريكى. هناك عامل مهم لتقرير نصيب الفرد من الدخل القومى وهو المستوى التعليمى. هناك حقيقة مبرهنة تقول إن هناك ارتباطًا إيجابيًا بين المستوى التعليمى للأفراد ودخولهم. حققت ولاية مسيسيپى التى بها أعلى معدل تسرب من التعليم، والذى وصل إلى ٢٧,١٪ (جدول ٢، عمود ٢) أيضًا أقل معدلات نصيب الفرد من الدخل القومى، الذى وصل إلى ٢٠,٩٢٠ دولار أمريكى (جدول ٢، عمود ٤). على الرغم من أن أكثر البيض موالون لبوش، إلا أن مستواهم التعليمى أقل، بالمقارنة بالبيض الموالين لجور. يتضح ذلك من حقيقة أن معدل وفيات الأطفال (جدول ١، عمود ٨) بين البيض الموالين لبوش بلغ ٦,٤٠ لكل ألف مولود، وهى نسبة أعلى من ٥,٤٦ بين البيض الموالين لجور. ينبغى أيضًا ملاحظة أن السكان الأفرو- أمريكيين فى ولايات كلا المرشحين كانوا حوالى ١١٪ (جدول ١، عمود ١٦). إن حقيقة أن مسيسيپى (جدول ٢، عمود ٤)، الولاية التى حققت أقل نسبة لمتوسط دخل الفرد (٢٠,٩٢٠ دولار أمريكى) فى البلاد قد صوّتت لصالح بوش، وكونيكتيكيت، الولاية ذات النصيب الأعلى لمتوسط دخل الفرد فى البلاد (٤١,٤٤٦ دولار أمريكى)

[f]Infant mortality rates per 1000 live births		[f]Forcible Rape per 100,000 population	Bachelors Degree holders as a % of Population 25 yrs and above[b]	Grad/Professional Degree Holders as a % of Pop. 25 yrs and above[c]	[a]Population based on race/ethnicity percentage of total	
White	African American				Whites	African American
9	10	11	12	13	14	15
5	NA	28.9	17.1	9.5	59.55	6.88
4.7	13.5	19.9	18.2	13.3	81.64	9.1
6.5	15.8	54.1	15.6	9.4	74.63	19.23
NA	16.8	43.9	18.1	21	30.78	60.01
6.4	NA	28.6	17.8	8.4	24.28	1.82
6.2	17.1	32.9*	16.5	9.5	73.48	15.11
5.8	17.3	23.1	14.7	6.5	93.93	2.11
5.4	NA	25.1*	14.9	7.9	96.95	0.53
5.2	13.9	29.1	18	13.4	64.03	27.89
4.2	11.2	26.7	19.5	13.7	84.54	5.41
6	16.4	50.6	13.7	8.1	80.15	14.21
5.2	13	45.5	19.1	8.3	89.45	3.49
4.4	13.8	16.1	18.8	11	72.55	13.57
7	NA	50.7	13.6	9.8	66.75	1.89
4.7	11.8	18.6	15.6	11.8	67.95	15.88
5.3	8.5	37.6	16.4	8.7	86.56	1.63
5.6	15.4	26.4	14	8.4	85.37	9.97
4.9	13.5	39.3	15.9	9.7	85.01	4.47
6.2	NA	23	18.3	11.1	96.78	0.5
4.8	10.1	46.4	18.4	9.3	81.81	3.23
5.7	16.6	21.7	15.3	7.2	88.93	5.68
5.5	***14.0***	***32.8***	***16.6***	***10.3***	***75.6***	***10.6***
5.5	***13.9***	***32.6***	***16.6***	***9.8***	***77.7***	***8.1***

TABLE : 3
Socio-Economic Indicators of the States won by Gore: 2000

No	State	[a]High School Dropout %	[a]Population below poverty line %	Per capita personal income[d] US $	[h]Crime index per 100,000 inhabitants	[i]Divorces per 1000 population	Age-adjusted death rates per 100,000 population[g]	
							White	African American
	1	2	3	4	5	6	7	8
1	California	23.2	12.8	32,363	3739.7	NA	799.7	1044.3
2	Connecticut	16	7.3	41,446	3232.7	2.9	790	995
3	Delaware	17.4	9.8	31,092	4478.1	4	882	1116.7
4	D.C	22.2	18.1	39,970	7276.5	2.3	669.4	1315.3
5	Hawaii	15.4	10.4	28,354	5198.9	3.8	639.5	382.6
6	Illinois	18.6	11.2	32,297	4286.2	3.2	846.9	1232.5
7	Iowa	13.9	9.7	26,540	3233.7	3.2	808.3	1114
8	Maine	14.6	10.6	25,732	2619.8	3.9	895	907.9
9	Maryland	16.2	8.1	34,060	4816.1	3	844.4	1160.2
10	Massachusetts	15.2	8.7	38,034	3026.1	2.4	818.3	952.7
11	Michigan	16.6	10.6	29,408	4109.9	3.9	864.4	1146.9
12	Minnesota	12	7.8	32,231	3488.4	3.3	768.5	1039.6
13	New Jersey	17.8	7.9	37,734	3160.5	3.5	834	1094.8
14	New Mexico	21.2	17.7	21,788	5518.9	5.1	847.8	711.8
15	New York	20.9	13.4	35,041	3099.6	3	822.8	901.2
16	Oregon	14.9	13.4	27,836	4845.4	4.9	842.3	1032.7
17	Pennsylvania	18.1	10.7	29,759	2995.3	3.2	875.3	1217
18	Rhode Island	22	12	29,257	3476.4	3.2	811.2	1160.1
19	Vermont	13.5	10.4	27,465	2986.9	4	850	NA
20	Washington	12.9	10.8	31,605	5105.6	4.5	812.3	990.9
21	Wisconsin	14.9	9.8	28,389	3209.1	3.2	817.5	1218.1
	Avge of 21	*17.0*	*11.0*	*31447.7*	*3995.4*	*3.5*	*816.2*	*1036.7*
	*Avge of 20**	*16.8*	*10.7*	*31021.6*	*3831.4*	*3.6*	*823.5*	*1022.1*

Sources of Data: ***Refer to the data sources in*** **TABLE: 1**
NA-***Data not available***
****Excluding D.C.***

(جدول ٣ عمود ٤) قد صوتت لصالح جور، هى أمر مثير للانتباه، حيث يتوقع المرء أن الولاية ذات النصيب الأكثر انخفاضًا من الدخل القومى والأقل من حيث مستوى المعيشة ستصوت لصالح جور الذى دافع عن البرامج التى تدعم الفقراء، ولكن بدلاً من ذلك صوت سكان ولاية مسيسيبى لصالح بوش الذى التزم بخفض أساسى للضرائب بالنسبة للأغنياء، وخفض برامج الرفاهية للفقراء. يبدو الوصول لاستنتاج أن الفقراء يصوتون لهؤلاء الذين يريدون خفض الضرائب على الأغنياء ويخفضون الإنفاق العام على البرامج التى ينتفع منها الفقراء والمعوزون أمرًا يحمل مفارقة. تتحدى هذه المفارقة افتراض السلوك الإنسانى العقلانى الذى يعد أساس الاقتصاد والعلوم الاجتماعية الأخرى.

تجلب هذه المفارقة إلى مقدمة الحوار قضية العقل فى مقابل العقيدة الدينية وقدرة الدين على مواجهة تحديات الحداثة وتطوير إجابة ملائمة لها. وبشكل مثير للاهتمام، تعكس حقيقة كون الولايات المتحدة مؤسسة على قيم الديمقراطية الليبرالية العميقة الجذور، أن العناصر الفقيرة فى المجتمع الأمريكى تصوت فى الانتخابات بإرادتها الحرة المبنية على اختيار مدعم بالمعلومات، ما يحدث فى بعض الدول النامية التى تحكمها أنظمة سياسية ذات قبضة حديدية، أو فى أفضل الحالات، تحكمها ديمقراطية غير ليبرالية تحت حكم حزب واحد، حكم عسكرى/ تتوارثه سلالة حاكمة أو حكم نخبة إقطاعية تجبر شعبها على التصويت بطريقة معينة[٢٣٤].

التفسير الوحيد لهذا السلوك الظاهر التناقض من فقراء أمريكا الذين صوتوا بطريقة معينة، هو أن الأصولية المسيحية تنتشر على نطاق واسع الآن بين المجتمعات ذات الدخل المنخفض فى الولايات المتحدة الذين صوتوا على أساس العقيدة الدينية أكثر من أى شىء آخر. قد يكون الوعى بهذه العقيدة الدينية فى بعض الأحيان أحد تلك العوامل التى تعطى الفرد (أو الجماعة أو المجتمع بأسره) شعورًا بما وراء الاقتصاد، وبالتالى توجههم لصنع اختيارات/ قرارات بطريقة معينة، سواء كانت اقتصادية أم فى أى مجال آخر. وباستمرار المعركة بين العقل والعقيدة بسبب الخلط بين السياسة والدين، ستبقى أمريكا أكثر المجتمعات المعاصرة انقساما فى العالم. لقد تحطمت وحدتها بشكل خطير فى الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٠م. لقد تنبأ ليستر ثورو فى

كتابه «مستقبل الرأسمالية» الصادر عام ١٩٩٦م، بالشقوق الكامنة فى وحدة المجتمع الأمريكى المعاصر وأدرك الحاجة إلى الاتحاد فى البلاد. من هذا المنطلق، قام بتحديد عدد من العوامل التى يمكنها أن توحد البلاد: هذه العوامل هى:

* تهديد عدو داخلى.
* تهديد عدو خارجى.
* الإيمان برؤية كبرى مشتركة، و/ أو.
* الأصولية الدينية[٢٣٥].

٣ـ نوعية الحياة

تتأثر نوعية الحياة ـ بالإضافة إلى المؤشرات التى استخدمها دليل التنمية البشرية (HDI) ـ أيضا بالإحساس بالأمن والاستقرار سعيا للسلام العقلى والروحانى. وإذا كان هناك اتجاه مثل ازدياد معدلات الوفاة، الجريمة، والطلاق، فإنها ستؤثر بشكل سلبى على طبيعة حياة الجماهير. ينطبق الأمر على مشاكلها مثل حمل المراهقات، الإجهاض، والإنجاب خارج رباط الزواج. الطريقة الناجعة للتعامل مع مثل هذه المشاكل، هى إحياء وممارسة القيم الأخلاقية، التى يعد الدين أحد مصادرها القوية. تعى تمامًا الحركة الأصولية الأمريكية هذه المشكلات، وهى منهمكة فى محاربتها بشكل حماسى. وفيما يلى نلقى نظرة على بعض الحقائق فى هذا السياق.

٤ـ معدل الوفيات

الفقر، سوء التغذية، والمرض، عوامل وقد تؤدى إلى الموت. طبقًا لتقرير إدارة الصحة والخدمات البشرية لعام ٢٠٠٢م، كان معدلات الوفيات طبقا للعمر المعدّل لكل ١٠٠,٠٠٠ من السكان فى المتوسط، أعلى عبر ولايات بوش بالمقارنة بولايات جور. بلغ متوسط معدل الوفيات فى ولايات بوش إلى ٨٨٧,٦ بين البيض(جدول ١، عمود ١٠) و١١٠٨,٣ بين الأمريكيين من أصل أفريقى (جدول ١، عمود١١). من الناحية الأخرى، وصل معدل الوفيات بين البيض فى ولايات جور، (جدول ١،

عـمود١٠) إلى ٢, ٨١٦، بينما وصـل المعدل بين الأفروأمـريكيـين إلى ١٠٣٦,٧ ، وهو معدل أقل من ذلك الذى حققته ولايات بوش. ومن الجدير بالملاحظة أن ولايات CSA السابقة، وهى قلب المسيحية الأصولية، لها السجل الأسوأ فى هذا السياق حيث إن معدل الوفيات بين البيض (جدول ١ ، عمود ١٠) وصل إلى ٩٢٣,٧ ووصل المعدل بين الأفروأمريكيين إلى ١٢٠٨,٦ (جدول ١ ، عـمود ١١). صوتت لبوش الولايات التى حققت أعلى معدل وفيات لكل ١٠٠,٠٠٠ من السكان البيض (ويست ڤيرچينيا ١٠١٠,١٠) وبالنسـبة للسكان الأفروأمـريكيين (تينيسى، ١٢٨٧,٨٠) (جدول ٢ ، عمود ٧ـ٨) ، بينما صوتت هاوائى التى تتمتع بأقل معـدلات الوفيـات بين كل من البيض ٦٣٩,٥ والأفروأمريكيين ٣٨٢,٦ لصالح جور (جدول ٣، عمود ٧ـ٨).

٥ـ دليل الجريمة ومعدل الطلاق

يبين التقرير الصـادر عن مركز الأزمات الأمريكى (١٩٩٧–٢٠٠٠م) (جدول ١ ، عمود١٢) أن معدل دليل الجريمة (لكل ١٠٠,٠٠٠) فى ولايات بوش عام ٢٠٠٠م وصل إلى ٤٠٨٧,٧ من السكان، بينمـا وصل فى ولايات جـور إلى ٣٩٩٥,٤٢ وبشكل يدعوللسخرية، فى قلب الأصولية المسيحية، ولايات CSA السابقة، وصل دليل الجريمة إلى ٤٦٨٦,٢ ، وهو الأعلى عبر البلاد. أريزونا (جدول ٢ ، عمود ٥) والتى حـققت أعلى دليل للجريمـة ٥٨٢٩,٥ قد صوّتت لصالح بوش ، بينما ولاية ماين (جدول ٣ ،عمود ٥) والتى حققت أقل مؤشرات الجريمة ٢٦١٩,٨ قد صوتت لصالح جور. وفقًا لتقرير مجلة التايم، صوت ٦١٪ من حائزى الأسلحة لصالح بوش بينما صوّت ٣٦٪ منهم فقط لصالح جور[٢٣٦]. فى عام ٢٠٠٠م وصل معدل الطلاق (لكل ١٠٠٠ من السكان) إلى ٤,٥٣ (جـدول ١ ، عـمـود ١٣) فى ولايات بوش، و٣,٥٣ فى ولايات جور ، بينما بلغ المتوسط القومى ٤ . وبشكل يستدعى السخرية، بين مجموعات الولايات، وصل معدل الطلاق فى قلب الأصولية المسيحية، (ولايات CSA السـابقـة) إلى أعلى مـعـدلاته (٤,٨١) فى البـلاد. واتبـاعـًا للنمـوذج القيـاسى للناخبين فى المعسكرين، صوتت ولاية نيڤادا (جدول ٢ ، عمود ٦) التى حققت أعلى معدلات الطلاق ٦,٨ لبوش. وهنا نحتاج أن ندرك حقيقة أن ولاية نيڤادا (وبشكل

خاص مدينة لاس ڤيجاس) هى عاصمة العالم فى لعب القمار، حيث ينتهى الحال بزوار الولاية إلى الزواج/ الطلاق فى الحال تحت تأثيرات متنوعة كما ظهر فى زواج نجمة البوب الأمريكية برتينى سپيرز حديثا من جيسون آلان ألكسندر. استمر زواجهما لمدة ٥٥ ساعة فقط وانتهى بإبطال الزواج فى ولاية نيڤادا[٢٣٧]. ولهذا، فنحن نتجاهل ولاية نيڤادا هنا، ونأخذ الولاية التى تقع فى المرتبة الثانية من حيث أعلى معدلات الطلاق فى الولايات المتحدة. هذه الولاية هى أركانسو التى وصل معدل الطلاق فيها إلى ٦,٦ (جدول ٢، عمود٦) والولاية التى حققت أقل معدلات الطلاق هى ماساشوستس حيث وصل معدل الطلاق إلى ٢,٤(جدول ٣، عمود ٦). ليس من قبيل المصادفة أن تحتفظ الولايتان بالاتجاه القومى العام، حيث صوتت أركانسو لصالح بوش بينما صوتت ماساشوستس لصالح جور فى الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٠م.

٦ـ معدلات الاغتصاب القسرى

طبقا لتقرير المكتب الفيدرالى للتحقيقات بالولايات المتحدة لعام ٢٠٠٢م، تُحسب الأرقام الخاصة بالاغتصاب القسرى على أساس كل ١٠٠,٠٠٠ من السكان. بلغ معدل الاغتصاب القسرى (جدول ١، عمود ١٤) فى عام ٢٠٠٠م إلى ٣٤,٥ فى ولايات بوش فى مقابل ٣٢,٨ فى ولايات جور. بلغ المعدل القومى للاغتصاب فى عام ٢٠٠٠ إلى ٣٢,٠ . تبين هذه الأرقام، أن معدل الاغتصاب فى ولايات بوش والذى بلغ ٣٤,٥ ، هو الأعلى من كل من المعدل الخاص بولايات جور والمعدل القومى. وبين مجموعات الولايات، فإن معدل الاغتصاب القسرى فى قلب الأصولية المسيحية (CSA على سبيل المثال) والذى بلغ ٣٣,٣ يظل الأعلى بالمقارنة بالمعدل القومى وولايات جور. صوتت ولاية ألاسكا، والتى حققت أعلى معدل للاغتصاب القسرى (جدول ٢، عمود ١١) والذى بلغ ٧٩,٣ لصالح بوش فى الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٠ ، بينما ، ومواصلة للاتجاه القومى، صوتت ولاية نيوجيرسى (جدول ٣، عمود ١١) الولاية التى بها أقل معدلات الاغتصاب القسرى (١٦,١) لصالح جور.

٧ـ حمل المراهقات والإجهاض، والإنجاب خارج رباط الزواج

طبقا للتقرير الصادر عام ١٩٩٩م عن معهد آلان جوتماخر[٢٣٨] حول حمل المراهقات (جدول ٤ ، عمود ٢)، فى عام ١٩٩٦م بلغ معدل الحمل بين المراهقات لكل ١٠٠٠ امرأة (فى المجموعة العمرية من ١٥-١٩) فى الولايات المتحدة إلى ٩٧، بينما بلغ فى ولايات جور الواحدة والعشرين (جدول ٥، عمود ٢) إلى٩٤,٢٩ ولكن إذا ما استثنينا واشنطون دى سى من معسكر جور، فإن النسبة ستنخفض إلى . أما ٨٦,٢٠ . أما فى ولايات بوش الثلاثين (جدول ٤ ،عمود ٢) كان المعدل ٨٨,٤ (جدول ٤، عمود ٢)، ولكن فى قلب الولايات الأصولية المسيحية (ولايات CSA) يصل الحمل بين المراهقات إلى ١٠٤,١٨ لكل ١٠٠٠ من النساء (١٥-١٩ عامًا). من المحتمل لكونهن تقليديات متدينات، تتزوج النساء فى ولايات CSA مبكرًا وينجبن الأطفال.

طبقًا للتقرير السابق، بلغ معدل الإجهاض فى الولايات المتحدة (جدول ٤، عمود ٣) إلى ٢٩ لكل ألف امرأة. فى ولاية بوش الثلاثين، بلغ معدل الإجهاض ١٩,٩٠، بينما فى قلب ولايات الأصولية المسيحية (CSA) كان معدل الإجهاض أعلى، حيث بلغ ٢٢,٧٣ . أما فى ولايات جور الإحدى والعشرين، فقد بلغ معدل الإجهاض (جدول ٥ ، عمود ٣) إلى نسبة أعلى ٣٤,٦٢، ولكن بعد استثناء واشنطن، دى. سى ينخفض هذا المعدل إلى ٣٠,٣ ولكنه يظل أعلى من متوسط ولايات بوش والمتوسط القومى بشكل عام.

بلغ معدل المواليد لكل ١٠٠٠ امرأة غير متزوجة[٢٣٩] (من كل الأعراق)[٢٤٠] فى عام ٢٠٠٠م (جدول ٤، عمود٤) إلى ٣٣,٢ . بلغ المعدل فى ولايات بوش ٣٢,٦٩ فى مقابل ٣٣,٣٩ فى ولايات جور(جدول ٥، عمود ٤). وينبغى ملاحظة أن أعلى معدلات حمل المراهقات (جدول ٥)، ٢٥٦ (لكل ١٠٠٠ امرأة، فى المجموعة العمرية من ١٥-١٩ عامًا)، الإجهاض، ١٢١ (لكل ١٠٠٠ امرأة، فى المجموعة العمرية من ١٥-١٩) ومواليد الأطفال للنساء غير المتزوجات، ٦٠,٣-قد سجلت فى واشنطن دى. سى التى صوتت لصالح جور. ومن الجدير بالإشارة هنا أن ٦٠٪ من عدد السكان

TABLE : 4

Pregnancy*, Abortion* and Percent of Births to Unmarried Women**: Bush States

No.	State	Pregnancy rate[2] per 1,000 women 15-19 years	Abortion Rate per 1,000 pregnancies 15-19 years	Births per 1,000 unmarried women				
					White		Black	
				All races[1]	Total	Non-Hispanic	Total	Non-Hispanic
	1	2	3	4	5	6	7	8
1	**Alabama**	106	21	34.3	18	17.7	68.1	68.1
2	**Arkansas**	108	16	35.7	25.3	24.5	74.8	74.9
3	**Florida**	115	40	38.2	29.7	26.5	67.5	67.7
4	**Georgia**	109	25	37	22.7	20.1	66.4	66.8
5	**Louisiana**	97	15	45.6	25.4	25.1	73.8	73.9
6	**Mississippi**	108	16	46	21.7	21.2	75.1	75.1
7	**N. Carolina**	105	26	33.3	22.5	19.1	65.8	65.9
8	**S. Carolina**	98	20	39.8	23	22	70.9	70.9
9	**Tennessee**	100	18	34.5	24.6	23.7	72.3	72.3
10	**Texas**	113	23	30.5	27.2	19.7	61.4	61.4
11	**Virginia**	87	30	29.9	21	18.8	62.8	62.9
	Average of 11	***104.18***	***22.73***	***36.8***	***23.74***	***21.67***	***68.99***	***69.08***
1	**Alaska**	75	18	33	23.4	22.8	45.5	45.4
2	**Arizona**	118	27	39.3	36.9	24.6	61.8	61.6
3	**Colorado**	90	28	25	23.9	17.4	51.6	51.4
4	**Idaho**	70	12	21.6	21	19.1	48	47.3
5	**Indiana**	88	19	34.7	29.9	28.5	75.9	76.1
6	**Kansas**	79	18	29	25.9	23.5	69.3	69.4
7	**Kentucky**	89	14	31	26.9	26.7	73.4	73.4
8	**Missouri**	86	19	34.6	27.2	26.5	77.2	77.2
9	**Montana**	65	17	30.8	25.4	24.4	NA	NA
10	**Nebraska**	62	14	27.2	24.1	21.6	67.3	67.2
11	**Nevada**	140	51	36.4	34	28.2	67.4	67.8
12	**N. Hampshire**	57	20	24.7	24.8	24.2	37.9	37.6
13	**N.Dakota**	50	10	28.3	23.3	22.8	NA	NA
14	**Ohio**	81	18	34.6	27.6	26.9	75.5	75.6
15	**Oklahoma**	90	13	34.3	28.6	27.3	70	70.1
16	**S.Dakota**	59	10	33.5	25	24.6	34	33.7
17	**Utah**	60	8	17.3	16.5	13	52.7	52.2
18	**W.Virginia**	73	11	31.7	30	30	75.7	75.6
19	**Wyoming**	74	20	28.8	27.3	25.5	38.6	37.5
	Avge of 19	***79.26***	***18.26***	***30.31***	***26.41***	***24.08***	***60.11***	***59.95***
	Average of 30	***88.40***	***19.90***	***32.69***	***25.43***	***23.20***	***63.60***	***63.54***
	US average	***97***	***29***	***33.2[§]***	***27.1[§]***	***22.1[§]***	***68.5[§]***	***68.7[§]***

Notes:

*Refers to data for 1996 as the latest data are not available. [§]Excludes data for the territories.

**Refers to data for 2000. [1]Includes races other than white and black and origin not stated.

[2]Includes estimated number of pregnancies ending in miscarriages, NA-*Not Available*.

Sources: Data for pregnancy and Abortation rates, *Teenage Pregnancy: Overall Trends and State-by-State Information.* Table 4. The Alan Guttmacher Institute, April 1999. *http://www.agi-usa.org/pubs/teen_preg_stats.html*

Data for percent of births to unmarried women, ***National Vital Statistics Reports***, Vol.51. No. 2, 2002 US. Table 19.

http://www.cdc.gov/nchs/data/nvsr/nvsr51/nvsr51_02.pdf

فى واشنطن دى. سى هم من الأمريكيين من أصل أفريقى (جدول ٣، عمود ١٥) يعانون من التخلف بشكل خطير تعليميًا وبالتالى اقتصاديًا. إذا ما قمنا بحساب معدل الحمل بين المراهقات، الإجهاض، ومواليد الأطفال للنساء غير المتزوجات فى ولايات جور، باستثناء واشنطن دى. سى، فإذن أداء ولايات جور يتطور بشكل مثير بهذه المعايير. ويتضح ذلك من جدول ٥، حيث متوسط حمل المراهقات (عمود ٢) فى ولايات جور العشرين (مع استثناء واشنطن دى. سى) كان ٨٦,٢ وهو أقل من كل من المتوسط القومى الذى بلغ ٩٧,٠ وولايات بوش الثلاثين التى حققت معدل قدره ٨٨,٤٠. وبشكل مشابه، بعد استثناء واشنطن، دى. سى، فإن معدل الإجهاض فى ولايات جور العشرين المتبقية (جدول ٥، عمود ٣) ينخفض بشكل شديد من ٣٤,٦٢ إلى ٣٠,٣ لكل ألف حالة ولادة. على الرغم من ذلك، تبقى أعلى بشكل ذى مغزى بالمقارنة بـ ١٩,٩٠، وهو المتوسط الذى وصلت إليه ولايات بوش. من الناحية الأخرى، فى ولايات جور، تنخفض نسبة الأطفال المولودين لنساء غير متزوجات (بالنسبة لكل الأعراق)[٢٤١] من ٣٣,٣٩ إلى ٣٢,٠٤ بعد استثناء واشنطن دى. سى، وهو أقل من المتوسط القومى ٣٣,٢. أما متوسط ولايات بوش ٣٢,٦٩، ومتوسط الولايات الإحدى عشرة التى تمثل قلب الأصولية (جدول ٤، عمود ٤)، فقد بلغ ٣٦,٨، ممثلاً المعدل الأعلى بين مجموعات الولايات فى البلاد. وإذا أردنا التحدث بشكل تحليلى، فبمجرد استثناء البيانات الخاصة بواشنطن دى. سى، فإن متوسط المؤشرات الخاصة بالمشاكل الاجتماعية فى ولايات جور ينخفض بشكل ذى مغزى، مما يؤكد بشكل أبعد على موقفنا من حيث المبدأ بأن نقص التعليم مقرون بالمشاكل التى يسببها الفقر والحرمان، والصعوبات الاقتصادية التى تخلق بيئة اجتماعية، تؤدى إلى سلوك غير مسئول اجتماعيًا وأخلاقيًا.

ملاحظات ختامية

يمكن القول بأن استنتاجات هذه الدراسة التجريبية كاشفة وتمكن القارئ من فهم الواقع الأمريكى المعاصر. إنها تظهر فى الحقيقة أن هناك أمريكتين. واحدة تريد أن تستمر فى الانفصال بين الكنيسة والدولة، وتؤمن بالعمل الاجتماعى لحل المشاكل

TABLE : 5

Pregnancy*, Abortion* and Percent of Births to Unmarried Women**: Gore States

No.	State	Pregnancy rate' per 1,000 women 15-19 years	Abortion Rate per 1,000 pregnancies 15-19 years	Births per 1,000 unmarried women				
					White		Black	
				All races[1]	Total	Non-Hispanic	Total	Non-Hispanic
	1	2	3	4	5	6	7	8
1	California	125	45	32.7	33	19.8	62.7	62.7
2	Connecticut	86	37	29.3	24.6	16.2	67.3	67.2
3	Delaware	95	24	37.9	28.4	25.2	71	70.9
4	D.C	256	121	60.3	25.1	8.7	77.8	77.8
5	Hawaii	101	39	32.2	17.1	15.2	23.7	21.4
6	Illinois	106	34	34.5	25.9	19.8	76.4	76.5
7	Iowa	58	12	28	28.4	25.5	74	74
8	Maine	57	18	31	30.8	30.8	43.8	43.3
9	Maryland	106	46	34.6	22.4	20.2	60.7	60.9
10	Massachusetts	79	37	26.5	23.4	18.5	58.9	57.6
11	Michigan	87	29	33.3	25.1	23.3	72.7	73.1
12	Minnesota	56	16	25.8	22.2	20.9	60.1	60.3
13	New Jersey	97	50	28.9	22.6	13.2	64.8	65.9
14	New Mexico	110	22	45.6	41.9	26.5	59.6	59.5
15	New York	108	53	36.6	29.4	18.8	67.8	67.4
16	Oregon	90	26	30.1	29.6	27.3	64.6	64.8
17	Pennsylvania	70	20	32.7	26	23.5	76	76.1
18	Rhode Island	87	32	35.5	31.9	25.1	63.9	63.6
19	Vermont	60	22	28.1	28.1	27.9	NA	NA
20	Washington	85	29	28.2	26.9	24.2	53.6	54.2
21	Wisconsin	61	15	29.3	23.6	22	82.1	82.1
	Average of 21	*94.29*	*34.62*	*33.39*	*26.88*	*21.55*	*64.08*	*63.97*
	US average	*97*	*29*	*33.2*#	*27.1*#	*22.1*#	*68.5*#	*68.7*#
	Average of 20@	*86.2*	*30.3*	*32.04*	*26.97*	*22.2*	*63.35*	*63.24*

Notes:

*Refers to data for 1996 as the latest data are not available. #Excludes data for the territories.

**Refers to data for 2000. [1]Includes races other than white and black and origin not stated.

'Includes estimated number of pregnancies ending in miscarriages. @Excludes Washington D.C.

NA-*Not Available.*

Sources: Data for pregnancy and Abortation rates, *Teenage Pregnancy: Overall Trends and State-by-State Information.* Table 4. The Alan Guttmacher Institute, April 1999. *http://www.agi-usa.org/pubs/teen_preg_stats.html*

Data for percent of births to unmarried women, ***National Vital Statistics Reports***, **Vol.51. No. 2, 2002 US. Table 19.**

http://www.cdc.gov/nchs/data/nvsr/nvsr51/nvsr51_02.pdf

الاقتصادية ـ الاجتماعية. والأخرى هى أمريكا أقل نسبيًا من الناحية التعليمية، وتعانى من الفقر الاقتصادى النسبى والحرمان والمشاكل الاقتصادية ـ الاجتماعية. إنها تؤمن أن التقوى هى الحل إزاء كل المشاكل الاجتماعية.

تريد هذه «الأمريكا» أن تحطم الحوائط الفاصلة بين الكنيسة والدولة، وأن تستخدم العقيدة الدينية كأساس لإدارة حكومة الولايات المتحدة، بحيث تملى عليها كل سياسات البلاد بدءاً من الشئون الداخلية، العسكرية والخارجية، إلى التجارة الخارجية، والبيئة. إنها تدرك نفسها باعتبارها تقية وضحية الظلم التاريخى الذى وقع عليها إبان الحرب الأهلية. لقد أرادت هذه «الأمريكا» أن تستعيد كبرياءها المفقود وتفوقها عن طريق مزج الأصولية الدينية بالسياسة فى الديمقراطية الليبرالية الأمريكية. تعطى مشاكلها الاقتصادية ـ الاجتماعية جماهير الشعب العريضة الحافز والطاقة والشعور بأن لديهم رسالة فى الحياة، تشعر بأدائها أن الله يقف إلى جانبها. من الصعب على الغرباء الذين يرون الولايات المتحدة عن بعد، من خلال عدسات الصحافة ووسائل الإعلام الإلكترونية الغربية، فهم صعود الأصولية المسيحية فى الولايات المتحدة فى القرن العشرين، حيث إن الولايات المتحدة لا يتحقق فيها لا يتحقق فيها ـ بشكل واضح ـ شروط المجتمع المتخلف. تصنع الصورة الموحدة المرسومة بعناية للمجتمع الأمريكى فائق التقدم نوعًا من التنويم المغناطيسى لهؤلاء الغرباء، حيث يقدم لهم النموذج الأمريكى الرأسمالى كتجسيد لمجتمع الوفرة الاقتصادية. تقدم وسائل الإعلام الغربية هذه الصورة للعالم بوصفها نموذجًا لمجتمع موحد ومتكامل بطريقة طبيعية، يعمل بطريقة متماسكة فى أكثر دول العالم تطوراً فى الاقتصاد، ضمن إطار النظام السياسى المستقر الضارب بجذوره فى مثاليات الديمقراطية الليبرالية. لقد اعتاد العالم على رؤية الانقسامات السياسية فى الولايات المتحدة قياسًا على ما يحدث فى المجال الحزبى لدرجة أن أية انقسامات فى المجتمع الأمريكى تؤخذ بشكل طبيعى مسلم به على أنها نتيجة للطبيعة الثنائية الحزبية للجسد السياسى الأمريكى. إحدى العلامات المميزة للنموذج القياسى ثنائى الحزب، هى أنه يحترم حرية الناخبين فى عبور حدود الحزب، وهم يضعون علامات على أوراق الاقتراع فى أماكن التصويت. على الرغم من ذلك، فإن الانشقاق الحالى فى المجتمع الأمريكى، والذى تسبب فيه الخلط

بين الدين والسياسة، يذهب أعمق من ذلك، بل ويصل إلى الأسس الأيديولوچية اللصيقة بالأمة. بمجرد أن يبدأ الدين فى توجيه السياسة، تصبح ولاءات السياسيين والناخبين المحفزين دينيّا متجذرة بشكل عميق، ولا يستطيعون، وهم محفزون بالحماسة التبشيرية، أن يتنازلوا عن مبادئهم الأصولية التى يرون أنها إلهية ومقدسة إلى أبعد حد. إنهم يرون السياسة بوصفها أداة لإنجاز رسالة إلهية، حربًا مسيحية مقدسة[٢٤٢]. فإذا ما خسروا الحروب السياسية الأولى، فإن حماسهم يزداد بشكل أسرع حيث يروا أنفسهم يقاتلون «الشر». فإذا ما انتصروا، فإن ثقتهم فى قوامتهم الأخلاقية تقوى بشكل أكبر، ويفسرون ذلك على أنه علامة على النعمة الإلهية لاجتذاب مجندين جدد، مخبرين إياهم أن «الله يقف إلى جانبنا»، وذلك يمكن أن يكون له تأثير شعبى قوى ناجح على نحو محتمل. وبالتالى، بأى الطريقتين يبقى التزامهم قويّا وتسير الأمور حسب طريقتهم.

ينتاب زعماء الأصوليين فى الولايات المتحدة، والمخططين والاستراتيچيين حاليا القلق بأن الناخبين والمؤيدين التابعين لهم بين الجماهير العريضة قد يصبحون راضين عن أنفسهم، بينما قد يفقد المتعاطفون معهم الاهتمام بقضيتهم، حيث إنهم باتوا مدركين أن مع السيطرة الأصولية على البيت الأبيض والكونجرس مع فجر القرن الواحد والعشرين، فقد تم إحراز النصر بالفعل. ولهذا السبب يتطلب التعقل أنه برغم كل السلطة والمجد والقبضة على السياسة والاقتصاد ووسائل الإعلام والمجتمع الأمريكى، فإن الحركة يجب أن تحتفظ باهتمام تابعيها فيما يتعلق بالأچندة الموحدة، وأن يراها التابعون بوصفها ضحية الظلم والاضطهاد.

إذا رُسمت صورة للحركة الأصولية بوصفها ضحية النظام السياسى والهيكل الإدارى القائمين، فإن مشاعر المؤمنين سوف تجيش، مما سوف يبقى المؤيدين والمتعاطفين ملتزمين ونشطين بشكل كامل بقضاياها حتى حدوث الثورة الكاملة، أى الانغماس الكامل لتوجهات البلاد برمتها، القضائية والتعليمية والاجتماعية وسياسات البلاد كقوة عظمى، فى الأصولية المسيحية. وبوضع هذا الهدف نصب أعينها، تصنع الحركة الأصولية من وقت لآخر تحركات تكتيكية متنوعة بطريقة ما تجعل الأچندة الاجتماعية للحركة والمستندة على أساس دينى تصعد إلى مقدمة الأحداث، حيث

تصنع المطالب المتطرفة على هذا الأساس. تهدف هذه المطالب إلى صنع صراع عمدى فى المجتمع الأمريكى، وتدمير الإجماع القائم على الثنائية الحزبية الذى يؤكد على المبادئ التى تم التوصل إليها عن طريق العقد الاجتماعى الذى تطور عبر القرون من خلال اندماج العقل والتقاليد والتعددية الدينية ضمن إطار قيم الديمقراطية الليبرالية. يوقظ هذا الصراع مشاعر التعاطف للعقيدة الدينية بين الجماهير المسيحية، ومن ثم يتحول هذا التعاطف إلى مسألة ولاء للعقيدة فى مقابل العقد الاجتماعى الذى توجد جذور تطوره فى العقل واحترام الحرية الإنسانية والتحرر. حينما تجد الأغلبية الواسعة من الجماهير قيم التقوى موضوعة تحت الهجوم أو تحت الحصار، سوف يعبرون عن ولائهم من خلال المساندة غير المشروطة الإيجابية للأجندة الأصولية، وبالتالى يتسببون فى تعطيل الثقافة والتقاليد الخاصة بالوحدة القومية القائمة على أساس الثنائية الحزبية. وتزيد كثافة هذه المطالب من درجة حرارة كلا الطرفين، وإذا لم تتم تلبية مطالب الأصوليين، فإن مسانديهم سيشعرون بالألم، وسيصبح المتعاطفين معهم من النشطاء ـ وسيؤدى ذلك بالتالى إلى زيادة عدد المنتمين للحركة وسلطتهم أيضًا. كان أحد السيناريوهات الحديثة هو قيام روى مور رئيس القضاء فى ألاباما بنصب تمثال الوصايا العشرة الذى يزن ٦ , ٢ طن فى مبنى قضايا الدولة فى مونتجمرى عاصمة الولاية[٢٤٣]. لقد خلقت هذه الواقعة خلافًا فى جميع أنحاء البلاد، حيث كان هناك المعارضون لها على أساس الفصل بين الكنيسة والدولة. وأخيرا، وبعد معارك قانونية مطولة، فى أغسطس ٢٠٠٣م (فقط حينما بدأت الحملة الرئاسية لانتخابات عام ٢٠٠٤م) بأمر من قاضى المقاطعة التابع للمحكمة الفيدرالية الأمريكية مايرون ثومبسون، أزيل التمثال من القاعة المستديرة للمبنى القضائى فى ولاية ألاباما على أساس أن وجوده «. . . ينتهك المبدأ الدستورى للولايات المتحدة الخاص بالفصل بين الدين والحكومة»[٢٤٤]. وفى وقت إزالة التمثال، قام العديد من الجماعات الأصولية بتنظيم المظاهرات الرافضة لنقل التمثال. لقد وضع مور تمثال الوصايا العشر فى المبنى القضائى لأنه كان معتقدًا بأن الهيئة القضائية ينبغى أن تؤسس العدالة من خلال الاسترشاد بالوصايا العشر الإلهية. لقد جادل محاموه بأنه كان ينبغى أن يمنح الحق فى «. . . تأسيس العدالة الموكولة إليه بعد أن قام بحلف اليمين لدستور ألاباما من خلال الاعتراف بإرشاد وفضل الله واسع المقدرة»[٢٤٥]. لقد تصاعد الغضب بعد هذه

الهزيمة التى حلت بالحركة ذاتيًا، والتى جلبها القاضى مور بمواجهته المحسوبة والمخططة جيدًا مع النظام القضائى القائم، وكان المقصود به إلهاب مشاعر الأصوليين والمتعاطفين معهم من أجل الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٤م. إن هذا تحديدًا ما أرادته الحركة الأصولية المسيحية أن يحدث مع مقدم نوفمبر ٢٠٠٤م(٢٤٦)؛ لأنه إذا ما تم انتخاب رئيس وكونجرس مواليين للأچندة الأصولية فى عام ٢٠٠٤، فإذن سيكون هناك عدد أكبر من القضاة المحافظين [فى المحكمة العليا]، وهم من سيقومون بتفسير الدستور بما يتماشى مع الأچندة الأصولية فى النزاعات الجارية مثل القضايا الخاصة بالصلاة فى المدارس، الإجهاض، حرية التعبير.. إلخ.

ليس هناك من شك فى أن الولايات المتحدة هى مهد التقدم فى العلوم والتكنولوچيا، وأن مواطنيها يستمتعون بمستوى معيشى مرتفع للغاية بفضل الإنتاجية المرتفعة فى الزراعة والصناعة وقطاع الخدمات والصناعات المبنية على المعرفة. إن مؤسساتها الديمقراطية منظمة بشكل جيد، وبأشكال عديدة هى محل حسد الآخرين. وفوق كل ذلك، يؤسس دستور الولايات المتحدة أيضًا للفصل الواضح بين الكنيسة والدولة. على الرغم من ذلك، وكما أظهرت هذه الدراسة، فإن الولايات المتحدة فى أفضل الأحوال هى مجتمع «مزدوج». لقد تقدم الشمال والشرق وجزء من الولايات الغربية. من الناحية الأخرى ظلت الولايات الجنوبية، التى كانت راسخة فى المسيحية لمدة تزيد على قرنين وهى قلعة الأصولية المسيحية، ملتصقة بمستنقع الفقر النسبى، التخلف الاقتصادى ـ الاجتماعى والمشاكل الأخلاقية. على الرغم من القرنين اللذين رسخت فيهما هذه الولايات فى المسيحية، فلا يبدو أن تخلفها الاقتصادى النسبى ولا المشاكل الأخلاقية قد وصلت إلى حل مرضى يجعلها تشعر بالتكافؤ فى مستوى الإنجاز مع الشمال، كما كشفت عنه الدلائل التجريبية التى نوقشت فى هذا الفصل. فى هذا السياق، حينما يتضاءل الأمل فى تطوير أوضاعهم، يتطلع هؤلاء الفقراء لأن يكونوا «مولودين من جديد»، أملاً فى أن هذه التجربة سوف تنقلهم من الحرمان والفوضى الأخلاقية إلى الازدهار والسلام الروحانى والعقلانى. يجعلهم ذلك يشعرون بأنهم أفضل؛ لأنه بعد أن يصبحوا «مولودين من جديد» سيكونون قادرين على أن يساعدوا الآخرين عن طريق تحويلهم إلى الأصولية. هناك اعتقاد بأنهم

لو أصبحوا ممارسين لمفهوم الولادة من جديد، فإن ذلك سيكون فى صالحهم، بالإضافة إلى ذلك، فإن الأصولية المسيحية توحدهم أيضًا، وهذه الوحدة لها قوة تعادل قوة «بنك التصويت». باستخدام قوة بنك التصويت، يستطيعون انتزاع أدوات الحكومة لتحقيق أهدافهم. هذه الخلفية لهذا الفقر النسبى المشترك والحرمان هى التى تعطيهم نقطة التجمع من أجل الفعالية السياسية وتوحدهم أيضًا ضد التحديات الفكرية التى تضعها أمامهم الولايات المتقدمة فى الشرق، الغرب والشمال. قسم التوتر الجارى بين الجنوب الأصولى والولايات المتقدمة الأمة بشكل مرير، كما شاهد العالم فى الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٠م. نجم كل هذا الانقسام عن النزاع على المبادئ الموجهة للدولة. إحدى المجموعتين، ملهمة بمثاليات فكرة الحكومة الدينية، وتؤمن بأن الترجمة الحرفية للكتاب المقدس هى الموجه الحقيقى لكلٍّ من الفرد والدولة. تهدف هذه المجموعة إلى تأسيس مملكة الله على الأرض[٢٤٧]، أما المجموعة الأخرى فتعتقد أن المرشد لحل المشاكل الاجتماعية ينبغى أن ينبثق من دستور الولايات المتحدة، وإرادة الشعب، مع مزيج من العقل والفعالية الاجتماعية للسياسة العامة. الصراع بين هاتين المجموعتين ليس مجرد صراع من أجل النفوذ السياسى، وإنما هو صراع من أجل الفوز بروح الأمة المبنية على مثاليات التحرر والحرية والتعددية الدينية والفصل بين الكنيسة والدولة، وتحقيق المساواة والازدهار للجميع مع ضمان حقوق الإنسان والحريات المدنية. ولهذه الأسباب اختار المرشح الرئاسى الديمقراطى السيناتور چون كيرى، سيناتور نورث كارولينا جون إدواردز كمرشح لنائب الرئيس فى حملته الانتخابية، على أمل أنه باحتفاظه بإدواردز إلى جانبه، ستكون قائمة الحزب الديمقراطى قادرة على حل قبضة بوش على الجنوب مع مجىء نوڤمبر ٢٠٠٤م[٢٤٨].

سيتأثر مستقبل العالم بشكل كبير بواسطة المجموعة التى ستستطيع فى النهاية انتزاع السيطرة على المجتمع والحكومة الأمريكيتين، حيث إن الولايات المتحدة هى بلا شك القوة العظمى الوحيدة فى العالم فى عصرنا، ولها النفوذ الاقتصادى والسياسى والديپلوماسى فى الساحة العالمية. ولهذا، سيكون التعامل مع الولايات المتحدة كمجتمع واحد متكامل ومتجانس أيديولوچيًا وديموجرافيًا خطأ صارخًا.

فمن ناحية، يشارك المسلمون، اتساقًا مع التعاليم الإسلامية، الهموم الخاصة بالأصوليين المسيحيين فى قضايا الأمراض الاجتماعية والأخلاقية، ومن ناحية أخرى، اتباعًا للقيم الإسلامية فإنهم لا يتفقون مع التقاليد التاريخية للأصولية المسيحية الخاصة بالتمييز العنصرى، عدم التسامح مع اليهود والمجتمعات الإثنية والدينية الأخرى، والمعارضة لدعم الدولة للفقراء والمعوزين. . إلخ. كذلك فإن العديد من المسيحيين من داخل وخارج الولايات المتحدة، بينما يلتزمون أيضًا بالروح الحقيقية لتعاليم المسيح، لا يتفقون مع تلك التقاليد الأصولية المسيحية. ينبغى أن تتضمن أجندة المسلمين فى القرن الواحد والعشرين، بين أشياء أخرى، العمل بشكل وثيق مع الأغلبية المسيحية التى كانت تمارس، ولوقت طويل مبادئ التعددية الدينية، المساواة العرقية. . إلخ، مع الاندماج فى الوقت ذاته مع الأصوليين المسيحيين فى حوار بناء بشأن قضايا التعددية الدينية، المساواة العرقية، محاربة الفقر، السلام العالمى، والقضايا التى يمكن أن يتعاونوا معهم فيها لتحقيق القضايا المشتركة. ينبغى أن يكون الهدف فى نهاية الأمر هو بناء جسور التفاهم والتعاون مع كل المجموعات المكونة للمسيحية، واليهودية أيضًا، وبذلك يتحقق التناغم مع «أهل الكتاب».

تمكننا هذه الدراسة من فهم الواقع الأمريكى المعاصر بشكل أفضل. إنها تؤكد على أهمية صحة المنهج الأساسى القائل بأن صعود الأصولية الدينية ينبغى أن يتم دراسته بشكل علمى، وليس بالإشارة بشكل غير مترابط إلى أية أيديولوچية أو ديانة.

يؤكد إعمال النظر فى فهم الدوافع والقوى الواقفة خلف صعود الأصولية المسيحية، على حقيقة أن الفقر المتواصل ونقص التعليم والشعور بأن المرء ضحية للفساد والظلم التاريخى (سواء كان حقيقيًا أو متخيلاً) هى العوامل التى تثبط من همة الشعوب، وتجعلهم يبحثون عن حلول. حينما يفشل النظام الاقتصادى ـ الاجتماعى القائم فى حل مشاكلهم، فإنهم يبحثون إذن عن حلول بديلة، ولقد تصادف أن تكون الأصولية الدينية بديلاً متاحًا بسهولة. إذا ما أنتج النموذج السياسى الفاشل سوء استغلال النفوذ تحت حكم قادة فاسدين، فإن البحث عن حلول يتضمن أيضا الأمانة والتقوى كمكونات أساسية، وبالطبع، فإن الدين هو أكثر البدائل الموثوق بها طبقًا لوجهة النظر هذه.

ليس صعود الأصولية المسيحية بظاهرة أمريكية فريدة. فى الحقيقة، تتصاعد الأصولية الدينية فى مجتمعات معاصرة عديدة عبر الأديان، سواء كانت المسيحية أو الإسلام أو اليهودية أو الهندوسية أو البوذية. على الرغم من ذلك، فإن كثافتها قد تختلف من مجتمع لآخر. يأمل الكاتب أنه بدلاً من الإشارة إلى ديانة أو أخرى، لكونها سبب الأصولية، يمكن أن تستخدم المنهجية المتبناة فى هذا الفصل، (بل ويمكن أن يتم تنقيحها) للشروع فى دراسات مقارنة مفصلة عن المجتمعات/ الجماعات المعاصرة التى تمر بتجربة صعود الأصولية والتطرف الدينى. سوف يكون من المأمول فيه بشكل كبير، ومن التعقل العلمى، لو قامت هذه الدراسات كمشروعات مشتركة على أساس تبادلى انضباطى، حيث تتضمن إسهامات علماء الاجتماع من خلفيات وتوجهات دينية وثقافية وحضارية مختلفة، مشكلين فريقًا لدراسة ظاهرة صعود الأصولية الدينية بحس عالمى. إن فريق العمل المؤلف من هؤلاء العلماء، واستنتاجاتهم، وتوصياتهم هى التى سوف تولد، أولاً جدلاً عبر حضارى، ثم حوارًا بناءً متبادلاً لوجهة نظر الحضارات المختلفة، وذلك للخروج بتصميم لعالم أفضل وأكثر سلامًا للجميع، حيث التعاطف وليس التحيز، الفهم المتبادل وليس التراشق بالشتائم، التعاون وليس الصراع أو الصدام. التعددية الثقافية والتعددية [بصفة عامة]، وليس الشمولية والتحيز، ستكون طريقنا للتقدم. ستجعل هذه الإرادة الجماعية الأمر أكثر سهولة بكثير للإنسانية لإيجاد طرق وسبل سلمية لمواجهة المشكلات التى تتسبب فى صعود التطرف، سواء الذى يتخذ شكلاً دينيًا أو أى أشكال أخرى.

***

الفصل التاسع

الأصولية المسيحية والعالم الإسلامى

يلتزم الأصوليون المسيحيون بنشر « . . . عقيدتهم فى كل أطراف الأرض»[٢٤٩]. إن هدفهم النهائى هو تأسيس مملكة الله على الأرض. رؤيتهم للعالم هى نتاج مشترك من عقائدهم[٢٥٠] وفهمهم لنبوءات سفر الرؤيا[٢٥١] والمتعلق بمستقبل هذا العالم. يتجذر هذا الفهم النبوئى للعالم فى فكرة نهاية الزمان[٢٥٢]. قامت نظرياتهم الخاصة بنهاية الزمن على تأويلهم لنبوءات سفر الرؤيا فى الكتاب المقدس[٢٥٣]. يحتوى سفر الرؤيا على الكثير من الرموز المجازية. يفسر الكتّاب الأصوليون فى أيامنا هذه الرموز والأحداث على ضوء الأحداث العالمية الجارية، وبشكل خاص الإشارة إلى التطورات فى الشرق الأوسط. يواجه المفسرون تحديًا كبيرًا فى تفسير التعبيرات والرموز القديمة التى ترجع إلى ما يقرب من ٢٠٠٠ عام، بالطريقة التى تجعلها مفهومة للعقل المعاصر، مع اكتساب صلة وثيقة بالأحداث الجارية والتطورات فى العالم الحديث. ولهذا، فإن الكتّاب الأصوليين، والذين وقعوا بين حدى التخمين والحقيقة، الخيال والواقع، يتبنون تقنيات سوف نناقشها لاحقًا فى هذا الفصل.

ولأنهم مؤمنين بهذا الفكر النبوئى، يعتقد الأصوليون أن نهاية العالم باتت وشيكة. على الرغم من ذلك، لن تكون هذه النهاية مفاجئة أو غير متوقعة، ولكنها ستكون نتيجة لعملية نظامية تقود إلى سلسلة من الأحداث المتنبأ بها، والتى ستتكشف على مدار ألف عام. يعرف الاعتقاد فى هذه العملية التى ستجرى على مدار ألف عام بالألفية التى تتضمن الإيمان بالعصر الألفى السعيد. وحيث إنه ليس هناك اتفاق على طبيعة هذه العملية، فإن هناك تفسيرات ثلاثة للألفية سنوردها فيما يلى:

١ ـ ما قبل الألفية:

يشرح لينش ذلك كما يلى[٢٥٤]:

* « . . يمكن أن يرى التاريخ بوصفه سلسلة من التدابير الإلهية لشئون العالم، أو

عصوراً لاهوتية مميزة ، بحيث تكون آخر هذه العصور هى الألفية ، أو فترة ألف عام من السلام على الأرض» .

* « . . . على الرغم من ذلك ، فقبل هذه الفترة النهائية والتى سيسود فيها السلام ، سيشهد العالم عصر الأحداث العنيفة ، والتى تسمى عادة «نهاية الزمان» ، والتى سوف تتميز بالزلازل ، الثورات والحروب ، وسوف تنتهى بمعركة هرماجدون ، وهى المعركة الفاصلة بين الخير والشر ، وهو صراع عالمى مركزه فى الشرق الأوسط»[٢٥٥] .

* «سوف تعمل تلك الأحداث الرهيبة كنوع من التحفيز للمجىء الثانى للمسيح ، الذى سوف يعود ليحكم الأرض فى بداية الألفية» .

* وتعتقد هذه الرؤية أيضاً[٢٥٦] أن : (أ) سيعود المسيح واقعيًا وجسديًا للأرض ليحكم العالم لمدة ألف عام وستكون عاصمته القدس . (ب)سيفى الله بكل وعوده لإسرائيل . (ج) سيكون المؤمنون بالكنيسة وبالضيقة العظيمة من المجازين بمكافآت الله ووعوده .

٢ ـ ما بعد الألفية :

يبرز لينش الملامح الأساسية لهذه الرؤية كما يلى[٢٥٧] :

* التاريخ مستمر ، طبقًا لهذا الاعتقاد ، وقد بدأت الألفية بالفعل بالأحداث التى حدثت لدى بدء الكنيسة الأولى .

* لن يحدث المجىء الثانى للمسيح عند بداية فترة الألف عام هذه ، ولكن فى نهايتها (ما بعد الألفية) .

* يشرح ليندسى أنه ، طبقًا لوجهة النظر هذه ، ستتحسن أحوال العالم بشكل كبير خلال الألفية ، قبل مجىء المسيح[٢٥٨] ، ولكن ، حيث إن العالم فى الواقع قد أصبح أسوأ حالاً فى القرن العشرين بسبب الحربين العالميتين والصراعات الأخرى ، فإن هذه الرؤية لا تتمتع بشعبية الآن كما كان لها فى الماضى[٢٥٩] .

٣ ـ اللا ألفية [المستقبلية]:

يبرز هال ليندسى السمات الأساسية لوجهة النظر هذه كما يلى[٢٦٠]:

* « . . . لن يكون هناك فترة حكم تمتد لألف عام للمسيح على الأرض ولن تكون هناك مملكة أرضية لله».

* « . . . حينما يعود المسيح للأرض، سيأخذ كل المؤمنين، ويدين كل غير المؤمنين، وسيبدأ الخلود فى الحال عندئذ».

* « . . . لقد خسرت إسرائيل كل وعود الله لها بسبب عدم الإيمان، وسوف ترث الكنيسة كل الوعود التى قصدت بها إسرائيل فى الأصل».

* « يُعَلّم تأويل اللا ألفية أن الكنيسة هى تحقيق مملكة الله الألفية، وأن المسيح يحكم حاليًا من خلال الكنيسة بالسلام والصلاح.

* يضيف لينش أن المؤمنين بالألفية هم أقلية صغيرة بين المحافظين المتدينين حيث إنهم « . . . يميلون لرؤية التاريخ كقصة صراع بين الكنيسة وقوى الشر، الصراع الذى يجب أن يستمر بلا نهاية على الأرض، حيث إن هذا الملكوت الأرضى لن ينتهى من خلال المجىء الحقيقى الثانى للمسيح وحكم الألف عام (ومن ثم الألفية)»[٢٦١].

النبوءات حول أحداث فى علاقتها بنهاية الزمن: التحالف العربى الأفريقى سيتسبب فى بدء حرب هرماجدون

يشار إلى كل من اليهودية والمسيحية بوصفهما «أديانًا تاريخية». فى هاتين الديانتين، «يشار إلى الأحداث التاريخية باعتبارها الوسيلة التى يكشف بها الله عن إرادته للناس»[٢٦٢]. ولهذا تمثل الكتابات النبوئية جانبًا مهمًا من الكتاب المقدس والعقيدة المسيحية. تلك الكتابات « . . . تشرح تدخل الله المفاجئ والدرامى فى التاريخ وإنقاذ القلة المؤمنة . . . »[٢٦٣]، ولهذا السبب ففى الثقافة المسيحية، لا يعد التقليد الخاص بالنطق بوحى إلهى عن طريق نقل التفسيرات الواردة فى الكتاب المقدس إلى الأحداث الجارية بأمر جديد، حيث كان موجودا منذ البداية.

١ ـ بسبب النبوءة الخاصة بعودته، كان المسيحيون الأوائل ينتظرون بتشوق المجىء الثانى للمسيح، ولكن حيث إنه لم يعد، وطال الانتظار، فإن الأمور قد أصبحت جد

خطيرة. ولهذا السبب «. . . أكد لوقا الوجود المستمر للمسيح مع أتباعه الذين قد أصبحوا غير صبورين بسبب المجيء الثانى للمسيح (الپاروزيا)(*) لم يحدث بعد». وهكذا كانت هناك نبوءات حول عودة المسيح فى زمن لوقا، ولكنه لم يظهر، ولقد كان ذلك بمثابة اختبار لصبر المسيحيين المخلصين الذين كانوا ينتظرون بشغف مجيئه الثانى. وإدراكًا منه لهذه المشكلة، أكد لوقا الوجود الدائم للمسيح. ينبغى ملاحظة، «. . . أن إنجيل لوقا يعود للفترة من ٧٠-٨٠ سنة بعد وفاة المسيح. . »[٢٦٥].

٢ - سيصل العالم، طبقًا لنبوءة أخرى إلى نهايته مع نهاية الألفية الأولى. وبسبب هذه النبوءة كانت ليلة الحادى والثلاثين من ديسمبر عام ٩٩٩م، ليلة حزينة للغاية عبر أوروبا، حيث كان الناس يبكون منتظرين موتهم المقدر الوشيك، ولكن ذلك لم يحدث[٢٦٦].

٣ - تفسيراً لسفر دانيال (٤٠-٤٥) فى الكتاب المقدس، كتب هال ليندسى أن حرب هرماجدون سوف تبدأ بهجوم مشترك من قبل الدول العربية على إسرائيل[٢٦٧].

٤ - وتفسيراً لسفر الرؤيا فى سبعينيات القرن العشرين، تنبأ ليندسى أنه بسبب الحرب النووية فى معركة هرماجدون «. . . سيكون هناك تدمير للاتحاد السوفييتى والعديد من حلفائه. سوف تعانى إسرائيل الكثير أيضًا من هذه التفجيرات»[٢٦٨].

٥ - «. . . سوف تطلق الصين أيضًا بعض أسلحتها النووية على روسيا فى هذا التوقيت»[٢٦٩].

٦ - «. . . من المحتمل أن يقوم هناك تحالف للقوى من جانب الدول الشرقية، ومن المحتمل أيضًا أن تقوده الصين الحمراء»[٢٧٠].

٧ - فى عام ١٩٨٠م، تنبأ جيرى فالويل بالحرب النووية فى كتابه «أنصتى يا أمريكا» عام ١٩٨٢م بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى، وادعى فيه أن الولايات المتحدة لن تصاب بأذى فى تلك الحرب[٢٧١].

(*) كلمة إغريقية الأصل، تعنى زيارة ملكية، أو حضور لشخصية مهمة، طورها التراث المسيحى لتعنى الحضور الثانى للمسيح - المترجمة.

يبين ذلك أنه عبر العصور الألفية أسفرت محاولات تفسير النبوءات عن مشاعر الأمل، التوقعات والتخمينات. على الرغم من ذلك، فى كل عصر كانت تنبؤات خبراء الكتاب المقدس تحدها معارفهم وخبراتهم وعقولهم وانحيازهم. فى القائمة السابقة للنبوءات، (٣، ٤، ٥) لليندسى تسيطر وجهة النظر المبنية على صراع الحرب الباردة آنذاك. والآن ومع انتهاء الحرب الباردة، تغير العالم بحيث تبدو هذه التنبؤات لا صلة لها بما يحدث فى الواقع. يعادل عدم وجود صلة لها بالواقع لزيف تفسير التنبؤات الخاصة بتراث الكتاب المقدس. ولهذا، كان هناك حاجة ماسة لمجادلة علمانية لصالح العقيدة الدينية التى ثبت عدم صحة تنبؤاتها بلا جدال. ولهذا السبب ومن أجل دعم تلك التنبؤات، تنبأ البروفيسور هنتنجتون بصدام الحضارات، والذى يعتبر، من حيث المبدأ، محاولة للبعث العلمانى لتلك التنبؤات الخاصة بنهاية العصر والتى دفنت مع الشيوعية.

هناك الآن بعد الحادى عشر من سبتمبر، تخوف من أن تلك التنبؤات سوف تُبعث مجددًا فى سياق الحرب مع الدول الإسلامية كما دافع عنها هال ليندسى، مفسر التنبؤات الخاصة بالكتاب المقدس الذى يحظى بشعبية، والذى وصلت مبيعات كتبه فى هذا الموضوع إلى عشرات الملايين من النسخ حول العالم الغربى منذ سبعينيات القرن العشرين. وبأخذ انتشار الإرهاب بعين الاعتبار والخوف من انتشار أسلحة الدمار الشامل، هناك خطر ماحق بأن الحرب يمكن أن تندلع فى أى مكان، سواء لأسباب حقيقية أو كهجمات وقائية، دون أى أساس واقعى لخطر حقيقى. تغير العالم مرتين فى الفترة القصيرة للغاية التى تكاد تبلغ ثلاثة أعوام فى الألفية الجديدة. أولاً: تغير إبان هجمات الحادى عشر من سبتمبر على الولايات المتحدة. ثانيًا: تغير بسبب هجمات الولايات المتحدة على العراق فى إطار الشك فى استحواذ صدام حسين على أسلحة الدمار الشامل. سبب الفشل فى العثور على أسلحة الدمار الشامل فى العراق ورطة أخلاقية أساسية وإحراجا للولايات المتحدة وبريطانيا، كلتا الدولتين تعانى الآن من فقدان خطير للمصداقية على المستوى العالمى. وجد تقرير أصدرته لجنة مخابرات مجلس الشيوخ، والذى صدر فى مطلع يوليو من عام ٢٠٠٤م أن وكالات التجسس الأمريكية «. . . قد بالغت فى تقدير تهديد أسلحة الدمار الشامل العراقية»[٢٧٢]. ساعد

هذا التقرير المعيب من قبل الوكالات إدارة بوش على اختلاق مبرر لغزو العراق. لم يتم العثور على مثل تلك الأسلحة»[٢٧٣]. قال سيناتور ويست ڤيرچينيا جون روكفيللر أحد أعضاء اللجنة، «ونحن فى الكونجرس، لم نكن لنصدق على تلك الحرب، بخمسة وسبعين صوتًا، لو كنا نعرف ما نعرفه الآن»[٢٧٤]. بين سيناتور كانساس پات روبرتس رئيس اللجنة بشكل مؤكد، العامل الذى أشعل السباق لغزو العراق من خلال تحديده أن لجنة المخابرات عانت من سوء التفكير الجماعى فى الوصول إلى استنتاج غير مبرر، بأن العراق كانت متورطة بشكل فعّال فى برامج أسلحة الدمار الشامل. «سببت مجموعة التفكير تفسير لدليل مبهم، مثل امتلاك التكنولوچيا ثنائية الاستخدام، كدليل حاسم على وجود برامج أسلحة الدمار الشامل»[٢٧٥].

وحتى لو كانت الولايات المتحدة وبريطانيا تعانيان من الإحراج وتواجهان فجوة فى المصداقية، فإن ذلك لا يعنى أن العالم الإسلامى يمكن أن يعفى من مسئولياته. إن الانتشار العالمى للإرهاب، والصراع الذى يزداد سوءاً فى الشرق الأوسط، والاضطراب المتنامى بين الجماهير المسلمة حول العالم بسبب الشعور القوى باللاجدوى هى قضايا خطيرة، إن لم يتم مواجهتها فى الحال، فإن لها القوة الكامنة على التسبب فى إيذاء أكبر للعالم الإسلامى فى الألفية الجديدة. لقد عبرً الرئيس الپاكستانى برفيز مشرف ورطة العالم الإسلامى هذه بشكل موجز حينما قال: «إن الإرهاب الإسلامى يجعل العالم المسلم أسيراً»[٢٧٦]. سنتناول التحديات التى تواجه المسلمين فى الفصل التالى.

رموز وأحداث فى نهاية الزمان وهرماجدون

يشير الأصوليون المسيحيون إلى المجتمعات، الدول، المؤسسات الأخرى والأحداث العالمية، وفقًا لفهمهم الخاص للتاريخ التى يتم تأويلها فى إطار نهاية الزمان والمعروف باسم «الألفية». ولقد عبر علماؤهم عن هذا الإطار على أساس تفسير الرموز فى إنجيل سفر الرؤيا.

فى هذا النطاق، يتبنى علماؤهم تقنية إسقاط التأويل المزدوج (DIET). الى تتم بالطريقة التالية: يتم اختيار حدث أو رمز ما من سفر الرؤيا، ويتم تأويله كى يماثل بالضبط حدثًا معاصراً أو هدفًا ما. ثم يتم تحويل هذا الحدث/ الهدف المعاصر إلى

محيط العالم المعاصر لإحراز معنى وتأثير معين، بحيث تتساوى كل الأشياء الأخرى. وبمجرد إنجاز هذا الإسقاط الأول، إذن يعاد إسقاط هذا الحدث/ الهدف مرة أخرى، إلى موعد مستقبلى غير معروف فى نهاية الزمن، مفترضين أنه سيكون له التأثير المحتوم. يتعامل ليندسى مع هذه التقنية المنهجية ويشرح تطبيقها كالتالى:

«يختار بعض الكتاب تفسير كل رمز بشكل حرفى تمامًا. على سبيل المثال، جراد له وجه رجل، أسنان الأسد، درع الصدر الحديدى، ذيل يمكنه أن يلسع، وجناح يمكنه أن يصدر أصوات عدد من المركبات الحربية، ينبغى أن يكون قد خلقها الله بشكل خاص لكى تبدو فقط مثل هذا الوصف.

أنا شخصيًا أميل إلى الاعتقاد بأن الله قد يستخدم فى حكمه بعض أدوات الإنسان التى فشل الحوارى يوحنا فى وصفها منذ تسعة عشر قرنا مضت. فى الحالة التى ذكرت للتو فإن الجراد قد يكون رمزًا لنوع متقدم من طائرات الهليكوپتر»[٢٧٧].

١ ـ ولهذا فإن الجراد يفسر بوصفه الأداة الحديثة، هليكوپتر مقاتلة (تأويل).

٢ ـ فى العالم المعاصر هذه الهليكوپتر هى «من نوع متقدم» (الإسقاط الأول).

٣ ـ قد تبقى هذه الهليكوپتر كنوع متقدم حتمًا حتى مجىء معركة هرماجدون (كل طائرات الهليكوپتر الأخرى فيما يتعلق بهذه الهليكوپتر ستبقى فى منزلة أدنى منها). وهكذا فإن هذه الهليكوپتر سوف تحقق النتيجة المقدرة لها فى معركة هرماجدون (الإسقاط الثانى).

مناقشة موجزة لبعض الرموز/الأحداث من وجهة النظر الخاصة بسفر الرؤيا عن العالم

١ ـ المسيح الدجال[٢٧٨]: هذا الرمز الإنسانى هو الشرير فى الرؤية العالمية المستحوذة على الأصوليين المسيحيين فيما يخص الصراع الكلى. يعرف ليندسى المسيح الدجال كما يلى: «سوف يكون إنسانًا متفوقًا، حيث يؤمن بشكل حماسى أن بوسع الإنسان حل كل المعضلات. إنه لن يقبل تقييم الكتاب المقدس، أن الإنسان على حافة الفوضى

بسبب الخطيئة الأصلية . فى الحقيقة ، سيأتى برد فعل عنيف إزاء المجموعات والأفراد الذين يحللون مشاكل الإنسان بوصفها خطيئة . سيشعر أنه يفعل أمرًا طيبًا من خلال جلبه الإجراءات القمعية ضد المؤمنين ، الذين سوف يعتبرهم «غير تقدميين» . سيكون هذا المسيح الدجال ضد كل الحلول التى يقدمها الكتاب المقدس لمشاكل العالم ، ولأنه سيكون مقنعًا للغاية ، سوف يقلب العالم كله ضد المسيح والمؤمنين ، وسيقنع الجميع أنه لديه الإجابة عن المأزق الإنسانى»(٢٧٩) .

٢ ـ سيكون المسيح الدجال رئيس الاتحاد الأوروبى .

يعلن هال ليندسى فى كتابه المحتفى به «هناك عالم جديد قادم» ، والذى نشر فى طبعته الأولى عام ١٩٧٣م ، بلا أدنى شك ، سيكون المسيح الدجال رئيس اللجنة الاقتصادية الأوروبية (المعروفة بالاتحاد الأوروبى أو EU) . هذا الإعلان مبنى على الحقائق الزمنية التالية والمستقاة من الكتاب المقدس :

١ ـ يلقب الكتاب المقدس(سفر الرؤيا ١٣ : ١-١٠) المسيح الدجال بـ«الحيوان» الذى له سبع رءوس وعشرة قرون ، وفوق هذه القرون هناك عشرة تيجان . يقول ليندسى فى تفسيره أن «فى علم الرموز الخاص بالكتاب المقدس تمثل القرون دومًا القوة السياسية»(٢٨٠) .

٢ ـ كتب ليندسى الكتاب المشار إليه سابقًا فى بداية السبعينيات من القرن العشرين . كان قد نشر بداية فى عام ١٩٧٣م وخلال هذه المدة وصلت عضوية اللجنة الاقتصادية الأوروبية إلى عشر دول . ومع مجىء عام ٢٠٠٤م ، فإن عضوية الاتحاد الأوروبى قد زادت إلى ٢٥ دولة . وهكذا فإن ارتباط أعضاء الاتحاد الأوروبى العشرة بالمسيح الدجال هو ارتباط زائف .

٣ ـ إشارة إلى دانيال ٧ ، ٨ فى الكتاب المقدس ، يجادل ليندسى أن النبى دانيال قد تنبأ بشكل مؤكد أن الإمبراطورية الرومانية سوف تنتعش ثانية و« . . . وسيكون عدد أعضاء دولها محددًا بعشر دول»(٢٨١) . الآن ، إذا كان الاتحاد الأوروبى هو ما يمثل الصيغة التى أحيت مجددا الإمبراطورية الرومانية ، ولها خمسة وعشرون عضوًا وليس عشرة أعضاء ، فإن التفسيرات الأصولية هى زائفة مرة أخرى .

٤ ـ فى وقت كتابة ليندسى لهذا الكتاب ، كان ريتشارد نيكسون هو رئيس الولايات المتحدة الأمريكية . فى محاولة لدعم فكرة أن الاتحاد الأوروبى سيكون قوة شريرة، اقتبس ليندسى قول نيكسون القائل، «لأعوام مضت كان مَن المعتقد ـ بدون تمحيص ـ أن أوروبا الغربية الموحدة سوف تزيل بشكل تلقائى الحمل من على عاتق الولايات المتحدة. الحقيقة ليست بهذه البساطة . سوف تضع الوحدة الأوروبية أيضًا المشاكل أمام السياسة الأمريكية، والتى سيكون تجاهلها نوعًا من العجز»[٢٨٢] . من هذه الخلفية، يقوم ليندسى بإسقاط الحيوان ذى القرون العشرة إلى اللجنة الاقتصادية الأوروبية، فى الإسقاط الثانى يتنبأ أنه فى وقت معركة هرماجدون، سيكون رئيس الاتحاد الأوروبى هو المسيح الدجال الحقيقى. لاحظ ليندسى فى بداية عقد السبعينيات أن القوة الاقتصادية للولايات المتحدة تأخذ فى الذبول بينما الاقتصاديات اليابانية والأوروبية تأخذ فى النمو. لقد رأى هذا الاتجاه كتدعيم لتنبؤات الحوارى يوحنا والنبى دانيال، بأن أوروبا سوف تنبثق فى هيئة المسيح الدجال[٢٨٣].

حرب هرماجدون وسقوط بابل:
هل بدأت هرماجدون بالفعل؟

كتب ليندسى أن حرب هرماجدون ستكون أكبر حرب عالمية حيث يتم فيها التبادل النووى على نطاق كامل، وستسوى معظم المدن الكبرى للقارات الرئيسية (آسيا، شمال أمريكا وأوروبا)[٢٨٤] بالأرض. سيتحول مع عودة المسيح، ١٤٤ ألفًا من اليهود(*) إلى المسيحية، سينتصر المسيح ويحكم لمدة ألف عام[٢٨٥] . يبدو أنه سيكون هناك حرب مطولة. يعطى ليندسى إشارة معينة لهذه الحرب، وهى سقوط بابل. يكتب ليندسى، «إن بابل هذه ستكون مدينة حقيقية قد أعيد بناؤها فى موقع بابل القديمة على نهر الفرات»[٢٨٦] . يعرف الجميع أن هذه هى عراق اليوم. على الرغم من أن «بوش» قد أعلن رسميًا عن نهاية الحرب فى الأول من مايو٢٠٠٣م، عندما أعلن من على ظهر المركب يو. إس. إس. أبراهام لينكولن نهاية العمليات العسكرية الكبرى[٢٨٧]، فبعد عام واحد من هذا الإعلان، لم تستمر فقط الحرب والدمار والموت

(*) اثنى عشر ألفًا من كل قبيلة أو سبط ـ المترجمة.

والبؤس فى العراق ولكن زاد انتشارها إلى كل أنحاء العراق. لقد وقع الرئيس بوش تحت وطأة الانتقاد القاسى فى كل من الداخل والخارج. ومع اقتراب الانتخابات الرئاسية فى نوفمبر ٢٠٠٤م، سيؤدى الانتقاد الحاد لسياسة بوش فى العراق من قبل المرشح الرئاسى الديمقراطى جون كيرى إلى وضع «بوش» فى موقف المدافع[٢٨٨].

يود العديد من الناس أن يعتقدوا أن هذه الحرب فى العراق لا علاقة لها بـ «هرماجدون». هناك خطر يتمثل فى أن بعض الجماعات الأصولية المسيحية قد تثيرها الأحداث الجارية فى العراق، وتنظر لها باعتبارها تقدمًا طبيعيًا آخر فى سلسلة الأحداث التى بدأت بخلق إسرائيل، ويمكن أن تقود بشكل نظامى إلى معركة هرماجدون. يقدم تيم لاهاى فى كتابه «السلام القادم فى الشرق الأوسط»، تقويمًا للأحداث المتسمة بالإيمان بالأخرويات والتى سيؤدى تقدمها إلى نهاية العالم[٢٨٩]. هذه الأحداث هى: خلق إسرائيل، حرب الستة أيام عام ١٩٦٧م، حرب «يوم كيبور» ١٩٧٣م، الحرب الأهلية اللبنانية (١٩٨١-١٩٨٣م)، تدمير إسرائيل للمفاعل النووى العراقى عام ١٩٨١م. . إلخ. والآن، قام الإيفانجليكيون بضم الحادى عشر من سبتمبر فى تقويمهم الخاص[٢٩٠]. ولهذا، فبالنسبة للعديد من المسيحيين الأصوليين، فإن المسيرة باتجاه حرب هرماجدون قد بدأت بالفعل، وغزو العراق هو خطوة أخرى للأمام بعد الحادى عشر من سبتمبر، فى لعبة نهاية الزمان. «فى هذه الأيام يرى ليندسى تحذيراته المبكرة تؤكد ثبوتها - تقريبًا - كل يوم»[٢٩١].

بالنسبة لهذه الجماعات قد تكون هرماجدون على المنعطف الأول فى الطريق، وهذه، بالطبع، هى مهمة ليندسى الذى تبيع أعماله المحملة بالتبشير بهذه الفكرة الملايين من النسخ. يتضح هذا من الجملة الأخيرة من كتابه التى تقول «صلاتى المخلصة لأن أراكم فى العالم الجديد القادم»[٢٩٢].

الأصوليون المسيحيون، اليهود، ودولة إسرائيل

يؤمن الأصوليون المسيحيون أن مملكة الله سوف تؤسس فى إسرائيل. يؤمن متبعو مذهب الألفية أن هذه المملكة سيشيدها المسيح عند عودته ثانية. من الناحية التاريخية، خدم ارتباط إسرائيل بمملكة الله كمصدر إلهام للمسيحيين، ولكنهم لم

يهتموا بشكل جاد بشئون الشرق الأوسط . إلا أن كل ذلك قد تغير مع تأسيس دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م . دعمت الأحداث المتتابعة بدءاً من تكوين إسرائيل وحرب الستة أيام (١٩٦٧م) وما تلاها من أحداث بشكل ثابت [وبصفة رئيسية وضع اليهود يدهم على القدس] اعتقاد المؤمنين بمذهب الألفية أن « . . . الصراعات المستمرة فى الشرق الأوسط تخدم كعلامة أكيدة على عودة المسيح الوشيكة»[٢٩٣] .

وكنتيجة لذلك ، يعد المسيحيون المحافظون اليوم من بين المساندين الأقوياء لإسرائيل . يلخص لينيش دعمهم لإسرائيل من خلال تحديد المظاهر التالية لالتزامهم[٢٩٤] :

١ - يؤمنون أن الدعم الثابت لإسرائيل يجب أن يكون هدفاً مطلقًا لسياسة أمريكا الخارجية .

٢ - يجب أن تكون إسرائيل قادرة على هزيمة أعدائها (الآن وفى المستقبل بما يتضمن ذلك معركة هرماجدون) حتى تكون قادرة على أن تعمل كمملكة الله ، حيث ستكون القدس عاصمتها مع المجىء الثانى للمسيح .

٣ - «طبقا لقراءتهم للعهد القديم ، الوقوف ضد اليهود هو الوقوف ضد الله[٢٩٥]» .

مصير اليهود والمسلمين بعد معركة هرماجدون

يمثل دعم المسيحيين المحافظين السابق لليهود والتزامهم تجاه دول إسرائيل ، تغييراً كاملاً ومفاجئًا فى سياستهم وموقفهم الأولى الذى يمكن تلخيصه كما يلى :

١ - «طبقًا للروايات المسيحية ، حلت المسيحية محل اليهودية التى كان ينبغى أن تنتهى فى القرن الأول»[٢٩٦] .

٢ - «مع منتصف عقد الأربعينيات من القرن السادس عشر ، تحول لوثر باتجاه التوصية بسياسة عسكرية أشد وطأة لشأن اليهود واليهودية . فى كراسة الدعاية السياسية الجدلية ، «حول اليهود وأكاذيبهم» (١٥٤٣) ، دافع عن حظر كل التعاليم الحاخامية ، ومصادرة كتب الصلاة اليهودية ، وحرق المنازل والمدارس وأماكن العبادة اليهودية . اقترح لوثر ، أن اليهود ينبغى أن يطردوا من ألمانيا ، إذا ما ظلوا يرفضون

التحول للمسيحية، على الرغم من ظنه بأن المسيحيين سيكونون مخطئين إن لم يقوموا بذبحهم»[٢٩٧] . أنتجت هذه الكراهية الدينية إزاء اليهود من جانب المسيحيين، بالإضافة إلى الفلسفة النازية، دراما المحرقة الجماعية في القرن العشرين.

٣ـ من أجل الألفية، اضطهد المسيحيون اليهود بسبب إيمانهم، وخلال تلك المدة وجدوا الملجأ السلام والازدهار والحرية الدينية والكرامة الإنسانية عبر العالم الإسلامي من مصر إلى إسپانيا ومن المغرب وتركيا. على الرغم من ذلك، بعد التأسيس الديمقراطي ومع انتشار الفكر الليبرالي، تغيرت الأمور للأفضل بالنسبة كيهود في الغرب.

لا زال العديد من المسيحيين يؤمنون بأن اليهود والمسلمين بحاجة لأن يتحولوا للمسيحية، وأن المناسبة الأكثر ملاءمة لتحولهم ستكون بعد معركة هرماجدون. ودفاعًا عن وجهة النظر المسيحية هذه، قال مارتن لوثر« . إن المشكلة التي أثارها اليهود والرومان الكاثوليك والمسلمون، والملاحدة والمهرطقون الآخرون، سوف تحل في دراما كونية من التدمير الإلهي والتخليص من الخطيئة[٢٩٨] . ولهذا، فحينما يتعلق الأمر بالمسلمين واليهود، فقد فشل الإصلاحيون من البروتستانت في تحرير أنفسهم من العقلية التفتيشية الخاصة بالكنيسة الكاثوليكية والتاج الإسپاني. تحت سياسة التفتيش الإسپاني، عاني المسلمون من « . التحول الجبري للديانة المسيحية، التحقيقات، التعذيب، أحكام الإعدام التي قامت بها محاكم التفتيش الكاثوليكية، وأخيرًا الطرد الجماعي بين عامي ١٦٠٩ ، و١٦١٤م»[٢٩٩] .

أسفرت الأحداث المؤسفة وتراجيديا الحادي عشر من سبتمبر عن إدانة قوية للإرهاب والعنف عبر العالم، بما فيه الدول والمجتمعات المسلمة. لقد استغلت الأصولية المسيحية هذه الفرصة لكي تطلق نيران الغضب ضد المسلمين والإسلام. خلال مقابلة تليفزيونية في برنامج «٦٠ دقيقة» على شبكة «CBS» (والذي أذيع في السادس من أكتوبر ٢٠٠٣م) لقب جيري فالويل النبي محمداً بالإرهابي. هذا التعليق جعله عرضة لاستنكار واسع النطاق عالميًا، حيث قدم اعتذاره نتيجة لذلك[٣٠٠] . اقترح زعيم آخر من زعماء الأصوليين المسيحيين ويدعى جيمي سواجارت، أن يتم إعادة كل الطلبة المسلمين الذين يدرسون في الولايات المتحدة إلى بلادهم[٣٠١] . حيث

لا يمكن للمرء أن يتوقع مثل هذه اللغة من زعماء دينيين ضد أديان أخرى، فإن المرء يقع تحت إغراء أن يعطى الأصوليين المسيحيين فائدة الشك من خلال القول بأن تلك التعليقات المليئة بالكراهية قد تكون هيجانًا عاطفيًا، بسبب ما أصبحوا عليه من ضعف بسبب أحداث الحادى عشر من سبتمبر، ولكن لسوء الحظ ليست هذه هى الحال، حيث إنهم قاموا باستخدام لغة غير مسئولة ضد الإسلام قبل ذلك أيضًا.

كتب پات روبرتسون فى عام ١٩٩٠م، فى كتابه النظام العالمى الجديد،: إن آلهة متعبدى الشجرة الروحانيين، آلهة المتعبدين القدماء، آلهة الهندوس الذين يبلغون مليون إله، والله إله المسلمين ليسوا هم إله يعقوب. إن الوحى من إله حقيقى واحد جاء من إبراهيم إلى إسحاق إلى يعقوب إلى داود وعيسى. ثم أتى عيسى بإعلانه الشجاع: «أنا الطريق، الحقيقة والحياة. لا أحد يمكنه أن يصل للأب إلا من خلالى»[٣٠٢].

فى ذروة حماستهم لتأسيس مملكة الله على الأرض، التزم الأصوليون المسيحيون بتحويل الجماهير فى العالم الإسلامى إلى العقيدة المسيحية. إن الدول الإسلامية التى عانت من الفقر، البطالة، المرض، العقوبات، الحرب، الظلم الداخلى، الفساد، نقص الاحتياجات الأساسية.. إلخ هى أرض خصبة لأنشطة الإرساليات التبشيرية التى نظمت من خلال شبكة واسعة من المنظمات غير الحكومية القائمة على الكنيسة، والتى تقوم بإرسال الحملات التبشيرية فى هيئة أصحاب مهن أكفاء مثل موظفى الصحة، المعلمين، فرق العمل التقنية للتنمية الريفية.. إلخ، هؤلاء العاملون يمتلكون مهارات تفتقر إليها تلك البلدان. تندفع الإرساليات التبشيرية أفواجًا إلى البلدان التى تعانى من عقوبات اقتصادية أو من الحروب فى رداء موظفى المساعدة والمتطوعين فى إطار برامج المساعدة التى تتم الموافقة عليها من خلال الأمم المتحدة بواسطة القوى التى تفرض العقوبات. لا أحد يعزف المدى والعمق الحقيقى لمثل هذه الأنشطة، ولكن هناك لمحة خاطفة أبرزتها مؤخرًا مجلة التايم، والتى أشارت أيضًا إلى تدفق الإرساليات من الولايات المتحدة إلى أفغانستان والعراق التى مزقتها الحرب. ولهذا، فإنه من المنطقى أن يكون السيد فرانكلين جراهام، الزعيم الإيڤانجليكى البارز وابن بيلى جراهام، مشغولاً بأعمال المعونة فى العراق التى خربتها الحرب[٣٠٤]. وبوضع الرؤية العالمية

السابقة عن الألفية موضع الاعتبار، والتى تنادى بتأسيس مملكة الله على الأرض، يفسر التقاء الإرساليات فى مناطق التوتر فى العالم حيث يعانى الناس من الحروب، البطالة والفقر، أنه بالإضافة إلى الأجندة الاجتماعية -الاقتصادية الداخلية، فإن الأصوليين المسيحيين لديهم أجندة كونية مفصلة أيضا، وهم ملتزمون بها بإخلاص. على العكس من فكرة الدولة الإسلامية، التى تقتصر على دولة إسلامية واحدة، فإنهم يهدفون إلى الإيقاع بالعالم كله مستخدمين قدرة القوة العظمى فى إطار خطة تسمى «مملكة الله على الأرض». لقد تنبأوا بأنه يمكن الوصول لذلك عن طريق الحروب. الارتباط الإيجابى بين الحروب، و الدمار، والبؤس، ونشر ودعم انتشار المسيحية، هو حقيقة القرن العشرين الموثقة تاريخيًا. وطبقا لتقرير خضع لبحث مدقق صدر عن النيوزويك[٣٠٥]، كان العدد الإجمالى للسكان المسيحيين فى أفريقيا عام ١٩٠٠م يتراوح بالكاد بين ١٠-٢٠ مليون شخص. مع حلول عام ١٩٧٠م، وصل عدد السكان المسيحيين إلى أكثر من ١٠٠ مليون شخص، وفى عام ١٩٩٠م وصل تقريبا إلى ٢٥٠ مليون، وفى عام ٢٠٠٠م كان الرقم يقترب من ٣٢٥ مليون، وما زال يتزايد. وفى تحليله للعوامل التى عجلت من تحول هذه الأعداد الضخمة إلى المسيحية، يقول تقرير النيوزويك:

«... ولهذا فإن الأفارقة يعتنقون المسيحية بالرغم من حالة الفوضى السياسية والاجتماعية والاقتصادية العارمة. يجد الأفارقة وقد حلت بهم كوارث الأنظمة الفاسدة، الفقر المدقع، الإيدز الوبائى، وحروب الإبادة الجماعية ـ كما يحدث فى رواندا والسودان ـ فالكنيسة هى المكان الوحيد الذى يمكنهم الذهاب إليه من أجل الاستشفاء، والأمل و المساعدة المادية من المسيحيين الأكثر ثراءً فى الغرب»[٣٠٦].

تبرز المقالة المظهر المهم التالى من التوسع فى المسيحية الأفريقية:

«... يتم بناء ما يقدر بألف ومائتين كنيسة جديدة كل شهر ـ تقدم العديد منها نشرات وتعليمات مطبوعة من قبل المؤسسات الإيفانجليكية فى الغرب»[٣٠٧].

يقرأ عامة الناس من المسيحيين المخلصين البسطاء، الذين يكافحون لصنع المستحيل وحل مشاكل أسرهم، يقرأون التراث الأصولى الذى يفسر الأحداث العالمية وهو مدرع مُحَمّل بمتفجرات «الحرب النووية المقدسة». يشير لينيش إلى المفكر الأصولى إيدسمور الذى يساند بشكل صريح قضية الحرب الدينية باستخدام الأسلحة النووية:

« . . . حتى الأسلحة النووية يمكن استخدامها لأغراض إصلاحية، حيث إنه طبقًا لإيدسمور، يستخدم الله بشكل طبيعى الوسائل العملية الأرضية لتنفيذ إرادته على الأرض»[٣٠٨].

لا يثير الدمار الكلى الناجم عن استخدام أسلحة الدمار الشامل ـ والخوف من فناء الجنس البشرى من على كوكب الأرض ـ قلق المخططين لمملكة الله، حيث إنهم يسطون من النتيجة بلغة معدلات أعمال القتل. يشير جيرى فالويل الماهر فى التقليل من شأن القتل الجماعى للجنس البشرى بلا ألم إلى أرقام بسيطة:

«منذ عشرة أعوام ماضية كان يمكننا تدمير معظم سكان الاتحاد السوڤييتى إذا كنا قد رغبنا فى إطلاق صواريخنا»[٣٠٩].

ولهذا، فهو حزين أن القيادة الأمريكية لم تكن شجاعة بما يكفى لأن تشن هجومًا نوويًا على الاتحاد السوڤييتى وأن تبيد السكان. لو كان الرئيس الأمريكى والكونجرس مؤمنين بالعقيدة الأصولية المسيحية، فإن الأمر كان سيعد مناسبة سعيدة لشن الضربة النووية الأولى بوصفها «حربًا مقدسة مسيحية» ضد الدولة الشيوعية. حينما نقوم بدراسة المشهد الأمريكى، من المهم للمسلمين أن يتذكروا هذا الفارق بين العناصر المتطرفة فى الحركة الأصولية المسيحية والقيادة الأمريكية المسئولة.

على الرغم من ذلك، يستمر فالويل فى القول:

«إن الحقيقة اليوم هى أن الاتحاد السوڤييتى يمكنه أن يقتل ما بين ١٣٥ إلى ١٦٠ مليون أمريكى، والولايات المتحدة يمكنها أن تقتل فقط من ٣ إلى ٥ بالمائة من السوڤييت»[٣١٠].

وهكذا، فإن الأصولية المسيحية تحرض على جذب الدماء الأولى باستخدام القوة النووية، مؤكدة على الإبادة الكاملة «للآخر». يمكن تبرير ذلك من خلال إعادة تفسير شخصية المسيح ورسالته. فى مجيئه الأول، كان المسيح رجل السلام والحب. فى مجيئه الثانى، تغير مفهوم السلام كالتالى:

«من المؤكد أن المسيح عيسى وعد بالسلام (يوحنا ١٤ : ٢٧). ولكن السلام الذى وعد به كان السلام الروحانى مع الله، وليس السلام العالمى بمعنى غياب الحروب. إنه

سلام يمكن أن يحتفظ المرء به فى قلبه حتى تحت الإطلاق العنيف للنار فى ساحة المعركة»[٣١١].

إن الحرب، وأعمال القتل، والموت والدمار يمجدها شخص ليس سوى مؤلف أكثر الكتب مبيعًا، والذى تقوم كتبه على هذه النبوءات وتأويلاتها. إنه يعلن الملك عيسى بوصفه «المحارب الجبار»[٣١٢] والذى تتلطخ كل ملابسه «بدماء أعدائه»[٣١٣].

إن هذا الإدمان الصبيانى للألعاب النووية والإثارة الممزوجة بالتعطش للدماء للهو بها فى دراما نهاية الزمان، المعروفة بحرب هرماجدون، يمكن أن تروى فى مجلدات تتناول مخاطر الأصولية المسيحية إزاء الجنس البشرى كله. إن افتتانهم الملطخ بالدماء هذا يمكن التقاطه على أفضل وجه فى نهاية كتاب ليندسى، هناك عالم جديد قادم حينما يقول: «صلاتى المخلصة أن أراكم فى العالم الجديد القادم»[٣١٤].

يذكرنا حب الوعّاظ الأصوليين المسيحيين للحرب وتدمير الإنسانية ـ والتى تجد جذورها فى معتقدات نهاية الزمان ـ بمذابح القتل الجماعى المصاحبة للحروب الصليبية، والتى أشعلها أيضًا الوعّاظ الأصوليون المسيحيون كما يقول إيسموند رايت:

«كان هؤلاء الوعّاظ مسئولين عما أطلق عليه «الحملات الصليبية الشعبية». ساند إغراؤها الاعتقاد المتواصل فى القرن الحادى عشر أن يوم الحساب كان قد اقترب»[٣١٥]. لقد تلت الحملة الصليبية الشعبية أول حملة صليبية نجم عنها فى النهاية الاستيلاء على القدس. بعد الاستيلاء على القدس، مارس الصليبيون أقصى أنواع الإرهاب التى تذكر المرء بجنكيز خان وأسامة بن لادن:

« على مدى ثلاثة أيام، قام الصليبيون بذبح سكان المدينة وأخذوا غنائم هائلة. لقد ذُبح الرجال والنساء والأطفال المسلمون، أما اليهود فقد أحرقوا فى المعابد اليهودية، بالإضافة إلى سرقة سبعين من القناديل والزهريات الذهبية والفضية من المسجد».

إن الجانب الآخر من الروح الخاصة بالحرب الصليبية ظهر فى تلك الليلة حينما قام المنتصرون، وهم حفاة الأقدام وقد غلبت عليهم النشوى والفرح، بزيارة الأماكن المقدسة. لقد ألقى كل واحد منهم بوجهه على الأرض، صانعًا علامة الصليب

بذراعيه: «كل منهم كان يعتقد أنه لا يزال يرى أمامه جسد المسيح عيسى المصلوب. وكان يبدو لهم أيضا أنهم واقفون على أبواب الجنة»[٣١٦].

حرب هرماجدون وصدام الحضارات

معركة هرماجدون هي اعتقاد لاهوتي منذ القرون. لقد أوّل مفسرو النبوءات المعنى المخبوء لسفر الرؤيا في ضوء معرفتهم بالأحداث العالمية والأزمات كما عرفوها وفهموها في العقد السابع من القرن العشرين. في هذا التوقيت كانت الحرب الباردة لا تزال على حدتها، وكان هناك توتر ما بين واشنطن وموسكو. ولهذا فقد توقع هال ليندسي أنه طبقًا لنبوءة الكتاب المقدس:

«ستبدأ المرحلة الأولى من هذه الحرب حينما يشن التحالف العربي الأفريقي[٣١٧] (الذي يدعى «ملك الجنوب» طبقًا لسفر دانيال، ٤٠ : ١١)[٣١٨]، هجومًا شاملاً ضد إسرائيل. أما المرحلة الثانية، فهي غزو كامل لإسرائيل والشرق الأوسط، تقوده روسيا (والذي يدعى «ملك الشمال» في دانيال، ١١ : ٤٠-٤٥) والدول التابعة لها»[٣١٩].

تنبأ ليندسي بالمستقبل في عقد السبعينيات من القرن العشرين، في ضوء فعاليات الحرب الباردة في ذلك الوقت. على الرغم من ذلك، فإن هذا لم يحدث وثبت خطأ تلك التأويلات للكتاب المقدس مثل خطأ تأويلات سابقة في الماضي. في عقد التسعينيات، حينما كتب هنتنجتون (صدام الحضارات) كان السيناريو الكوني قد تغير. لقد سقطت روسيا الشيوعية، وتخلت عنها الدول التابعة لها. اعترفت كلّ من مصر ومنظمة التحرير الفلسطينية بإسرائيل، وكان هناك مناقشة لعملية السلام. وبأخذ هذا التطور الجديد الباعث على الأمل الحقيقي في إحلال السلام بعين الاعتبار، فإن من اقترح أن هرماجدون سوف تبدأ بواسطة العرب الذين سيشنون هجومًا مشتركًا على إسرائيل يتبعه هجوم روسي آخر على إسرائيل سيبدو غير منطقي. ومع وضع اعتبار لاحتمال نجاح عملية السلام، فإن الحرب بين العرب وإسرائيل سوف تحدث فقط لأن الكتاب المقدس قد تنبأ بها. سوف تعاني شعوب الشرق الأوسط، والعالم، ليس بسبب خطأ أي شخص، ولكن بسبب النظرية اللاهوتية الخاصة بنهاية الزمان، والتي قررت مسبقًا قدرهم وبالتالي كانت السبب وراء فشل، عملية السلام. ومن أجل تحويل اللوم من على كاهل مفسري الكتاب المقدس الأصوليين، ولتوفير سياق معاصر

لتفسيراتهم، فإن الحقيقة ينبغي أن تحاك من جديد لكى تناسب النظام العالمى فيما بعد الشيوعية لوضع علامة العقلانية والتفكير العلمى على وجهة نظر الأصولية المسيحية للعالم. لقد فعل هنتنجتون ذلك بشكل ماهر فى أطروحته صدام الحضارات. فى الفصل الثانى عشر من الكتاب، يخلق هنتنجتون سيناريو جديداً ليثبت صحة الاعتقاد اللاهوتى[٣٢٠]. فى هذا السيناريو تبدأ الحرب بسبب صراع بين الصين وفيتنام على مصادر البترول فى بحر جنوب الصين[٣٢١]. وحيث إن الصين لازالت تقع تحت حكم الحزب الشيوعى، حيث أصبحت القوة العظمى الوحيدة غير البيضاء، غير المسيحية، التى تمتلك حق الفيتو فى النظام العالمى الأصولى المسيحى القادم، « فى إعادة صنع النظام العالمى» فإنها يجب أن تركع على ركبتيها. ولهذا فمن الأجدى لـ «هنتنجتون» أن يجعل الصين تمثل بعبع الأطفال فى صدام الحضارات. إن الفائدة من وراء خلق بعبع الأطفال هذا، أن الإحراج الناجم عن تفسيرات تنبؤات الكتاب المقدس الكاذبة التى لاقت رواجًا لدى الناس (والتى قد تنبأت أن روسيا الشيوعية قد تهاجم إسرائيل) يمكن التغلب عليها الآن من خلال إحلال الصين محل روسيا. سيهاجم العرب إسرائيل فقط فى مرحلة متأخرة، وستبقى روسيا فى المعسكر الأمريكى، وبالتالى لن تهاجم إسرائيل. إن ضربة هنتنجتون العبقرية هى قوله إن الحرب لم تعد من ثوابت الكتاب المقدس، ولكن، طبقًا للروح الماركسية الحقيقية، هى نتيجة القوى المادية عبر التاريخ. ينبع جمال [بالنسبة للأصولية المسيحية] صدام الحضارات من منهجيته التى تأخذ الحرب خارج سياق عالم العقيدة الدينية المسيحية، وتحركها إلى الأبواب المغلقة للديبلوماسيين والمخططين الاستراتيجيين العسكريين - مع التأكيد على تنبؤات الكتاب المقدس.

واتباعًا للعقيدة الدينية، فإن أطروحة هنتنجتون فشلت أيضًا فى التوصية بطريق سلمى لحل مشكلة الشرق الأوسط بشكل عادل. بدلاً من ذلك، فإنها تؤكد بشكل غير مباشر، وخطير، أن عقيدة الكتاب المقدس يجب أن تسود؛ لأن أستاذ هارفارد يتنبأ الآن بالنتيجة ذاتها، ولهذا فما يريد كل المسيحيين المخلصين أن يفعلوه هو أن يتأكدوا ليس فقط من أن يترك الصراع العربى الإسرائيلى بدون حل، ولكن أن يتم تعقيده بشكل أبعد من ذلك حتى ينمو التطرف، والإرهاب والمآسى، لإثبات أن صراع الحضارات هو تطور أصيل وعلمى للتنبؤات.

الفصل العاشر

التأويلات!

يهتم الأصوليون المسيحيون بإصلاح المجتمع، وتدافع رؤيتهم العالمية ليس عن مجرد صراع أو نضال ما، ولكن عن حرب عالمية تفعل الدول المتورطة فيها أقصى ما بوسعها لإبادة بعضها البعض من خلال استخدام أسلحة الدمار الشامل مثل الأسلحة الكيماوية والبيولوچية والنووية، أو ربما حتى الأسلحة الأكثر هلاكًا التى لا يستطيع العقل البشرى استيعابها فى هذه المرحلة. تمثل هذه الرؤية المميتة عالميًا، التى تعتبر نتيجة التفسير الأصولى للكتاب المقدس تهديدًا للسلام العالمى. إنها ترتكز على تأويل أحلام سفر الرؤيا فى الكتاب المقدس. تطور هذه التأويلات لعلماء أصوليين مسيحيين نموذج الألفية الذى تنشب فيه حرب عالمية فى وقت قريب فى منطقة الشرق الأوسط، يطلق عليها حرب هرماجدون، سوف تمتد إلى «ثلاثة أعوام ونصف»[٣٢٢]، ومعركتها الفاصلة هى «معركة هرماجدون»[٣٢٣]. ستجلب هذه الحرب على كوكب الأرض حالة تقترب من الإبادة الكاملة. يشير لينيش إلى أن الأفكار الخاصة بالألفية هى ظاهرة خاصة بالقرن العشرين فى الفكر الأصولى المسيحى، برزت بداية فى حملاتهم المعادية للشيوعية فى العقد الثانى والثالث من القرن العشرين. «ولكن بشكل خاص بعد عام ١٩٤٥م، مع مقدم الديپلوماسية النووية ونشوء دولة إسرائيل، بدأت الألفية تسيطر على وجهات النظر المسيحية المحافظة. لقد قام الأصوليون المسيحيون المعادون للشيوعية فى العقد الخامس من القرن العشرين بتطبيق النظرية بشكل تام على الاتحاد السوڤيتى، والصين الشيوعية، والدول الشيوعية الأخرى، والتى كانت تعد ظهورًا حديثًا للمسيح الدجال. . . »[٣٢٤].

التزامًا باحترام الإسلام للمسيحيين واليهود بوصفهم «أهل الكتاب»، يعبر المؤلف عن احترامه لكتبهم المقدسة، وسوف يركز على تأويل سفر الرؤيا فقط، كما نوقش فى التراث المسيحى الأصولى. حيث إن تأويل الكتب المقدسة يحتوى على مدخلات

بشرية وتعتمد بشكل كبير، بين أشياء أخرى، على المعرفة الإنسانية والمنطق والتحيز والحس الداخلى والتخمين، فإنه يمكن تحليلها بشكل موضوعى لتحديد مضامينها الخاصة بالسلام العالمى.

فى كل عصر، كان يتم تأويل الكتاب المقدس من خلال الخبراء المختصين بطريقة تعكس أفضل قدراتهم ومستواهم المعرفى، ولكن مع مرور الوقت، كان كل تأويل يتبعه إعادة تأويل بعد جيل أو اثنين. يرجع ذلك لحقيقة أنه مع الوقت تتراكم المعرفة والخبرة والنضوج والتفكير الإنسانى، وكل جيل جديد (فى ضوء المعرفة الجديدة أو المطورة) يجد أن الأطروحة بحاجة إلى رفضها أو تطويرها على نحو أبعد.

حيث إن تأويلات سفر الرؤيا بها معان خطيرة فيما يتعلق بمستقبل الجنس البشرى برمته وكوكب الأرض، فإنه من الملائم أن نختبر طبيعتها الكلية بشكل أوثق. ومن أجل أن نفعل ذلك نسأل سؤالاً بسيطًا للغاية: هل أثبتت تأويلات الكتاب المقدس صحتها دوما؟.

حيث إن التأويلات المتعلقة بالألفية وهرماجدون هى ما سنقوم بالتركيز عليه هنا، لإنها تؤثر على العلاقات الإنسانية من خلال التأثير على العلاقات بين الدول والحضارات، فإنه من الملائم أن نبحث فى بعض التأويلات الأخرى للكتاب المقدس والتى تتضمن العلاقات الإنسانية. سوف يساعدنا هذا البحث فى تقييم الادعاءات حول صحة التأويلات. لنأخذ مثلاً تأويل الكتاب المقدس فيما يتعلق بالعبودية. إنها من أبسط وأكثر الظواهر شيوعًا والتى لا تتطلب أية معرفة عن المستقبل، ويمكن أن تفهم دون أى التباس فى ضوء شخصية وتعاليم المسيح وروح الكتاب المقدس. إن هذه ظاهرة تتعامل مع الناس الذين يختلفون عن بعضهم البعض فى الأصل العرقى، مثل الملونين والسود والبيض. للبحث فى تأويلات الكتاب المقدس التى قام بها الأصوليون المسيحيون فى هذا الموضوع فى الماضى القريب، سنتناول حالة التمييز العنصرى.

تعد قضية العبودية من وجهة نظر تأسيس مملكة الله على الأرض والخلاص، الذى كان الاهتمام الأساسى للمسيحية الأصولية، وثيقة الصلة بالموضوع بوصفها حالة اختبار فى هذه المناقشة التى تتصدى لقدرة الأصوليين المسيحيين على تأويل الكتاب المقدس بشكل سليم. تعتبر اليوم حقوق الإنسان من الأمور الضرورية لأى فكرة أو

نظرية عامة عن الكرامة الإنسانية، وهذا صحيح؛ لأن الإنسان لو لم يكن حرًا، فلا كرامة لديه إذن. وبشكل مشابه، من وجهة نظر الخلاص، الذى يعد الاهتمام الأولى للدين، يجب أن يكون البشر أحرارًا وقادرين على اختيار الصواب من الخطأ. فى هذه الحالة فقط سيكونون قادرين على العمل باتجاه خلاصهم.

والآن دعونا ننظر إلى تأويل الكتاب المقدس فيما يتعلق بالعبودية:

١ ـ تأويل لوثر للكتاب المقدس فيما يتعلق بالعبودية فى القرن السادس عشر:

طور مارتن لوثر «نظريته اللاهوتية الخاصة بالصليب»، مدافعًا عن «الغفران فقط من خلال رحمة إلهية يتلقاها المرء من خلال إيمانه»[٣٢٥]، وبالتالى تحرير المسيحيين من سلطة الكنيسة الرومانية الكاثوليكية والبابا. لقد عبر بشكل صريح عن مفهوم الحرية هذا فى كتابه «حرية المسيحى». لقد استخدمه الأمراء الألمان، الذين ثقلت الأعباء على كاهلهم بسبب الضرائب وغفران الكنيسة الكاثوليكية، لتحرير أنفسهم من روما. ولكن حينما حاول الفلاحون الألمان الفقراء، الذين كانوا يمثلون أغلبية السكان، وكانوا أكثر الفئات تعرضًا للاضطهاد فى المجتمع، نشر «الموضوعات الاثنى عشر للفلاحين»، مطالبين بالحرية من الاضطهاد والظلم على أساس المفهوم اللوثرى للحرية المسيحية، وقف لوثر مدافعًا عن مصلحة الأغنياء وأنكر على الفلاحين حريتهم. لقد كان مناصرًا لوجهة النظر القائلة «بدلاً من الوعد بتحرير الفلاحين من عبوديتهم، قد أيد الكتاب المقدس العبودية. كان لكل البطاركة والأنبياء فى العهد القديم عبيد، ولقد دعا بولس الرسول فى العهد الجديد العبيد لقبول وضعهم. ولتقديم نصيحة مشابهة للفلاحين الألمان، قام لوثر علاوة على ذلك بتحذيرهم بعدم ارتكاب جريمة «السرقة» التى يبتعد كل إنسان باقترافها بجسده عن ربه، برغم أن جسده هو ملك للرب»[٣٢٦].

يمكن للمرء أن يقول إن لوثر قد عاش منذ ما يقرب من خمسمائة عام، وأن الروح الحقيقية للكتاب المقدس لم يتم فهمها واستيعابها بشكل أفضل إلا بعد الثورتين الأمريكية والفرنسية. هذا الاحتمال ليس زائفًا، حيث إن العناصر الليبرالية فى الغرب كانت تظهر فهمًا أفضل لروح الكتاب المقدس والتزامًا أوسع بالكرامة الإنسانية من

خلال الدفاع عن المساواة والعدالة الاجتماعية. على الرغم من ذلك، ظلت المؤسسة الدينية المحافظة متمسكة بالتمييز العنصرى على أساس تأويلاتها للكتاب المقدس.

٢ ـ دعم الكتاب المقدس للتمييز العنصرى:

عملت الكنيسة الهولاندية البروتستانتية والحزب الوطنى (الأبيض العنصرى) خلال عقدى الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين بشكل وثيق للغاية لتصميم وتطبيق نظام التمييز العنصرى فى جنوب أفريقيا. لقد وجدت الكنيسة الهولاندية البروتستانتية التمييز العنصرى فى تفسيرها للكتاب المقدس. هذه التأويلات جعلت من الكتاب المقدس كتابًا مقدسًا «عنصريًا». من كلوكس كلان إلى النازيين الجدد، كان الكتاب المقدس «العنصرى» راضيا عن كل العنصريين فى العالم على وجه الأرض، حيث إنهم فى الواقع كانوا ينفذون خطة الله على الأرض، حيث إن الله بالفعل كان «صانع الانفصالات»[٣٢٨]. إن الفكرة الخاصة بنظرية التمييز العنصرى اللاهوتية تقول ما يلى: «فى البداية فصل الله النور عن الظلمة، الماء فى الأعالى عن الماء فى الأسفل، الأرض عن البحر، وهكذا، للإشارة إلى أن هذا الفصل ـ الفصل العنصرى ـ كان هو الخطة الإلهية للخلق. حينما أرشد الله البشر لأن يكونوا مثمرين (أى يتكاثروا)، فإن الله كان يريد أن يكونوا مثمرين وأن ينقسموا إلى مجموعات، قبائل أو شعوب منفصلة[٣٢٩].

شيدت الكنيسة الهولاندية البروتستانتية، بعد أن بينت هذه الفكرة اللاهوتية من الكتاب المقدس، البنية الأيديولوچية للفصل العنصرى برمتها على هذا الأساس. فى عام ١٩٤٨م نشر تقرير رسمى صادر عن الكنيسة الهولاندية البروتستانتية هذه البنية بوصفها الخطة الإلهية للفصل العنصرى، حيث عملت على المستويات الثلاثة التالية:

(١) «وعد الله بالتمييز العنصرى الروحانى فى الفصل النهائى بين من يحصلون على الخلاص الأبدى، وأولئك المحرومين بين الأغنام والماعز، القمح والنخالة، وبين الضوء والظلام فى يوم الحساب» (متى، ١٥ : ٢٥)[٣٣٠].

(٢) «التمييز العنصرى الاجتماعى، يقوم على الأمر الإلهى ـ فى سفر التثنية ـ لبنى إسرائيل بألا يختلطوا بالشعوب التى حولهم، لا يصاهروهم ولا يعقدوا معهم معاهدات (الإصحاح السابع)»[٣٣١].

(٣) «التمييز العنصرى السياسى، يبرره أمر إلهى، عندما خلق الله أمما متفرقة يجب أن تحتفظ بانفصالها من أجل أن تتبع الإرادة الإلهية (سفر التكوين ـ الإصحاح الثانى، أعمال الرسل ـ الإصحاح الثانى)[٣٣٢].

يمكن أن يجادل المرء بأنه ربما شعرت الأقلية البيضاء فى جنوب أفريقيا بأنها مهددة من قبل الأغلبية الساحقة للسود، ولهذا السبب لجأوا إلى سياسة التمييز العنصرى كآلية دفاعية، وأن الأصوليين المسيحيين فى الولايات المتحدة لم يفعلوا ذلك. ولكن لم يكن ذلك هو الحال، للأسباب التالية:

* حث اليمين المسيحى الحكومة الأمريكية على تبنى سياسة خارجية مسيحية من شأنها أن «. . . . تساند الدول الحديثة فى إسرائيل وتايوان وجنوب أفريقيا»[٣٣٣].

* «كزائر متردد خلال عقد الثمانينيات، أشاد جيرى فالويل بجنوب أفريقيا بوصفها «دولة مسيحية» حيث تدعم حقوق الإنسان، مثل حقوق الذين لم يولدوا بعد، حيث إن الإجهاض كان غير قانونى. مدافعًا عن نظام التمييز العنصرى، انتقد فالويل بحدة الأسقفية الأنجليكية المعادية للتمييز العنصرى، وديسموند توتو الحائز على جائزة نوبل للسلام، ووصفه بأنه محتال»[٣٣٤].

* أشادت شخصية أخرى بارزة من اليمين المسيحى الجديد، وهى چيمى سواجارت «أشاد بجنوب أفريقيا بوصفها «بلدًا إلهية»، حيث اتخذ موقعًا فى الخطوط الدفاعية فى المعركة بين المسيح الدجال الشيوعى و«الحضارة المسيحية» والتى مثلها نظام الأقلية البيضاء»[٣٣٥].

ليس هناك من شك فى أن البيض كانوا أكثر قوة وأكثر نفوذًا وأكثر استبدادا على السود فى جنوب أفريقيا، ودعمت تأويلات الكتاب المقدس وضعهم كأسياد فوق أهل البلاد من السود، إن ذلك لا يعنى أن تلك التفسيرات المتحيزة والعنصرية كانت صحيحة. حينما تغير الزمن، أثبتت الحقيقة النهائية أن تلك التفسيرات كانت خطأ إنسانيًا، مبنيًا ليس على روح الكتاب المقدس ولكن على المصالح المكتسبة والأچندة الكونية لتأويل الكتاب المقدس.

لقد تناولنا التمييز العنصرى كحالة واحدة، ولكن إذا كان للمرء أن يقوم بدراسة تاريخ الأديان برمته، سيجد أن البشر، فى بذلهم الجهد للقراءة وتفسير الرموز

والشـفـرات أو العـلامـات فى الكتب المقـدسـة ، فـإنهم غـالبًا مـا يصـيـبـهم التـردد والاضطراب . يكمن السـبب الرئيـسى وراء ذلك فى أن الناس بشكل عـام يئـولون ويتصـورون ، ويخـمنون على أساس ما يعرفونه فى وقت معين ، ولكنهـم لا يملكون المعرفة كلها . ولهـذا فإن معرفتـهم تصبح مقيـدة بالعصر الذى يعيشونه والمكان الذى يعيشون فيه ، وبسبب معرفتـهم وتجاربهم الشخصية ، وحينما يجلسون لمعالجة أية بيانات ، فإنهم يعانون أيضًا من تحيزهم الشخصى الذى يعد جزءًا من جبلتهم الطبيعية بفضل حقيقة أنهم بشر . ولهذا ، فحينما تمر مختلف الرموز ، والعلامات والشفرات خلال كل تلك القيود واللاموضوعية والتحيز ، تأتى النتيجة النهائية فى شكل مشوه ، وإذا كانت تحمل معانى متضمنة للعلاقات بين الأمم والحرب والسلام ، فإذن على المرء أن يكون حريصا للغاية فى قبولها بسبب عواقبها الكامنة الوخيمة .

حتى بين الدوائر العلمية الغربية ، توجه انتقادات لتأويل تنبؤات الكتاب المقدس بسبب أنها تحمل أغراضًا ما .

تقوم التفسيرات الأصولية ، كما ناقش البعض ، بشكل عام على نموذجين :

الأول : هو نموذج يرتكز على مخطط نظرية المؤامرة . بملاحظة سجل الأصوليين فى تأويل التنبؤات وفقًا لهذا المخطط ، يقول بروس :

«لقد قامت الجماعات الأصولية المختلفة فى أوقات مختلفة بتحديد عدو مختلف . فى القرن التاسع عشر ، كان من المحتمل أن يكون هذا العدو هو «إليوميناتى» ، وهى جمعية دولية يفترض أنها كانت سرية ، أو «الماسونية» . بينما فى القرن العشرين ، قد يكون هذا العدو هو **اليهود** عبر العالم ، أو **الشيوعية** . إن إبراز هاتين الكلمتين أمر متعمد . بالنسبة للأصوليين الأمريكيين ، ليست الشيوعية فلسفة سياسية عامة تدعو إليها ـ بطرق مختلفة للغاية ـ حركات سياسية مختلفة : إنها مؤامرة فريدة . يختلف الأصوليون عمن هو «حقيقة» وراء كل ذلك . البعض يظنون أن الشيوعيين هم حقيقة من اليهود ، بينما يعتقد الآخرون أن اليهود هم فى الواقع شيوعيون . فى بداية عقد الثمانينيات من القرن العشرين ، وبعد أن أصبحت الشيوعية قوة منهكة بشكل واضح ، وبعد صعود اليهود فجأة إلى موقع الحلفاء ، ألَّف الأصوليون الأمريكيون اسمًا جماعيًا

جديداً لأعدائهم المتنوعين، حيث أطلقوا عليهم اسم «الإنسانيون العلمانيون». يفترض آيات الله الإيرانيون أن الإمبريالية الأمريكية واليهودية والصهيونية، والمسيحية، كلها تمثل الشر ذاته»[٣٣٦](*).

نرى هنا أن بروس قام بتحديد ميزة مهمة للأصوليين المتدينين، وبشكل محدد، الفكرة الاستحواذية التى تسيطر عليهم والخاصة بـ«تحديد عدو فى كل عصر». وبشكل مثير للاهتمام، على الرغم من بذلهم أقصى جهودهم، لم يستطع الأصوليون المتدينون احتكار هذا المشروع، حيث واجهوا منافسة عنيفة من العلماء العلمانيين من مختلف المجالات المعرفية مثل التاريخ والعلاقات الدولية والسياسة. إذ حاول أولئك العلماء العلمانيون الذين يحاولون أن يتفوقوا على الأصوليين المتدينين فى سوق الأفكار الأصولية، وذلك من خلال إنتاج نظريات وأدبيات مُحَمّلة بمتفجرات مماثلة. إنهم يفعلون ذلك من خلال التلاعب بكل ملاحظة ممكنة بطريقة ما تقود إلى تحديد جماعة أو مجتمع معين بوصفه العدو (عدو الغرب).

إحدى تلك المقولات العلمانية المعاصرة هى لـ «هنتنجتون»، وهى مسايرة للخط العام لتفسيرات الأصوليين للتاريخ. لقد اقترح نسخة علمانية من أطروحة نهاية الزمان تحت عنوان «صدام الحضارات»[٣٣٧]. وهكذا، إذا أخذنا فى الاعتبار فكرة معركة هرماجدون، فإن هنتنجتون لم يأت بأى جديد، ولكنه قالها بطريقة أخرى، ويجب أن ينسب له الفضل كما ينبغى، للجهد الفكرى الذى بذله فى إلباس الدمية القديمة ملابس عصرية.

إن السمة الأخرى للفكر الأصولى، كما قام بروس بتعريفها، «. . هى شغف بفك شفرات العلامات واكتشاف الارتباطات المخبوءة». جادل إيان بيزلى على سبيل المثال أن اليسوعيين (وبشكل ضمنى كل الرومان الكاثوليك) ليسوا مسيحيين مُضَلّلين، إنهم فى الحقيقة وثنيون، وأنه يعلم ذلك لأن شعار اليسوعى «IHS» والذى يقول اليسوعيون إنه اختصار «المسيح منقذ البشر» (علم التهجئة فى ذلك الوقت كان يكتب J مثل I) يمثل فى الحقيقة آلهة مصر القديمة. هناك تقليد قديم فى الأصولية البروتستانتية

(*) آيات الله يعادون الصهيونية والإمبريالية الأمريكية، وليس اليهودية ولا المسيحية ـ المترجمة.

خاص بحل شفرات الفقرات المجازية فى الكتاب المقدس. يقوم العلماء لتحديد موعد نهاية العالم، بعمليات حسابية معقدة بأعداد حوافر البهائم فى سفر الرؤيا والكتب المشابهة»[٣٣٨].

تمثل تعليقات بروس السابقة - بشكل أساسي - وجهة النظر الأوروبية التى تتسم بانتقاد ممارسة تأويل تنبؤات الكتاب المقدس. إن موقفنا فى هذا الصدد هو أن المستقبل، من حيث المبدأ، غير معروف، فالبشر ليس لديهم المقدرة على التنبؤ به بشكل مؤكد (سواء بالتخمين أو من خلال تأويل التنبؤات). فهو يخضع فقط لمشيئة الله القدير، وهذا سبيل أفضل للإنسانية كلها. يشار إلى حقيقة أن توقيت نهاية العالم يعرفه الله وحده فى الكتاب المقدس كما يلى:

«أما ذلك اليوم وتلك الساعة، فلا يعرفهما أحد، ولا ملائكة السماوات، إلا الآب وحده». إنجيل متى: الإصحاح ٢٤ : ٣٦.

«وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفهما أحد، لا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن، إلا الآب. فانتبهوا واسهروا لأنكم لا تعرفون متى يحين الوقت!».

إنجيل مرقص: الإصحاح ١٣ : ٣٢-٣٣

***

الفصل الحادى عشر

ما هو الصحيح عند اليمين المسيحى؟

كما أشرت سابقًا شنت الحركة الأمريكية الأصولية المسيحية (ACFM) أقصى جهدها لاستعادة وضعها السابق مباشرة بعد الحرب العالمية الثانية. فى الربع الأخير من القرن العشرين، اكتسبت الحركة نفوذًا سياسيًا كبيرًا لدرجة أنها كانت قادرة على إعداد الأچندة الاجتماعية لإدارة ريجان: التشريع المعارض للإجهاض، والصلاة فى المدارس وتخفيض برامج الرفاهية.. إلخ. ثم فى عام ٢٠٠٠م، واكبت الحركة چورچ د. بوش إلى البيت الأبيض وجلبت أغلبية جمهورية فى انتخابات الكونجرس. استطاعت الحركة خلال إدارة بوش، أن تصعد من انتصاراتها حتى حققت سجلاً رائعًا من الانتصارات مثل التشريع الخاص بالولادة، الذى قيد من حقوق الإجهاض، تأسيس مكتب البيت الأبيض لمبادرات المجتمع المؤسسة على العقيدة، تخفيض برامج الرفاهية، وزيادة الإنفاق فى مجال الدفاع، والحركات النشطة بدرجة عالية لدفع مسألة الصلاة فى المدارس والتشريع المعادى لحقوق الشواذ. يجدر هذا النجاح الحالى للحركة بالإطراء بشكل خاص، بسبب العاملين التاليين:

الأول: مرت الولايات المتحدة قبل الحركة الأصولية الحالية، باثنتين من تجارب الصحوة الكبرى (حركات الإحياء الدينى)، واحدة فى القرن الثامن عشر قبل الاستقلال الأمريكى والثانية فى القرن التاسع عشر بعد الاستقلال[٣٤١]. على الرغم من ضخامة الحركتين، فإن تأثيرهما ظل محدودًا.

الثانى: تأثير الحركة الحالية على المجتمع الأمريكى أكثر عمقًا وأكثر اتساعًا. إنها لا تزال تقاتل من أجل عدد من القضايا على الجبهة الداخلية، ولكنها فى الوقت ذاته اكتسبت القوة والنفوذ اللذين مكناها من التأثير على العالم برمته أيضًا. إن الأمر المثير للاهتمام أن كل ذلك أصبح ممكنًا على الرغم من حقيقة أن النظام السياسى الأمريكى قد حدد تشريعيًا - وبوضوح - الفصل بين الدولة والكنيسة.

في ضوء نجاح الحركة الأصولية في القرن العشرين، يسأل هؤلاء الواعون بتاريخ الحركات الإحيائية الدينية في الولايات المتحدة الأمريكية السؤال المنطقي التالي:

ما الذي فعله اليمين المسيحي من الأمور الصحيحة في هذه الفترة؟

للإجابة عن هذا السؤال، نجد أنه حينما نقارن الحركة الحالية بحركتي الصحوة السابقتين (في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر) أن الحركة الأمريكية الأصولية المسيحية في الوقت الحالي تبنت استراتيجية مختلفة. حققت الحركة الإحيائية الكبرى الأولى ـ والتي بدأت في مدينة نورثاهامپتون في كونيكتيكت عام ١٧٣٤م بمبادرة القس الكالڤيني الكفء جوناثان إدواردز المتخرج من جامعة يال ـ دفع أكبر من قبل خريج أكسفورد الواعظ چورج وايتفيلد، الميثودي[٣٤٢]. ساهم أيضًا الإيڤانچليكيان ذوا النفوذ القادمان من انجلترا وهما چون وتشارلز ويسلي (مؤسسا الميثودية) في ثوران الحركة الإحيائية الكبرى الأولى. لقد كانت تلك الحركة تجربة شخصية على مستوى عال من الروحانية والعاطفية على المستوى الفردي. الناس «. . . يتراوحون بين درجات عليا من الروحانية والانحطاط المدمر، في بعض الأحيان ينهارون تمامًا ويخوضون في أغوار جهنم، تحت وطأة الشعور بالذنب لدرجة أنهم كانوا على استعداد للاعتقاد بأن آثامهم لا يمكن أن تطولها رحمة الله»[٣٤٣].

أفرزت الحركة الإحيائية الكبرى الأولى شعورًا بين الناس بأن هذا الإحياء سينتشر من أمريكا إلى «بقية العالم مسفرا عن تأسيس مملكة الله على الأرض». خلقت الصحوة التي أصبحت نوعًا ما من الحركات الجماهيرية، على المستوى الفكري، انشقاقًا في المسيحية الأمريكية إلى «أضواء قديمة ـ OLD LIGHTS»، و«أضواء جديدة ـ NEW LIGHTS». الأضواء القديمة، كانت تمثل هؤلاء الذين . . «يؤمنون أن المسيحية ينبغي أن تكون عقيدة مستنيرة وعقلانية، وقد روعتهم هستيريا الإحيائيين ولم يثقوا في تحيزاتهم المعادية للفكر. كانت الأضواء القديمة تميل للمجيء من قطاعات أكثر ازدهارًا في المجتمع، بينما اجتذب الطبقات الأدنى الورع العاطفي لكنائس الضوء الجديد المنشقة[٣٤٤]». كان لحركة الصحوة الكبرى الأولى أربعة آثار كبرى[٣٤٥]:

الأول: كان الضغط الأساسى الذى مارسته يتعلق بالتجربة الروحانية من خلال التحول الفردى والورع، حيث كان الوعاظ مهتمين فقط بإنقاذ الأرواح، ولم يكن للحركة مضمون سياسى يذكر.

الثانى: كان الاتجاه الانفصالى الذى اتخذته الأضواء الجديدة تطوراً مهماً، أسهم فى نشوء الحركة الأصولية فى نهاية القرن التاسع عشر.

الثالث: اشتركت حتى الأضواء القديمة فى الفكرة الأصولية الخاصة باقتراب نهاية الزمان، المجىء الثانى للمسيح، وتأسيس مملكة الله على الأرض.. إلخ.

الرابع: رأى الأمريكيون البروتستانت بسبب حرب السبعة أعوام بين انجلترا البروتستانتية وفرنسا الكاثوليكية[٣٤٦]، أن كلاً من فرنسا والبابا يمثل الشيطان، بينما يجسد البابا عدو المسيح، أو المسيح الدجال. «فى ذلك الوقت أصبح يوم البابا (فى الخامس من نوڤمبر) عطلة رسمية، حيث تحرق الجماهير المشاكسة خلاله صور البابا. كانت تلك أوقات مرعبة وعنيفة»[٣٤٧].

الصحوة الكبرى الثانية

برزت علامات بداية الصحوة الكبرى الثانية مع نهاية القرن الثامن عشر. بدلاً من تقديم الدين كظاهرة عقلانية، اعتمد الوعّاظ على «الأحلام والرؤى والعلامات والعجائب ـ كل الأشياء التى كان يستنكرها علماء وفلاسفة عصر التنوير». لقد ظلت الألفية الفكرة الأساسية واستخدمت البيانات والحسابات لكى يكون سيناريو نهاية الزمان قريبًا من عالم الواقع. أعلن ويليام ميلر ـ وهومزارع من نيويورك تحول إلى واعظ وعرف ببراعته فى تأويل نبوءات الكتاب المقدس ـ مستخدمًا البيانات والحسابات (أدوات عصر العقل) بأن «.. المجىء الثانى للمسيح قد يحدث فى عام ١٨٤٣م»[٣٤٩]. كانت الجاذبية الميللرية تلك مثيرة للاندهاش: قبل أن يمضى وقت طويل كان هناك ٥٠,٠٠٠ من أتباع ميلر بشكل مؤكد، بينما كان هناك الآلاف من المتعاطفين. ولكن حينما لم يظهر المسيح، أصيب أتباع ميلر بالإحباط الشديد.

وهذه بعض السمات المثيرة للاهتمام الخاصة بالصحوة الكبرى الثانية:

١ ـ لم يكن وعّاظ الحركة الإحيائية الكبرى الثانية من خريجي جامعات (مثل يال وأكسفورد كما كان الأمر في حالة حركة الصحوة الكبرى الأولى). لقد قاموا باجتذاب الناس العاديين من خلال المجادلة بأن « . . . كل المسيحيين لهم الحق فى تفسير الكتاب المقدس دون الخضوع للخبراء اللاهوتيين»[٣٥٠] .

٢ ـ على عكس حركة الصحوة الكبرى الأولى، لم تقتصر الحركة الكبرى الثانية على غير المتعلمين، ولكن بدلاً من ذلك، وبفضل جهود الوعّاظ مثل تشارلز فينى، استطاعت الحركة اجتذاب المتعلمين وأفراد الطبقة الوسطى مثل الأطباء والمحامين والتجار[٣٥١] .

٣ ـ فى هذه المرة لم يقتصر الوعّاظ على القيام بإنقاذ الأرواح، ولكنهم سعوا أيضًا بشكل إيجابى نحو أجندة الإصلاح الاجتماعى، مثل تحريم الكحوليات والقمار والزنا، والتجديف، وعدم الأمانة[٣٥٢] . ولهذا الغرض، نسج الشبكة العديد من المنظمات وجماعات المصالح والجمعيات. وقد مكن ذلك الأصوليين من اكتساب التبصر العميق والخبرات شديدة الثراء فى بناء تلك الشبكات. «مع حلول عام ١٨٤٠م أصبحت «الاعتدال فى شرب الخمر ـ Temprance» حركة قومية أساسية، تضم المؤسسات ذات النفوذ، وقام أكثر من مليون تابع بالتوقيع على تعهد رسمى للامتناع عن المشروبات الكحولية الثقيلة»[٣٥٣] . لقد ساعدت هذه التجربة الأصولية فيما بعد فى نشاطها السياسى فى القرن العشرين.

٤ ـ رفعت حركة الصحوة الكبرى الثانية من مستوى وعى الناس من مجرد الخلاص الفردى إلى نقاء وخلاص المجتمع برمته من خلال الربط بين المسيحية وحل المشاكل الاجتماعية. لقد أعطى منهج حركة الصحوة الكبرى الثانية دافعًا لميلاد تركيبة قوية وجديدة تفضى باتحاد الدين والفعالية الاجتماعية معًا. كان قبول هذه التركيبة قفزة كبيرة واسعة فى نظام اجتماعى سياسى مبنى على أساس الفصل بين الكنيسة والدولة. كانت الرأسمالية الأمريكية تحدث نموًا وتصنيعًا سريعًا فى القرن الثامن عشر، ورأى هناك هؤلاء الذين تركوا على الهامش فى الفعالية المسيحية الاجتماعية شعاع أمل، واتبعوه. لقد منحهم ذلك، بكلمات مارتن لوثر كينج، « . . . حسًا بقيمة ما لهم»[٣٥٤] .

يمكننا النقاش السابق من الوصول إلى إجابة مدعمة بالمعلومات عن السؤال: ما هو الصحيح عند اليمين المسيحى؟

انتفع اليمين المسيحى الأمريكى فى القرن العشرين - قبل كل شىء - بشكل كبير من الديمقراطية الليبرالية الأمريكية التى سمحت بحريات التعبير وتكوين جمعيات، والوصول إلى وسائل الإعلام والجدال المفتوح. مكنت تلك الحريات أيضًا جماعات المصالح من أن يؤسسوا جرائدهم، وشبكات الإذاعة والتليفزيون، بالإضافة إلى إنشاء المدارس والكليات والجامعات الخاصة بهم. وقد سمح لهذه الجماعات أيضًا بأن تمارس الضغط على السياسيين والكونجرس. لقد استغل اليمين المسيحى كل تلك الفرص المتاحة لكل فرد فى المجتمع، إلى أقصى مدى ممكن لتحقيق أجندته الخاصة.

لقد تجنب اليمين المسيحى، كمسألة سياسة، تبنى وجهة نظر متصلبة أو ضيقة للمسيحية، التى كان من الممكن أن يقوم باحتكارها عدد قليل من اللاهوتيين ورجال الدين، من خلال حجز الجماهير فى مربع محدود، أوعلى أفضل تقدير جعلهم أداة فى أيديهم. بدلاً من ذلك، فإن تأكيدها على أن كل مسيحى له الحق فى تفسير الكتاب المقدس، خلق حماسًا كبيرًا بين الجماهير، وجعل التزامهم بمهمة الحركة أكثر تماسكا، حيث إنهم اعتبروا القضايا التى انتصرت، فيها الحركة بمثابة همومهم وأهدافهم الخاصة.

اتخذ اشتراك الجماهير فى الحركة الأصولية الأمريكية المسيحية شكلاً متماسكًا من خلال تأسيس برنامج جماعة دراسة الكتاب المقدس (CBS). إن فرانسز شافير هومن أكد على أهمية التعليم المسيحى أيد تأسيس جماعات الدراسة المسيحية فى المجتمعات المسيحية[٣٥٥]. كنتيجة لذلك، قام اليمين المسيحى بشكل ضاغط بتأسيس جماعات دراسة الكتاب المقدس عبر البلاد، وحاول أن يجند الشباب والنشطين ممن لديهم قدرات كامنة على القيادة فى هذه الجماعات. كان أحد هؤلاء المجندين چورج د. بوش. لقد كان مجندًا فى تكساس قبل أن يكون محافظًا للولاية بوقت طويل. وفى هذا التجنيد لعب الأصولى المسيحى المعروف بيلى جراهام دورًا مهمًا[٣٥٦]. حينما تزوج بوش من لورا فى عام ١٩٧٧م كان سكيرًا، وبمرور الأعوام «كانت لورا قد أصابها الملل الشديد من إدمانه»[٣٥٧]. كان بوش «نتاجًا للتعليم العلمانى النخبوى - فى

أندوفر ويال وهارفارد. بدأ للمرة الأولى يقرأ كتابًا سطرًا وراء سطر باهتمام أخذه لعالم آخر. كان ذلك الكتاب هو . . الكتاب المقدس»[٣٥٨]. لقد انضم إلى جمعية دراسة الكتاب المقدس فى عام ١٩٨٥م وهجر الشرب عام ١٩٨٦م[٣٥٩].

كانت أفكار بوش الابن، الذى له طموحاته السياسية الخاصة، متأثرة بعدد من العوامل، مثل:

١ ـ تقديره للفعالية السياسية ونفوذ اليمين المسيحى فى الجنوب، التى اكتسبها من خلال « . . . كونه «رجل الاتصال» باليمين المسيحى»[٣٦٠] فى حملة إعادة الانتخاب لوالده عام ١٩٨٨م.

٢ ـ ارتباطه الوثيق بالشخصيات الأصولية المسيحية والشبكة الهيكلية على مختلف المستويات من بيلى جراهام حتى جماعة دراسة الكتاب المقدس المجاورة.

٣ـ قبل محاولته للوصول إلى منصب المحافظ فى ولاية تكساس بعام واحد « . . . سبب بوش عاصفة صغيرة بتصريحه لأحد المحررين من أوستن عاصمة تكساس (الذى تصادف أن يكون يهوديّا) أن المؤمنين بالمسيح فقط هم الذين يذهبون للجنة. لقد كان تصريحًا لاهوتيّا غير مستحسن على الأقل فى تكساس. ولكن ما هو حقيقة أنه كان وقحًا بدرجة كافية لقول ذلك، أثار نوعًا من الإثارة. وبينما انتابت المحررين نوبة من الغضب، عبر روف بشكل سريع عن رضائه[٣٦١]. كانت هذه القصة ستساعد زبائنه المخلصين فى حزام الكتاب المقدس فى تكساس الريفية[٣٦٢] (حتى ذلك الوقت كانوا ديمقراطيين بشكل رئيسى). لقد كان بوش واعيًا تمامًا أن انتخابات عام ٢٠٠٠م الرئاسية ستكون مطلعًا صعبًا؛ لأن الاقتصاد الأمريكى كان قد أثبت حسن أدائه خلال الأعوام ١٩٨٢ ـ ٢٠٠٠ من إدارة كلينتون ـ جور. كانت فضيحة مونيكا لوينسكى قد أضعفت من شأن كلينتون ولكن جور إجمالاً لم يمس. فى تلك الظروف كان الأمر الأكثر أهمية من الناحية الاستراتيجية بالنسبة له هو ضمان الدعم الكامل والتزام الدائرة الأصولية المسيحية والتى كان يتودد لها ليس فقط المرشحين الجمهوريين، بل الديمقراطيين أيضًا. كان المنافسون يحاولون طمأنة الأصوليين أنهم يساندون القضايا الأصولية، ولكن بوش اتخذ سبيلاً آخر وهو أنه واحد منهم. «كانت الحملة الانتخابية الرئاسية مثل الحملة فى تكساس [لمنصب محافظ الولاية] لكن على مقياس أوسع.

وعندما كان يستعد لسباق الرئاسة عام ١٩٩٩م، قام بوش بجمع رعاة الكنائس البارزين في منزل المحافظ من أجل التعاهد بإمساك الأيدي، وقال لهم إنه استدعى للمكتب الأعلى [الرئاسة]. في الانتخابات الأولية للحزب الجمهوري، تفوق في اصطناع المناورات من خلال ممارسة ما قد أسماه أحد المنافسين، وهوجاري باوير، «سياسات الهوية». قال باوير بينما حاول آخرون السعي وراء الإيڤانجليكيين متعهدين بالدعم الصارم لقضايا مثل الإجهاض وحقوق الشواذ، «تحدث بوش عن عقيدته»، وكانت النتيجة أن الناس آمنوا بما يقول، وآمنوا به. كان هناك صدق في ذلك»[٣٦٣]. لقد أفلحت استراتيجية بوش وجاءت بالنتيجة المرجوة، لولا المساندة الراسخة للأصوليين المسيحيين في الجنوب، لم يكن بوش ليعرف طريقه قط إلى البيت الأبيض في انتخابات عام ٢٠٠٠م، أكثر الانتخابات الفاصلة في تاريخ الولايات المتحدة برمته.

إن أمريكا هي بلاد يوجد بها فصل واضح بين الكنيسة والدولة، ويمكن للناس أن يقاضوا الحكومة ويفوزوا بالقضية في المحكمة لوذكر اسم الله في مكان ما بطريقة ما توحي بدعم سياسة أوإجراء أودافع ما من قبل الموظفين العموميين.

على الرغم من ذلك، فإننا نرى چورچ بوش الابن يشن حملته الانتخابية بتصريح إعلامي يفيد أنه كان يستجيب لاستدعاء «بأن يسعى للمكتب الأعلى[٣٦٤]». إن الشيء المدهش هوأنه على الرغم من الفصل الصارم بين الكنيسة والدولة، فلم ينجُ بوش فقط من حملته الأصولية، ولكنه في الحقيقة فاز بالبيت الأبيض أيضًا. السؤال إذن هو: هل تغيرت علاقة الدين بالسياسة في أمريكا؟

من أجل أن نفهم بشكل كامل العوامل التي تكمن خلف هذه الثقافة السياسية الجديدة في أمريكا، يجب أن يكون للمرء قدر ما من الخلفية التاريخية في هذا النطاق. حتى الفترة التالية على الحرب العالمية الثانية، كان السياسيون الأمريكيون الذين تولوا مناصب عامة بارزة واثقين من أن عقيدتهم ودينهم سيبقيان من الأمور الخاصة، ومن الناحية العلنية لم تكن سياساتهم ترى بوصفها مرتبطة بعقيدتهم أوموجهة من قبلها. لونشأت حالة ما تشكل خطرًا على موقفهم هذا، فإنهم يتخذون كل الإجراءات الممكنة لضمان أن الفكرة التي كوّنتها العامة قد تم تصحيحها في الحال. باتت العلاقة بين الرئيس ترومان وبيلي جراهام متوترة حينما سمح جراهام ومعاونوه لأنفسهم، بعد

مقابلة مع ترومان فى البيت الأبيض، «بأن تلتقط لهم صورة فتوغرافية وهم يركعون فى حديقة البيت الأبيض. لقد أغضب ذلك ترومان. لقد مرت أعوام قبل أن يستطيع جراهام إصلاح هذا الخرق السياسى»[٣٦٥]. ومع نهاية فترة حكم ترومان، كانت القوى المسيحية الأصولية قد بدأت بالفعل مسيرتها باتجاه مراكز القوى. وكما أشرت سابقًا، شجع جيرى فالويل أيزنهاور لخوض السباق الرئاسى. على الرغم من ذلك فلم يغنموا كل شىء بعد. ولذلك فحينما أعلن چون كنيدى ترشحه، كان هناك قلق حاد حول تدخل عقيدته الكاثوليكية فى منصبه العام. كان ذلك بسبب الفكرة العامة بأن الكاثوليك يتلقون أوامرهم من الڤاتيكان. لقد كان هناك بالفعل الكثير من التاريخ السيئ بين البروتستانت والكاثوليك، وكانت شكوك الناخبين الأمريكيين (الذين كانت أغلبيتهم الكاسحة من البروتستانت) عميقة حتى إنه لم يصل أى كاثوليكى من قبل لمنصب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية. واجه كنيدى تحديًا ضخمًا لتهدئة الناس وطمأنة الأغلبية البروتستانتية للبلاد بأن عقيدته ودوره كرئيس للولايات المتحدة سيكونان بشكل متبادل محدودا كل عن الآخر، وأن مصلحة الأمة فقط هى التى سوف توجهه وتملى عليه أداء واجباته كرئيس للولايات المتحدة. ومن أجل أن يبعد عقيدته بوصفها حجر عثرة، استخدم الفصل الدستورى بين الكنيسة والدولة كأساس، وحصد الفوز بالبيت الأبيض. لقد أعلن ذلك بوضوح فى الخطاب الذى ألقاه فى سبتمبر من عام ١٩٦٠م لمعمدانيى تكساس فى هيوستون:

«لأنى كاثوليكى ولم ينتخب رئيس كاثوليكى من قبل كرئيس، فإنه يبدو من الواضح أمرًا ضروريًا بالنسبة لى أن أعلن مرة أخرى. . . ليس من المهم أى نمط من الكنائس تلك التى أؤمن بها؛ لأن هذا ينبغى أن يشكل أهمية لى وحدى فقط، ولكن ما يجب أن يشغلنى هو أى نمط لأمريكا ذلك الذى أؤمن به. إننى أؤمن بأمريكا التى يكون فيها الفصل بين الكنيسة والدولة أمرًا مطلقًا، حيث لا يقوم أسقف كاثوليكى بإبلاغ الرئيس (فى حال كونه كاثوليكيًا) كيف يتصرف، وحيث لا يقوم أى كاهن بروتستانتى بإخبار أبناء أبرشيته لمن يمنح صوته الانتخابى»[٣٦٦].

لو كان كنيدى على قيد الحياة عام ١٩٩٩م ليرى بوش يشن حملة ترشحه الرئاسى بإعلان أنه كان يستجيب لاستدعاء إلهى، فإننا لا نعلم ما سيكون رد فعله. ينبغى أن نتذكر أن النغمة الجديدة التى شن بها چورچ بوش حملته الانتخابية كانت فقط استجابة

للواقع الديمقراطى الجديد الذى عمل الأصوليون المسيحيون بجهد لبنائه. لقد جاءت رئاسة نيكسون تلو رئاستى كنيدى ـ جونسون. قبل أن يكون رئيسًا، كان نيكسون عضواً بالكونجرس، وكان أيضًا نائبًا للرئيس أيزنهاور. شهد نيكسون كعضوللكونجرس، النفوذ السياسى للحركة الأصولية المسيحية متمثلاً فى حملة الخمسة أسابيع الناجحة لجيرى فالويل فى واشنطن، دى. سى عام ١٩٥٢م والتى بلغت ذروتها فى شكل تجمع جماهيرى «. . . على سلم الكابيتول، الذى برغم الأمطار، قد جذب جماهير قدرت بأربعين ألف شخص»[٣٦٧]. وإدراكًا منه للقوة المتصاعدة للأصوليين المسيحيين، فقد عمل نيكسون على توطيد علاقة طيبة معهم، و«. . . كان معروفًا من الناحية الدينية بصداقته الجيدة مع بيلى جراهام»[٣٦٨]. فى مناسبة تولى نيكسون للسلطة، طلب من الكنائس والمعابد اليهودية عبر الولايات المتحدة «. . . أن تصلى من أجل الرئيس الجديد»[٣٦٩]. قاد بيلى جراهام المراسم الافتتاحية للصلاة فى مراسم تقليد نيكسون السلطة الرسمية، جلب نيكسون رجال الكنيسة للبيت الأبيض خلال فترة رئاسته، حيث كانت تقام الصلوات بشكل معتاد فى الحجرة الشرقية. فى كل مرة كانت تتم دعوة ٣٠٠-٤٠٠ ضيف من مختلف الولايات. ولهذا، فمع النصف الثانى من القرن العشرين، أصبح الارتباط الصريح بالدين أمرًا مقبولاً سياسيًا وله مردود من الناحية الاستراتيجية، وذلك بفضل عمل الحركة الأصولية المسيحية على مستوى عامة الشعب.

لقد أبرزت فضيحة ووترجيت الفساد الأخلاقى لمؤسسة واشنطن، وتلاها انتخاب جيمى كارتر الذى أعلن عن نفسه بوصفه «مولودًا ثانيًا». لقد قام «. . . بتعليم فصل فى مدرسة الأحد بشكل منتظم فى الكنيسة المعمدانية الأولى بواشنطن خلال سنوات حكمه بالبيت الأبيض. . . .»[٣٧١]. على الرغم من الفصل بين الكنيسة والدولة قبلت الأمة هذا النشاط الكهنوتى من رئيسهم، وبالطبع، بعد كارتر رأينا الأصوليين المسيحيين وهم يكتبون البرنامج الانتخابى للأچندة الاجتماعية لـ «رونالد ريجان»، وقد حاول ريجان بكل جهده تحقيق العديد من هذه الأهداف. والآن لدينا چورچ د. بوش الذى قام بفضل المناخ العام الذى هيأه الأصوليون المسيحيون، بشن حملته الانتخابية بقوله إنه كان يستجيب لاستدعاء علوى.

إن قاطنى البيت الأبيض ، وهم دومًا ما تسلط الأضواء عليهم، لا يقومون بفعل شىء أوينبذون بكلمة قد تناقض المبادئ الأساسية للأمة ومزاجها العام. على الرغم من ذلك، فإننا نرى فى النصف الثانى من القرن العشرين أن قاطنى البيت الأبيض قد أصبحوا أكثر من أى وقت مضى أكثر تصريحًا بعقيدتهم وربطهم بين عملهم الرسمى والمثالية الدينية، والحماسة والالتزام، ويبدو بمرور الوقت أن نسبة هؤلاء الذين يحبون أن يروا هذا النوع من الربط بين واجبات الرئيس هذه ومثاليات الإيمان المسيحى تتصاعد فى الولايات المتحدة. وهذا هو السبب الذى يكمن خلف قيام عدد أكبر من الرؤساء بالتأكيد على إيمانهم كعامل مهم فى قدرتهم على أداء العمل الرئاسى بشكل أفضل. يؤكد هذا القبول العام للدين فى القيام بواجبات أعلى المناصب، على الحقيقة الجديدة التى حصدتها الحركة الأصولية المسيحية الأمريكية بشكل فعّال. ولختم هذا الفصل ندعو القارئ ليتأمل البيان التالى الصادر من الرئيس چيمى كارتر ومقارنته بخطاب چيه. إف. كنيدى فى سبتمبر من عام ١٩٦٠م (المقتبس سابقًا فى هذا الفصل):

«إن لدينا مسئولية محاولة تشكيل حكومة تمثل إرادة الله»[٣٧٢].

(تصريح جيمى كارتر للصحفيين، كنيسة پلاينس المعمدانية، يونيو١٩٧٦م).

يسمح لنا النقاش السابق بالإجابة عن السؤال: ما هو الصحيح عند اليمين المسيحى؟ الإجابة كالتالى:

١ ـ بيّن اليمين المسيحى، كحركة، قدرة مذهلة على التعلم من تجربته فى كل عصر بدءًا من القرن الثامن عشر.

٢ ـ لقد اختار طريقًا تدريجيًا.

٣ ـ فهم بشكل ناجح كيف يعمل النظام الديمقراطى الليبرالى وكيف يمكن التأثير فيه. وانتفع بحقوقه بشكل مؤثر ولأكبر مدى ممكن لوضع الأچندة الاجتماعية للبلاد وإنجازها.

٤ ـ تمكنت الحركة كما بينّا سابقًا، من اجتناب فخ الاختلافات الدينية فى مواجهة العقائد والجماعات الأخرى، وهى بشكل عام نقطة ضعف الأصوليين الدينيين، حيث إنهم لا يستطيعون التعاون مع هؤلاء الذين يختلفون معهم عقائديًا. ولهذا الغرض ابتكرت الحركة صيغة «الحرب ضد عدومشترك» التى جلبت الناس من عقائد مختلفة معًا للوصول إلى تحقيق أهداف مشتركة طويلة الأجل.

الفصل الثانى عشر

رؤيــة «الآخــر»

أحد المظاهر المشوهة عند التصدى لمناقشة عقيدة مختلفة، هو رؤية «الآخر». يدفعنا كبرياؤنا ومصلحتنا الشخصية ـ فى أغلب الأحوال ـ لأن نرى الآخرين بشكل سلبى. وبمجرد أن تصبح وجهة النظر السلبية هذه هى طريقتنا فى التفكير، ننسى أن نفرق بين «الصواب» و«الخطأ» فى معالجتنا للآخرين. رأى الفرعون فى مصر القديمة اليهود بوصفهم «الآخر»، وبالتالى أساء التعامل معهم. وبالرغم من أن الحضارة المصرية كان لها آثار عظيمة، وكتابة ومعمار وفنون راقية، تُحسب من مفاخرها، فإن معاملتها اللا إنسانية لليهود، ألقيت عليها بظل مظلم. والأمر صحيح أيضًا فيما يتعلق بالحضارة اليونانية القديمة والإمبراطورية الرومانية، فبرغم الإنجازات الضخمة، فقد بقيتا فى منزلة أقل بسبب سوء معاملة «الآخر».

حين كانت الإمبراطورية الرومانية فى حالة صعود، جاء المسيح عيسى. وبمجرد ظهور المسيح تمت معاملته «كآخر». وكأن الألم والمعاناة وصلب المسيح(*) لم يكن كافيًا، فقد قام الرومانُ باتباع سياسة التمييز العنصرى ضد أتباعَ المسيح وعذبوهم لكونهم «الآخر»(٣٧٣).

فى القرن الرابع، اعتنق الإمبراطور قسطنطين، ومن تبعه من الأباطرة الرومان المسيحية وجعلوا منها ديانة الدولة. وبعد أن أصبح للمسيحية نفوذ، أصبح كلٌ من اليهود والمؤمنين بالديانة العامة الرومانية [القديمة] يمثل «الآخر». لقد عوقبوا وعذبوا واضطهدوا بسبب ديانتهم. كانت الإمبراطورية الرومانية قوة عظمى فى ذلك الوقت، كان المسيحيون أقلية داخل الإمبراطورية ولكن بقدرة الحكام من خلفهم، قرر المسيحيون ـ يقودهم رجال الدين ـ تحويل الجماهير الرومانية إلى الديانة المسيحية. فى

(*) طبقًا للعقيدة المسيحية، كما بيّن الكاتب فى الهامش (٣٧٣).

ظل هذه الحماسة الدينية، قاموا بإرهاب المواطنين الرومان الذين مارسوا ديانتهم العامة. لقد هاجمهم الغوغائيون المسيحيون ودمروا مذابح معابدهم ومقدساتهم. لقد كان يتم التمييز ضد غير المسيحيين بشكل صريح وعلنى. لقد فرضت عليهم الغرامات طبقا لقوانين غير عادلة، وتعرضوا للسجن والتعذيب والإعدام أيضًا[٣٧٤]. لقد استخدمت الدولة سلطتها لهدم المعابد والأضرحة المقدسة للديانة الرومانية العامة «. . . و قد أخذت مواقعهم للأغراض المسيحية»[٣٧٥]. وهكذا انتشرت المسيحية بسرعة عبر الإمبراطورية الرومانية. وسريعًا ما طوت أوروبا كلها تحت جناحيها، وعلى هذا أصبحت المسيحية ترى كديانة غربية على الرغم من أنها نشأت أصلاً فى الشرق. لقد نجحت المسيحية فى تحويل الجماهير الرومانية، ولكنها استمرت فى اضطهاد اليهود بسبب رفضهم للتحول للمسيحية. كان كراهية اليهود والتمييز ضدهم، تاريخيًا، السمة المميزة للأصولية المسيحية. وفى سرده للاضطهاد الذى تعرض له اليهود من قبل المسيحيين المتعصبين كتب أبا إيبان فى كتابه «التراث: الحضارة واليهود»، أنه فى عام ١٠١٢م تحول ابن العالم اليهودى البارز، جيرشوم بن يهوذا (٩٦٠-١٠٢٨) « بالإكراه للمسيحية»[٣٧٦]. لم يكن جيرشوم شخصًا عاديًا، كان يحظى بالتبجيل الرفيع لمكانته العلمية وورعه، وكان المجتمع اليهودى الأوسع يطلق عليه اسم شعبى هو «رابينو (حاخامنا). . .»[٣٧٧]. والآن إذا ما أجبر المسيحيون المتعصبون ابن إحدى الشخصيات اليهودية الدينية البارزة على التحول، فإن ذلك من شأنه أن ينبئ العالم شيئًا ما عن مستوى كراهيتهم وعدم تسامحهم مع «الآخر». يشير أبا إيبان إلى صور الثناء على جيرشوم من قبل علماء الدين اليهود البارزين فى الكلمات التالية:

«رابينو جيرشوم، فلينعم عليك بذكرى الصالحين والقديسين، من أضاء عيون المنفى، ومن نعتمد جميعا عليه، والذى يعتبر كل اليهود الأشكناز هم أتباع أتباعه. .»[٣٧٨].

كان للإسلام، الذى كان يبزغ فى الشرق، وجهة نظر أخرى فى اليهود، متسقة مع الوضع الخاص «لأهل الكتاب». طبقا للإسلام، يعد كل المنتمين للإيمان الإبراهيمى، مثل اليهود والمسيحيين والمسلمين هم «أهل كتاب»، وبالتالى فإنهم يستحقون أن يعاملوا بالأحسن، وأن تصان كرامتهم ويمنحوا الحرية الدينية[٣٧٩]. لقد منح أتباع

عيسى وموسى الحرية الدينية الكاملة فى الحضارة الإسلامية، واحترم الإسلام إيمانهم ودياناتهم. قارن بين الاضطهاد الذى ذكرناه آنفًا لليهود وتحولهم القصرى للمسيحية بتعليقات أبا إيبان عن التجربة والحياة اليهودية فى العالم الإسلامى:

قدمت الحياة تحت الحكم العربى «قبل أى شىء آخر، مجالاً واسعًا للطاقات الروحانية المبدعة. كيف يمكننا بخلاف ذلك أن نشرح عُلا الطاقات الإبداعية، وكمال الجمال فى أعمال سولومون بن جابريول، موسى بن عزرا، ويهوذا هاليڤى، وكلهم فى إسپانيا القرنين الحادى والثانى عشر، وفى مصر كان هناك موسى بن ميمون، أو رامبان الذى ولد أيضا فى إسپانيا. وصل اليهود فى بعض المناطق فى الإمبراطورية العربية، إلى قمم روحانية لم يصلوا إليها تحت الحكم المسيحى فى الشتات»[٣٨٠].

يسمى أبا إيبان معاملة الحضارة الإسلامية لليهود فى إسپانيا ومصر الإسلاميتين خلال الفترة من (٩٠٠-١٢٠٠ بعد ميلاد المسيح) «العصر الذهبى لليهود»[٣٨١]. أدى عدم التسامح مع اليهود وممارسة الضغط عليهم من قبل المسيحيين للتحول للمسيحية، إلى جميع أنواع الاضطهاد والتمييز ضد اليهود فى المسيحية - أضف إلى ثقافة الكراهية الدينية السابقة من قبل المسيحيين المتعصبين، الموجة [أو المودة، أى الموضة] الحالية لتشويه الإسلام والمسلمين من قبل دوائر معينة فى الغرب، وستكون لديك وصفة جاهزة الصنع لتبنى أحلام المدافعين عن صراع الحضارات - تمتع اليهود، على الجانب الآخر، لكونهم «أهل كتاب» بالاحترام والحرية الدينية والقبول الاجتماعى فى بلاد المسلمين وازدهرت الحضارة اليهودية هناك.

لم يقتصر الأمر فقط فى المراكز العظيمة للحضارة الإسلامية على الحرية الدينية والقبول الاجتماعى، ولكن أيضًا على الفرص للقفز على السلم الاجتماعى الذى كان متاحًا أمام اليهود، وكانوا قادرين على الوصول لمناصب عليا، وخدمة المجتمع والإسهام فى حل مشاكل مجتمعهم وحضارتهم الخاصة. إن أحد هذه الأمثلة من بين أمثلة كثيرة، هو قصة هاسداى بن شپروت. عين عبد الرحمن الثالث خليفة إسپانيا (٨٩١-٩٦١) هاسداى كطبيب فى بلاطه. معلقًا على النفوذ والمنصب اللذين تمتع بهما هاسداى فى ظل الحكم الإسلامى فى إسپانيا، كتب أبا إيبان:

«كان تصرفه من وجهة نظر التاريخ اليهودى، بعيد المدى . . رفع الخليفة هاسداى بن شپروت، طبيب بلاطه، لمنصب مدير إدارة الضرائب ولدور المستشار الموثوق به والمبعوث الخاص . لقد كان هاسداى هو من أدار المفاوضات الدقيقة التى أفضت إلى إبرام معاهدات السلام مع ليون وناڤار فى نهاية النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى .

تماما مثلما وضع عبد الرحمن نفسه فى مستوى معادل مع خلفاء بغداد ومصر، بتأسيس الحكم السياسى الذاتى لإسپانيا المسلمة، فقد سعى هاسداى بن شپروت بشكل متعمد، كقائد للمجتمع اليهودى فى إسپانيا المسلمة، لإنهاء خضوع اليهود لبابل . لقد عين العالم موسى بن هانوخ (٩٦٥م) حاخام قرطبة الذى رأس الييشيڤا (أكاديمية حاخامية) وقام بكتابة «responsa»، حتى لا يتجه اليهود الإسپان إلى حاخامات الشرق، من أجل الحصول على إجابات على أسئلة عن القانون اليهودى . صادق هاسداى الشعراء وساعد العلماء . كطبيب ممارس، ناصر العلوم والمهن العلمية الأخرى»[٣٨٢].

أسس الإسلام فى نموذجه الخاص بـ«أهل الكتاب»، لمبدأ الاعتراف والاحترام المتبادل تجاه الحضارات الأخرى للإيمان الإبراهيمى . بعد الحرب العالمية الأولى، كان تأسيس عصبة الأمم فكرة الرئيس الأمريكى وودرو ويلسون، ولكن أمريكا لم تستطع أن تحشد الإرادة السياسية للالتحاق بها، مما أدى إلى انهيار المنظمة . ولقد حدث الأمر ذاته مع الأمم المتحدة ـ فحينما تركت الولايات المتحدة منظمة الأمم المتحدة ، أصبحت المنظمة قليلة الحظ و عاجزة عن العمل، وحينما أرادت لها الولايات المتحدة أن تعمل، حدث ذلك . إن هذا أمر حقيقى، وسيظل كذلك؛ لأن الولايات المتحدة هى القوة المسيطرة الوحيدة فى زمننا هذا . فى مساعيها لفهم ديناميات العالم وتحديد مسار عملها فى عصر ما بعد الحرب الباردة، يقدم مفكرو الولايات المتحدة وخبراؤها، العديد من التأويلات للحقيقة والتصورات عن المستقبل .

تدافع الشخصيات الإيڤانجليكية القيادية مثل جيرى فالويل، وپات روبرتسون وأمثالهم عن مثل تلك التصورات من خلال التصريحات المشبعة بكراهية الإسلام والمسلمين . يجب أن يتذكر المسلمون أنهم لا يمثلون العالم المسيحى الغربى برمته،

فهناك أغلبية مسيحية صامتة، عندما يُعدون ردودهم على تلك التصريحات، أن چيرى فالويل وپات روبرتسون وأمثالهما، بما فى ذلك فى الولايات المتحدة، التى تحترم الإسلام وتريد أن تحتفظ بعلاقات جيدة مع المسلمين. يستوجب أخذنا هذه الحقيقة بعين الاعتبار على العالم الإسلامى أن يطور ردًا تعليميًا وعقلانيًا للرد على هؤلاء القادة الإيڤانچليكيين، حيث إن ما يقولونه يوضح نقص معلوماتهم وفهمهم للإسلام. فى حقيقة الأمر، يقود الجهل فيما يخص «الآخر» إلى الخوف، الذى يثمر الشكوك، والشكوك تفضى إلى الكراهية. ولهذا، فبشكل جزئى ساهم فشل المفكرين المسلمين فى الوصول إلى القيادة المسيحية الأصولية فى خوفهم وكراهيتهم للمسلمين والإسلام. يجب على الأقل، على مجموعة مختارة من المفكرين المسلمين (والذين تتوافر فيهم خلفية متعددة المعارف) أن تدرس المسيحية بتركيز خاص على الإيڤانچليكية، والوصول إليهم لإزالة شكوكهم والمفاهيم الخاطئة التى لديهم، وذلك من خلال حوار بناء من الناحيتين النظرية والتطبيقية معًا. فى هذه العملية، سوف يستنير المفكرون المسلمون أيضًا بمعرفة أعمق عن المسيحية، وينبغى أن يشاركوا هذا التنوير مع المجتمع الإسلامى الأكبر. إن التحدى الماثل أمام المسلمين هو الوصول للأغلبية المسيحية الصامتة، وتحديد الطرق والوسائل لتطوير فهم وتعاون أفضل معهم. إن التصور الآخر الذى يتم ترويجه هو صراع وصدام الغرب مع الحضارة الإسلامية، فهناك من تخدم مصالحهم عن طريق مثل هذا النوع من التفسير، كما بيّن هنتنجتون:

« تكمن أسباب تجديد الصراع بين الإسلام والغرب على هذا فى الأسئلة الأساسية المتعلقة بالسلطة والثقافة. من الذى سيحكم؟ من سيأخذ دور المحكوم؟. إن القضية المركزية للسياسة التى قام لينين بتعريفها هى جذور الصراع بين الإسلام والغرب»[٣٨٣].

يستمر هنتنجتون فى القول:

«طالما أن الإسلام سيبقى إسلامًا (وهو ما سيحدث) وأن الغرب سيظل غربًا (وهو ما يحوطه شكوك أكثر)، فسوف يستمر الصراع الأساسى بين الحضارتين العظميين وأساليب الحياة فيهما فى تحديد علاقتهما فى المستقبل، بالطريقة نفسها التى حددها فى الأربعة عشر قرنًا الماضية»[٣٨٤].

حينما قمنا بالتعليق على إطار هنتنجتون فيما سبق، كنا نريد أن ندرك أن هنتنجتون أو فى هذه الحالة أى فرد، له مطلق الحق والحرية لأن ينطق بأفكاره. ولكن قبول حق شخص ما للتعبير عن أفكاره لا يعنى أنه حينما يمارس هذا الحق، فإننا سنقبل نتيجته كأمر مسلم به؛ لأنها قد تكون خاطئة. إن هذا التمييز بين الصواب والخطأ لهو الأمر الحاسم هنا.

لقد اعتقد لينين أن الملكية الخاصة تملى طبيعة توازن القوة فى المجتمع وتحدد: من سيحكم؟ ومن سَيُحكم؟. بالنسبة له، يقود نظام مبنى على الملكية الخاصة إلى الصراع الطبقى بين الطبقة العاملة والبرجوازية. لقد استخدم هذا الإطار القائم على الصراع لتعريف العلاقة بين الشيوعية والرأسمالية التى تقودها الولايات المتحدة. والآن، باستخدام هذا الإطار اللينينى للصراع الطبقى ولغة الحرب، يطور هنتنجتون نموذجه لصراع الحضارات. تم تطوير هذا النموذج ضمن إطار منهجى ماركسى - لينينى - هنتنجتونى. فهو يقوم بتعريف العلاقة بين الإسلام والغرب بنفس الروح والنغمة. لو قبلنا هذا الإطار التحليلى، فإنه بإمكان السيد هنتنجتون وأمثاله إذن، أن يبرروا غدا بعض الصراعات الأخرى، بل وأن يزعزعوا استقرار العالم. على سبيل المثال، باستخدام المنهاج ذاته، غدا، سيقوم أتباعهم بمجادلة أن هتلر قام بتحديد علاقة البشر على أساس العرق واعتقد أن عرق(x) هو الذى يحكم بينما عرق (y) يجب أن يكون محكومًا. باستخدام هذا التحليل الهتلرى للعلاقات عبر - العرقية، قد يحاول بعض الهنتنجتونيين الدفاع عن العلاقات عبر العرقية بين البيض (المسمون الأفضل) والملونين (المسمون ببقية البشر) من خلال الجدل بأنه فى الألفية الجديدة سيحكم الأفضل، ويكون الباقى هم المحكومين. أن نستخدم هذا الإطار التحليلى لتعريف العلاقة بين الأعراق والحضارات وإضفاء الشرعية عليها من خلال تشويه حقائق/ أحداث التاريخ هو ظلم بيّن للفهم العلمى للتاريخ والإنسانية، كما أن له قدرة كامنة على تهديد كل من الكرامة الإنسانية والسلام العالمى. وبشكل مشابه، هناك خطر من وقوع بعض الساذجين فى فخ تطبيق الإطار اللينينى القائم على الصراع، على العلاقة بين الإسلام والغرب فى الألفية الجديدة. من يؤمن بهذا المدخل، مخطئ وغير علمى.

إذا كان ينبغى تعريف العلاقة بين هاتين الحضارتين (الإسلام والغرب)، فإذن هناك طريقة علمية واحدة لفعل ذلك، وذلك من خلال استخدام البنية الواضحة للعلاقات عبر الحضارية فى نظام الاعتقاد فى كلّ من الحضارتين. طالما أننا نتحدث عن العلاقة

بين الحضارة الإسلامية والغرب (المسيحى) ، فإن الإسلام لديه فى نظام الاعتقاد مبدأ واضح وصريح، والذى يمنح كلاً من اليهود والمسيحيين وضع «أهل الكتاب». يعنى الوضع الاعتراف والاحترام الكامل لمعتقدات وهوية أهل الكتاب. من أجل تأسيس علاقة عبر حضارية صحية، ينبغى لكل من المسيحيين والمسلمين أن يعرفوا وجهات نظرهم كل عن الآخر، وبشكل خاص بعد الإفصاح عن نظرية صدام الحضارات وأحداث الحادى عشر من سبتمبر. ستكون مثل هذه الممارسة مساعدة لكلّ من الجماهير العريضة فى كل من الحضارتين، وسوف تصفى الأجواء بالنسبة للشكوك الجديدة التى برزت على نحو غير متوقع فى الأعوام القليلة الماضية.

ولهذا، ففى ضوء منهج الإسلام بالنسبة لأهل الكتاب، تختلف العلاقة بين المسلمين والمسيحيين واليهود كثيراً جداً عن تلك التى أفصح عنها نموذج الماركسية ـ اللينينية ـ الهنتنجتونية. وعلى هذا، فإن صيغة هنتنجتون ، فى هذا السياق، ليست علمية ولا حقيقية، وليست بالتالى صحيحة كمبدأ إرشادى فى مناقشة العلاقات بين الإسلام والغرب فى القرن الواحد والعشرين. مع ذلك، فبروح التعاون وفريق العمل، سيبقى تعريف وطبيعة العلاقة بين الإسلام والغرب غير مكتملة حتى يقوم الغرب نفسه بتحديد رؤيته وتصوره عن هذه العلاقة. ستكون الصورة النهائية التى سيتم الاتفاق عليها واستيعابها من قبل الجميع، تركيبة من هاتين الرؤيتين. سيكون من الأفضل لكل الأطراف المشاركة أن تكون هناك صورة تجمع ما بين كلتا الرؤيتين. يكمن ضعف هنتنجتون فى أنه لم يقدر مبدأ الإسلام فيما يتعلق بأهل الكتاب، ولا قام بتحديد رؤية الغرب أو المسيحية لعلاقته بالإسلام. يستحق هذا الخطأ المنهجى أن يتم تصحيحه من قبل كلّ من المسلمين والغرب. يمكن تقدير نقطة إيجابية واحدة نشأت من أفكار هنتنجتون، هى إدراك أن كلتا الحضارتين تحتاج للتفاعل على المستويين الفكرى والفلسفى كما تم تحديده فى السابق.

من أجل أن نصل بالقضية إلى نتيجتها المنطقية، سنورد فى الحال تعليقًا علميًا على منهجية هنتنجتون فى تحديد العلاقة بين الغرب والإسلام من خلال الادعاء باستخدام الحقائق التاريخية من أجل هذا الغرض. قد يكون المنهج الماركسى ـ اللينينى ـ الهنتنجتونى الخاص بالعلاقات بين الإسلام والغرب قد انتهجه تاريخيون،

منظرون/ ممارسون آخرون، وقد برروه باستخدام الحقائق التاريخية. لا ينبغى أن يندهش المرء لأن يجد فى صندوقهم الأسود الخاص بالتاريخ بعض الحقائق التى قد تشير إلى الصراعات بين الإسلام والغرب. ينبغى على المرء أن يتذكر أن التاريخ يعتمد على الحقائق وتفسيراتها، ولكن قد يختار المؤرخ أن يجمع ويشير فقط إلى نوع من الحقائق التى تؤيد وتدعم تحيزاته، ويتجاهل كل الحقائق الأخرى التى تدحض موقفه. تعليقا على هذا التحيز المنهجى، يقول المؤرخ إدوارد كار :

«قد تكون صورتنا الذهنية منتقاة مسبقًا، وقدرت لنا سلفًا، ليس بقدر كبير من الصدفة، وإنما من قبل بعض الناس الذين تشربوا برؤية معينة، واعتقدوا أن الحقائق التى دعمت هذه الرؤية كانت تستحق الاحتفاظ بها»(٣٨٥).

تظهر تلك الحقيقة حينما نرى من يحبون الترويج لفكرة الصراع بين العالم الإسلامى والغرب ويقدمون فقط الحقائق والتفسيرات من التاريخ التى تدعم موقفهم.

كان لكار قول أخير فى هذا التحيز :

«كان من المعتاد القول إن الحقائق تتحدث عن نفسها. إن هذا، بالطبع، غير صحيح. الحقائق تتحدث فقط حينما يقوم المؤرخ باستدعائها. إنه هو الذى يقرر أى الحقائق يمنحها المستوى الأدنى، وبأى ترتيب أو سياق. لقد كان، كما أعتقد، أحد شخصيات پيراندللو هو القائل أن الحقيقة هى مثل كيس لن يقف معتدلاً إلا حينما تضع فيه شيئًا ما»(٣٨٦).

إذا ما قمنا فقط بنقد هنتنجتون والمستشرقين بسبب الرؤية المشوهة لإحدى الحضارتين عن الأخرى، فسوف نفقد بهذا المنهج موضوعية النقاش. لقد ساهمت الثقافة الإسلامية التقليدية حول المسيحية والغرب بنصيب عادل لإدراك المسلمين السلبى بشأن الغرب. كانت التجربة الاستعمارية، والظلم الفادح الذى صاحبها، والمآسى الناتجة عنها، بالإضافة إلى الحملات الهجومية للحملات التبشيرية المسيحية فى بلاد المسلمين لتحويل المواطنين المحليين إلى الديانة المسيحية، كلها كانت مأساوية للغاية وبغيضة لدرجة أن السكان المحليين لم يكونوا بحاجة لإقناع إضافى ليخبرهم كيف تم معاملتهم بشكل سيئ على يد المستعمرين. عبر القائد الكينى جوموكنياتا، عن

استيـاء المواطنين المحليـين بقـوله إنه عند مـجيء الرجل الأبيض، كـان ذلك الرجل الأبيض يمتلك الكتاب المقدس، وكـان السكان المحليون يمتلكون الأرض. الآن يملك السكان المحليون الكتاب المقدس والرجل الأبيض أصبح يمتلك أراضيهم.

ولهذا فإن الهجوم ذا الشعبتين الذى شنه الاستعماريون والذى استهدف كلاً من الاقتصاد والمعتقد الخاص بالتابعين المُستعمَرين قد استدعى بشكل طبيعى رد فعلهم. استجاب العلماء الإسلاميون التقليديون بتحذير رفقائهم المسلمين من مذهب «الثالوث» المسيحى فى مقابل «وحدانية» الله (التوحيد) فى الإسلام. لقد كان ذلك الأمر يمثل جدلاً فكريًا حول القضايا اللاهوتية فى كلتا الديانتين، وكان أمرًا لازمًا. على الرغم من ذلك ظهرت المشكلة حينما بقى فهم المسلمين لما يتعلق بالمسيحية والغرب مقصورًا على هذه القضية المحدودة فقط، ولم تتوسع أكثر من ذلك لتتضمن مظاهر أخرى من الثقافة المسيحية والغربية، والحضارة، وأنظمة الحياة والحكم. ولهذا، فإن الجدال العنيف أصبح مسيطرًا فى كل حضارة حول رؤية كل منهما «للآخر». بالرغم من أنه فى كلتا الحضارتين كانت هناك أقلية صغيرة أكثر حصولاً على المعلومات عن «الآخر»، وكان لها رؤية متوازنة عنه، فقد بقيت هذه المجموعة صغيرة محصورة، ولم تكن قادرة على أن يكون لها أى تأثير مهم فيما يتعلق بتحدى الجدال العنيف، حيث إن الجماهير، التى توافرت لديها معلومات قليلة عن الحقيقة، قد وقعت تحت سيطرة الكراهية والحكايات المرعبة ـ التى كانت الغرض الوحيد من واضعى خطة الجدال العنيف.

تصادفت بداية فترة ما بعد الاستعمار مع بداية الحرب الباردة، والأغلبية الواسعة للعلماء المسلمين والدول الإسلامية وقفت بجانب الولايات المتحدة فى الصراع ضد الشيوعية. لقد استمرت شراكتهم مع الولايات المتحدة فى هذا السياق خلال فترة الحرب الباردة. مثل چيرى فالويل[٣٨٧]، اتخذ العلماء المسلمون موقفًا يفيد بأن الشيوعية هى تفسير مادى للحياة حيث نفت كل الأديان والله، ولهذا فإنه ينبغى معارضتها من قبل الإسلام والمسلمين، وعلى هذا الأساس لم تقم المملكة العربية السعودية بتأسيس أى روابط دبلوماسية مع الاتحاد السوڤيتى، واشتركت پاكستان مع الولايات المتحدة فى تطويق الأرض الشيوعية من خلال الالتحاق بالتحالفين

العسكريين الاستراتيجيين «سياتو»[٣٨٨] و«سينتو»[٣٨٩]. كان ذلك من الأسباب الرئيسية وراء قيام الاتحاد السوفييتى بوضع باكستان فى قائمة الدول التى تنوى ضربها عسكريًا. وحينما غزا الاتحاد السوفييتى السابق أفغانستان، كانت باكستان المحطة التالية للجيش الأحمر. لعبت الهند على الجانب الآخر بورقة حركة عدم الانحياز ودعمت الغزو السوفييتى لأفغانستان، وبرغم ذلك اكتسبت صداقة كلٍّ من واشنطن وروسيا فى فترة الحرب الباردة. وبمجرد انتهاء الحرب الباردة، كان المفكرون الغربيون والصناعات الدفاعية تتطلع لخصم جديد، كان الإسلام والمسلمون يعتلون قمة قائمتهم الخاصة بأعداء الغرب المحتملين. بدلاً من لوم العلماء الأمريكيين بسبب الإشارة بإصبع الاتهام إلى الإسلام، سوف نجادل بأن المسلمين مسئولون أيضًا عن هذا السلوك من جانب أهل الفكر الأمريكيين.

وخلال فترة الحرب الباردة أيدت الحكومات المسلمة والعلماء المسلمون الموقف المعادى للشيوعية للإدارات الأمريكية المتعاقبة، ولكنهم تجاهلوا تمامًا الحاجة لإشراك أمريكا فى توضيح تصور مشترك ومتبادل يحقق النفع لعالم ما بعد الشيوعية. لم يتخذوا فى هذا المنحى أى جهود جادة لتأسيس المنتديات من أجل قنوات هادفة للاتصال من أجل توليد الأفكار مع المثقفين الأمريكيين وجماعات الضغط الأخرى المتنوعة فى المجتمع الأمريكى التى كانت تشكل ـ بفعالية ـ الرأى العام الأمريكى ضد الشيوعية على مستوى القاعدة العريضة من الشعب. لم يقم المفكرون المسلمون ولا دوائر صنع السياسة المسلمة بتوضيح رؤية مشتركة للعالم (بحيث تكون قائمة على المصالح المشتركة والمتبادلة) فى عصر ما بعد الحرب الباردة. لم يقم العالم الإسلامى خلال الحرب الباردة بأية جهود جادة لتحديد طبيعة علاقته على أساس حضارى بالغرب بشكل عام، وبالولايات المتحدة بشكل خاص.

كانت العلاقة برمتها بين العالم الإسلامى والولايات المتحدة خلال الحرب الباردة، جملة وتفصيلاً، مثل زواج المصلحة، أو بشكل أكثر صراحة «مثل مشاركة ليلة واحدة». وبمجرد انتهاء الليلة، لم يكن هناك التزام طويل الأجل من أجل مستقبل مشترك قادم. أكثر أجزاء هذه الملحمة مدعاة للندم كان لامبالاة العلماء والمفكرين المسلمين ببناء شبكات تواصل مع المفكرين ورجال الإعلام والنشطاء الأمريكيين الذين

كانوا مندمجين فى تعبئة الرأى العام المحلى والعالمى ضد الشيوعية، وصناع الرأى العام الآخرين.

كانت هذه اللامبالاة من جانب العلماء المسلمين والحكومات الإسلامية باتجاه صناع الرأى العام الأمريكى وشبكاتهم أمرًا طبيعيًا. لقد كان لديهم معرفة ضئيلة بالديمقراطية الأمريكية. كانت فكرتهم الأساسية أن الحكومة الأمريكية قد عملت بالطريقة ذاتها التى عملت بها حكوماتهم. فى نظمهم السياسية (والتى تفتقر معظمها للديمقراطية) كان الحكّام هم الوحيدين الذين لديهم السلطة الشاملة لصنع كل القرارات. قرر الحكام المسلمون دائمًا السياسات بينما عملت كل مؤسسات النظام على تنفيذ تلك السياسات. لم يكن مسموحًا للجماهير فى أغلب الدول الإسلامية بمناقشة القرارات المتعلقة بالسياسات ولا كان لهم أى دور فى تشكيلها أو تنفيذها. لقد كان دورهم الوحيد هو الاستسلام والخضوع لإرادة من فى السلطة. ولهذا لم يشكل صانعو الرأى العام الأمريكى أية أهمية لهم. بالنسبة لهم، كان كل ما يهم هو البيت الأبيض، ووزارة الخارجية ومستشار الأمن القومى، وكبار الضباط العسكريين للولايات المتحدة.. إلخ. وبمجرد انهيار الستار الحديدى، تغيرت أولويات صناع السياسة الأمريكية. سقط إلى القاع العديد من الدول الإسلامية التى كان لها خلال الحرب الباردة أهمية استراتيجية عسكرية عليا للولايات المتحدة، وسرعان ما أصبحت إما متجاهلة أو منسية، أو أصبحت تُرى كمصدر للتهديد. وهؤلاء الذين أصبحوا يعدون كمصادر تهديد، أصبح من اللازم احتواؤهم. باكستان هى إحدى تلك الدول التى أصبح من اللازم احتواؤها فى الفكر الأمريكى فى فترة ما بعد الحرب الباردة. كان ذلك أمرًا مدعاة للسخرية؛ لأن باكستان هى التى قد وقفت فى عقد الستينيات من القرن العشرين بجانب الولايات المتحدة فى مواجهة الشيوعية وقدمت حتى أراضيها للقواعد العسكرية الأمريكية، مكتسبة عداء الاتحاد السوفييتى. ومرة أخرى، كانت باكستان هى التى وقفت بجانب الولايات المتحدة ضد الغزوالسوفييتى لأفغانستان. على الرغم من ذلك، كانت باكستان هى التى عوملت بجفاء، بل وعانت من العقوبات على يدى واشنطن.

شوهت علاقات الحب ـ الكراهية التى أسستها واشنطن مع پاكستان والسياسات الأمريكية الناجمة عنها صورة أمريكا بين الجماهير الپاكستانية، الذين كان لديهم معلومات ضئيلة عن الطريقة التى يعمل بها النظام الأمريكى. إنهم حتى غير مدركين أمر فشل نخبتهم الحاكمة فى إشراك أمريكا فى علاقة بناءة ضمن إطار الديمقراطية الليبرالية الأمريكية، التى تشكل السياسة الخارجية الأمريكية. لقد استغل هذا الوضع من قبل عناصر خارجية لها أچندة عالمية لممارسة العنف والإرهاب. على الرغم من ذلك فلا يمكن إنكار حقيقة أن هناك عاملاً مهمًا فى هذا التغيير السريع للمزاج فى واشنطن، وهو الغياب الكامل لأى حوار فكرى، والذى كان من الممكن بشكل مقنع أن يؤسس لرؤية مشتركة للعالم يشترك فيها كل من الدولتين (پاكستان وأمريكا) فى المسألة النووية. إن هناك طرقًا لتعريف وتحديد وتوضيح وتأسيس وتقوية الالتزام برؤية مشتركة بين الدول، وخاصة مع الولايات المتحدة. إن هذا كان فشلاً سيئ الطالع من جانب پاكستان، كان من الممكن تجنبه.

ولهذا، فإن عدم قدرة العالم الإسلامى على العمل من خلال العملية الديمقراطية والهيكل الخاص بالحكومة والمجتمع الأمريكى، وتحديد رؤية مشتركة للعالم بشكل متسق مع الأهداف المشتركة مع مختلف جماعات صنع الرأى العام فى الولايات المتحدة (بغض النظر عن ميولها الديمقراطية أو الجمهورية أو المسيحية أو الليبرالية) كان بداية نهاية العلاقة الحميمة مع الولايات المتحدة لما يقرب من نصف قرن إبان فترة الحرب الباردة.

أسست بعض الدول الإسلامية المنتجة للبترول علاقاتها برمتها مع الولايات المتحدة على أساس افتراض أن الولايات المتحدة تحتاج لصداقتها بسبب البترول. وفى هذا خداع للذات. إنهم ينسون فى الوضع الحالى، أن قوة عظمى مثل الولايات المتحدة تكره أن ترى كرهينة للبترول، حيث إن لديها الطرق والوسائل للوصول إلى البترول. على تلك الدول البترولية الغنية أن تفكر مجددًا بشكل جاد بشأن سياستها الخارجية تجاه الولايات المتحدة، حيث سيتوجب عليها أن توضح رؤية مشتركة مع الولايات المتحدة بخلاف نموذج الاعتماد على البترول. وإذا أردنا التحدث بشكل صريح، يبدو أن اعتماد الولايات المتحدة على بترول الشرق الأوسط بات يرى بوصفه ضعفا فى المجتمع الأمريكى. لا توجد قوة عظمى عاقلة تحب أن تعتمد بشكل دائم على الدول الأجنبية

فى مثل هذا المورد الاستراتيجى. وعلى هذا، فإن البترول الذى ينظر إليه بعض صانعى السياسة العرب بوصفه الأساس للعلاقات الاستراتيجية بين العرب وواشنطن، ليس بفكرة إيجابية فى عيون الرأى العام الأمريكى. و بخلاف ذلك، فإنه لا يكاد يكون هناك على المستوى الشعبى أية أفكار، أو تصورات للعالم، ورؤية بناءة لمستقبل العالم. .إلخ، تكون عامة بين العديد من الشعوب الإسلامية وشعب ومفكرى الولايات المتحدة، والتى يمكن أن يتطلع إليها صناع الرأى العام الأمريكى فى بناء مستقبل مشترك والمشاركة فى جهوده وثماره.

يمثل هذا النقص فى الرؤية المشتركة طويلة الأجل، السبب الحقيقى لفقدان اهتمام صناع القرار فى الولايات المتحدة بالعالم الإسلامى، بشكل عام، فيما عدا بعض الاستثناءات المنفردة. بعد الحادى عشر من سبتمبر، كان قرار حكومة مشرف بتأييد أمريكا فى العمليات ضد الإرهابيين قد جعل من باكستان بشكل مفاجئ حليفًا لأمريكا - فى الحرب ضد الإرهاب. السؤال التريليون دولار هنا، هو أنه فى خلال سنوات قليلة حينما تنتهى الحرب، وتعود الأمور لطبيعتها، هل سيعود وضع باكستان مرة أخرى لما كان عليه قبل الحادى عشر من سبتمبر؟ أم سيتحسن؟ ليس علينا الاستعانة بقارئى الطالع للبحث عن جواب لهذا السؤال ، حيث إننا نعرف من هذه المناقشة أن الأمر كله يعتمد على نجاح البلدين فى الإعلان عن تصور مشترك عام للعالم فى مرحلة ما بعد الإرهاب.

ينبغى أن تتم دراسة تلك القضايا بشكل موضوعى لتطوير خطط وبرامج اجتماعية أطول أجلا، حيث يتم تبادل مستمر لوجهات النظر بين الأقسام المختلفة لكلتا الحضارتين للمشاركة فى تطوير تصور مشترك لمستقبل العالم من خلال النقاش المتبادل والتعاون المنتظم المستمر باتجاه تلك الغايات. سيكون من غير الواقعى افتراض أن الكثير من الحكومات المعاصرة للدول الإسلامية يمكن أن تقوم بهذا العمل. من يعتقد فى إمكانية إنجاز هذه الأمور فى نطاق الوضع الحالى للمجتمعات الإسلامية، ينقصه إدراك التحدى القائم بشأن التفاعل عبر الحضارى. قد يجادل البعض بأن الحوار المشترك عبر الحضارى أمر ضرورى ولكنه ليس كافيًا. حتى لإدارة حوار عبر حضارى ذى مغزى، فإنك تحتاج لعقل متفتح وللصبر والنضوج الفكرى لقبول وتقدير آراء الغير

حينما ينتقدونك بشكل صادق. الأكثر من ذلك، أنك نفسك تحتاج لأن تطور القوة المعنوية لتقدير ما هو جيد فيما يتعلق بـ «الآخر» وأن تكون قادراً وراغبًا فى تصحيح أخطائك الخاصة و«آثامك» وبشكل غير متحفظ وصريح. ولهذا، بإيجاز كلى، لكى نكون طرفًا مؤهلاً للتنافس للحوار عبر الحضارى، فإن هناك متطلبات تتلخص فى الجدارة، والصبر والتسامح، وأخيراً الالتزام بقواعد اللعبة. وفى الحقيقة، تلك الشروط المسبقة ذاتها هى نتيجة ثانوية للديمقراطية الحقيقية، الأصيلة والمعاشة والمزدهرة. إن الدول التى تتحقق فيها هذه الشروط، للأسف، هى الاستثناء وليس القاعدة فى العالم الإسلامى المعاصر. كما قلت، الحوار عبر الحضارى هو مجرد ساق واحدة حينما نريد العالم أن يقدر «موقفنا» فى علاقة عبر حضارية، ولكن تذكر أنك لا تستطيع أن تقف على ساق واحدة طويلاً. ولهذا، يحتاج الحوار عبر الحضارى لأن يتوازن بشكل فورى بعوامل أخرى. تستحق مناقشة مفصلة لهذا الموضوع معالجة شاملة منفصلة ستكون فى وقت لاحق.

* * *

الفصل الثالث عشر

إن الشيء الوحيد الذى ينبغى أن نخافه هو الخوف نفسه[٣٩٠]

يبدو اليمين المسيحى واثقًا بشأن الشخصيات والأحداث وتوقيت ظهورها، تلك الأمور التى سوف تؤدى للمجىء الثانى للمسيح. قدم المتأولون كل تنبؤاتهم حول الأحداث المستقبلة ودور الشخصيات المختلفة فيها بشكل مطلق التأكيد، لدرجة يبدو معها أن لديهم معرفة تامة بالمستقبل. لقد ثبت بشكل تاريخى، أن هذا المنهج يتتابه الخلل، حيث إن تنبؤاتهم فشلت فى موافقة الواقع، وهذه بعض الأمثلة على ذلك بدءًا من مؤسس البروتستانتية:

١ ـ أعلن مارتن لوثر أن الكنيسة الكاثوليكية هى المسيح الدجال[٣٩١].

٢ ـ فى وقت استقلال أمريكا، كان للأمريكيين تقليد قديم بالنظر إلى البابا بوصفه المسيح الدجال[٣٩٢][*].

٣ ـ الرسول محمد ﷺ كان يُنعت أيضًا بالمسيح الدجال[٣٩٣][**].

٤ ـ بعد تمرير قانون التمغة[***] (١٧٦٥م) السيئ السمعة قدمت القصائد والأغانى الوطنية مرتكبى الجرائم، اللوردات بوتيك وجرينڤايل ونورث بوصفهم تابعى إبليس، الذين كانوا يتآمرون لإغراء الأمريكيين للدخول فى مملكة الشيطان الخالدة. وصف هذا القانون بأنه «علامة الحيوان» الذى، طبقًا لكتاب سفر الرؤيا، سوف ينقش على الملعونين فى الآخرة»[٣٩٤].

(*) لذا كان هناك عيد «يوم البابا ـ Popés Day» وهو الخامس من نوفمبر، وفيه كان المتعصبون يحرقون صور البابا ـ المترجمة.

(**) اقرأ كتاب چورچ بوش: الصارد فى منتصف القرن التاسع عشر «**محمد: مؤسس الإمبراطورية الإسلامية**» ـ المترجمة.

(***) قانون بريطانى صدر عام ١٧٦٥م بفرض التمغة على المستندات القانونية وبعض المواد المطبوعة فى المستعمرات بشمال أمريكا ـ المترجمة.

٥ ـ «فى عام ١٧٧٤م أصبح الملك چورچ الثالث المسيح الدجال، حينما منح الحرية الدينية للفرنسيين الكاثوليك فى المقاطعة الكندية التى غزتها انجلترا خلال حرب السبعة أعوام»[٣٩٥].

٦ ـ لقد رأى الأصوليون مؤسسات صنع السلام مثل عصبة الأمم، والأمم المتحدة. . إلخ، كشر مطلق و« . . . مقر المسيح الدجال، الذى قال القديس بولس عنه إنه سيكون كاذبًا مُصدقًا من الناس، وسوف يشمل الجميع بخداعه»[٣٩٦]. وعلى هذا فليس لدى الأصوليين أى تقدير للمؤسسات الدولية العاملة فى صنع السلام والساعية نحو العدالة، حيث إنهم يعتقدون أن «المسيح الدجال نفسه يمكن أن يكون أشبه بصانع سلام»[٣٩٧].

٧ ـ فى نهاية عقد الثمانينيات من القرن العشرين، تنبأ هال ليندسى ـ أحد كبار بائعى تأويل التنبؤات ـ أن رئيس المجموعة الاقتصادية الأوروبية (والتى أصبحت الآن الاتحاد الأوروبى) قد يكون هو المسيح الدجال[٣٩٨].

٨ ـ وعندما أشعلت الثورة الإيرانية عام ١٩٧٨م والغزو السوڤييتى لأفغانستان الحرب الباردة، أثار چيرى فالويل فى كتيبه المنشور عام ١٩٨٠م تحت عنوان «هرماجدون والحرب القادمة مع روسيا» المخاوف بقدر أكثر بدق أجراس الإنذار « . . . سوف يعجل الغزو الروسى لإسرائيل من الحرب النووية وحرب هرماجدون، والتى سيتم فيها تدمير العالم»[٣٩٩]. أخذًا بهذه الإشارة، اقترح پات روبرتسون الذى لم يرغب أن يتخلف عن السباق لبدء هرماجدون، فى «نشرة نادى السبعمائة» أن الحرب الهائلة سوف تنشب مع خريف عام ١٩٨٢م»[٤٠٠]. من الطريف معرفة أن العالم المسيحى عبر القرون أصبح معتاداً على مثل تلك الإنذارات الكاذبة. يمنحنا هذا الأمل والثقة فى الوصول إلى الجماهير الأمريكية والعمل معها من أجل مستقبل مشترك أفضل للجميع.

٩ ـ كان الأصوليون الأمريكيون المسيحيون على رأس المساندين لسياسة الفصل العنصرى فى جنوب أفريقيا. إنهم لم يدعموا فقط نظام الفصل العنصرى، ولكنهم استخدموا تأويلات ومجادلات الكتاب المقدس فى تبريره. أشار تشيدستر، لبعضها فيما يلى[٤٠١]:

(أ) «أشاد جيرى فالويل كزائر متكرر خلال عقد الثمانينيات، بجنوب أفريقيا بوصفها «دولة مسيحية»، حيث تدعم فيها حقوق الإنسان، وهو حق الذين لم يولدوا بعد؛ لأن الإجهاض كان عملاً غير قانونى».

(ب) «فى دفاعه عن نظام الفصل العنصرى، انتقد جيرى فالويل بشدة أسقف الكنيسة الأنجليكية والحائز على جائزة نوبل للسلام ديسموند توتو، والمعروف بمعاداته لنظام الفصل العنصرى، ونعته فالويل بـ«المحتال».

(ج) «طبقا لأحد المنشورات المسيحية المحافظة فى الولايات المتحدة، والتى تسمى (سجل أهداف حماية الأسرة)، جاء ما يلى: مجال القيم الأسرية التقليدية، وضعت جنوب أفريقيا أمريكا فى وضع مخز»، لأنه لا يوجد فى جنوب أفريقيا إجهاض، أو إباحية، أو مساجلات حول حقوق النساء أو فصل دستورى بين الكنيسة والدولة، أو علمانية مناصرة للمذهب الإنسانى، والتى أدت كلها - زعمًا - إلى انقراض «القيم الأسرية» المسيحية فى الولايات المتحدة».

(د) «أشاد أيضا الإنجيلى المحافظ جيمى سواجارت بجنوب أفريقيا «كدولة إلهية» تقف على الخطوط الأمامية للمعركة بين المسيح الدجال الشيوعى و«الحضارة المسيحية» الممثلة فى الأقلية البيضاء الحاكمة».

(هـ) استشهد مارتن لوثر، القس الألمانى ومؤسس الحركة الإصلاحية البروتستانتية، بالكتاب المقدس فى تدعيم مؤسسة العبودية. لقد جادل بأن «. . . فى الواقع، أيد الكتاب المقدس العبودية. امتلك كل البطارقة وأنبياء العهد القديم عبيدًا، كما ناشد بولس حوارى العهد الجديد العبيد بقبول وضعهم»[٤٠٢].

(و) فى مقابلة شخصية أدارتها شبكة التليفزيون الأمريكى سى. بى. إس. والمذاعة فى السادس من أكتوبر ٢٠٠٣م، فى برنامجه «٦٠ دقيقة» نعت السيد فالويل الرسول محمدًا بالإرهابى. لقد جلبت ملاحظته تلك الإدانة القوية عبر العالم وأشعلت الاعتراضات العنيفة فى بعض الدول[٤٠٣].

(ز) بعد تعليقات چيرى فالويل السابقة حول الرسول محمد ﷺ، قال پات روبرتسون متحدثًا لشبكة الإذاعة المسيحية الخاصة به، «ما يريد أن يفعله المسلمون باليهود أكثر سوءًا من المذابح الجماعية»[٤٠٤].

(ح) رافضا أن يتخلف عن سباق القدح هذا، نعت جيمى سواجارت وهو أصولى إيڤانجليكى آخر، الرسول محمداً ﷺ بأنه «منحرف جنسيّا» وطالب «بطرد» الطلاب المسلمين من الولايات المتحدة(٤٠٥).

جاء النقد اللاذع السابق من جانب السيد فالويل فيما يخص الإسلام، قُبيل انتخابات الكونجرس النصفية فى نوڤمبر عام ٢٠٠٢م بأسابيع قليلة. يعجب المرء للسبب وراء اختيار شبكة سى. بى. أس. لهذا الوقت الحساس لعقد مقابلة مع قائد معروف بكراهيته للمسلمين والإسلام. هل كان اختيار التوقيت مقصوداً منه أن يتصادف مع وقت الانتخابات لتنشيط الناخبين الأصوليين وتزويد المتطوعين والمتعاطفين مع هؤلاء المرشحين أو الجماعات بالطاقة، تلك الجماعات التى رأت الانتخابات كاستفتاء للشعب فى مسألة حرب العراق؟ قبل أن أعلق على قدح السيد فالويل، فإن المرء ليندهش بالحكمة التى يمثلها توقيت المقابلة الشخصية التى قامت بها هذه الشبكة الإخبارية الرائدة والمسئولة، والتى يرجع لها الفضل فى إفشاء قصة معتقل أبوغريب.

استجابت إدارة بوش لتعليقات فالويل من خلال إدانة من وزير الخارجية كولن پاول، ولكن هذه الإدانة جاءت فقط بعد انتخابات الكونجرس. خلق هذا التأخير انطباعًا بأن الإدارة قد باتت رهينة لبنك الأصوات الانتخابية الأصولية، حيث إن الإدانة الفورية من الإدارة كانت ستسبب خسارة الأصوات فى الانتخابات. يظهر هذا سيادة الحركة الأصولية المسيحية فى التلاعب بالنظام الديمقراطى الليبرالى للولايات المتحدة، متضمنًا ذلك وسائل إعلامه الخاصة المستقلة.

(ط) هناك شعور عام عبر العالم الإسلامى بأن الدعم غير المشروط للأصوليين المسيحيين هو الذى يقوى أكثر من سلوك المتشددين الإسرائيليين وموقفهم فى عملية السلام، وهو السبب الرئيسى وراء تقلص أى نتائج ذات مغزى وملموسة فى هذا الموضوع حتى الآن. ولسوء الحظ، ليس هناك فهم عميق [أو حتى بسيط لدى المسلمين] للأسباب التى تكمن وراء التزام الأصوليين المسيحيين بإسرائيل. فى حقيقة الأمر، يهتم الأصوليون المسيحيون (المتمون لمرحلة ما بعد الألفية) فقط بأمر واحد:

تأسيس مملكة الله على الأرض. سيستهلها المسيح من أورشاليم عند مجيئه الثانى قرب نهاية الزمان. ولكن ذلك سيحدث فقط مع معركة هرماجدون. «. . . إن إسرائيل تعد مادة محفزة لأحداث نهاية الزمان» ولهذا فهم يؤمنون بأن(٤٠٦):

١ ـ «. . . حتى أكثر الحروب تدميرا هى جزء من خطة الله»(٤٠٧).

٢ ـ «. . تخدم الصراعات المستمرة فى الشرق الأوسط كعلامات مؤكدة على عودة المسيح الوشيكة»(٤٠٨).

٣ ـ «حينما يتعلق الأمر بتشكيل السياسة الخارجية، فإن هؤلاء الذين ينتمون لليمين المسيحى الجديد يعتبرون الدعم الأمريكى لإسرائيل مطلبًا مطلقًا»(٤٠٩).

٤ ـ يؤمنون بأن إسرائيل سوف تعانى بشكل كبير فى معركة هرماجدون، ولكنها ستنجو «. . . وسوف تُسترد، حيث سيتحول اليهود المتبقون إلى المسيحية»(٤١٠).

ولهذا ففى نهاية الزمان سيعانى اليهود من خسائر ضخمة فى كل من الرجال والموارد. إن المأساة ستكون فادحة للغاية لدرجة أن اليهود، فى صراعهم للبقاء، سوف يتحولون إلى المسيحية.

٥ ـ « ولهذا، على الرغم من أن اليهود يعتبرون الشعب المختار، فإنهم يعدون أيضًا كأتباع ديانة غير مكتملة وغير مثالية، حيث إنهم يرفضون الاعتراف بعيسى على أنه المسيح(٤١١)».

يتجذر الدعم والحب الأصولى المسيحى لإسرائيل، فى اعتقاد قوى بأن اليهودية هى ديانة غير مكتملة، وأن ظروف قاسية سوف تخلق قريبًا، مما يجبر اليهود على التخلى عن ديانتهم واعتناق المسيحية.

ونتيجة لذلك، فإن انتباههم وطاقاتهم من حين لآخر ستتركز أكثر على تحديد السيناريوهات التى ستؤدى إلى احتمالات أعلى لحرب عالمية فى منطقة الشرق الأوسط أكثر من رغبتهم فى سلام دائم. حيث إنهم يعتقدون أن اليهودية هى ديانة غير مكتملة، ففى بعض المناسبات يدلون بتصريحات معادية، منها ما يلى:

١ ـ إعلان المبجَل [القس] بيلى سميث، الرئيس الأصولى لمؤتمر المعمدانيين الجنوبيين، «أن الله واسع المقدرة لا يستمع لصلوات يهودى»(٤١٢).

٢ ـ قال جيرى فالويل ذات مرة إن اليهودى «يمكن أن يصنع أموالاً أكثر عن طريق المصادفة أكثر مما يمكنك أن تجمعه قصداً»(٤١٣).

٣ ـ «تذهب الخصومة أعمق من ذلك فى بعض الحالات، كاشفة عن قولبة نمطية طويلة الأمد، واستياء دينى فاسد. ولهذا يصف تيم لاهاى اليهود بأنهم قاتلو المسيح. يكتب لاهاى (إن اليهود رفضوا ابن الله، صائحين «اصلبوه، اصلبوه! . . . »)(٤١٤).

بالنظر إلى القائمة السابقة ـ غير الشاملة ـ لشخصيات المسيح الدجال، فإن المرء يقع فى حيرة، حيث يتساءل لماذا يكون البابا أو مارتن لوثر هما المسيح الدجال، حيث إن كليهما مؤمن عظيم برسالة ومهمة المسيح. يعترف الإسلام بنبوة عيسى ورسالته وإنجيله(*)، بالولادة العذرية للمسيح. كانت هناك بالطبع أوقات متوترة بين الكاثوليك والپروتستانت، بين المسيحيين والمسلمين، وفى سخونة اللحظة قد تخرج الأشياء عن نطاقها، ولكن أن نعلن على هذا الأساس هذه الشخصيات بوصفها المسيح الدجال هو أمر لن يكون له أى تأثير سوى مساعدة قضية المسيح الدجال. إذا سمح لهذه الذهنية بأن تستمر وتنمو، إذن فمن المؤكد أن ينجم عنها نتائج غير مرغوب فيها، كما دافع عنها هنتنجتون، وكما صرح فرانكلين د. روزفلت فى خطبة تنصيبه الأولى: «إن الشىء الوحيد الذى ينبغى أن نخافه هو الخوف ذاته»(٤١٥). لقد كان روزفلت يعلق على خوف أعضاء المجتمع الذين كانوا مترددين فى الإنفاق والاستثمار بسبب الخوف من الكساد العظيم الذى غمر الاقتصاد الأمريكى، وبالتالى منع الأعمال الاقتصادية للمجتمع من استغلال إمكانيات الاقتصاد الكامنة. تتكرر القصة ذاتها ثانية، ولكن هذه المرة فى سياق العلاقات القائمة بين الحضارات. بسبب بعض التجارب البغيضة، يخاف اليهود والمسيحيون والمسلمون من بعضهم البعض. هذا الخوف مع مجىء رسل الأقدار المشئومة مثل هنتنجتون من خلال نموذجه صدام الحضارات. يمثل هنتنجتون لمناخ التبادل الحضارى مثلما كان كارل ماركس يمثل لمناخ السوق. لقد تنبأ ماركس بأن اقتصاد السوق سوف ينهار بفضل صراع الطبقات ـ وفعل هنتنجتون الأمر ذاته بالحضارة الإنسانية. ولكن روزفلت أمسك بزمام الأمور حينما قدم «اتفاقيته الجديدة»

(*) يفهم من بعض آيات القرآن الكريم أن الإنجيل لم يحفظ كما أنزل على عيسى، وتدخل فيه البشر بالحذف والإضافة، وهذا ما يقوله أيضاً علماء اللاهوت ـ المترجمة.

بالإيمان الكامل بالرغبة الإنسانية للنجاح والابتكار والعمل الجماعى من أجل دافع الربح. ربما نحتاج نحن أيضًا أن نبدأ «اتفاقية جديدة» فى العلاقات القائمة بين الحضارتين من خلال إيماننا بالرغبة الإنسانية فى السلام والازدهار والمستقبل الأفضل لأطفالنا. ولكن هل هناك من يضع التصورات مثل روزفلت فى مراكز القوى؟ أم أن العالم يحكمه الآن أنبياء الموت مثل هنتنجتون وأسامة بن لادن وأتباعهما؟ ولهذا، فإن السؤال الماثل أمامنا اليوم هو: هل نحن مستعدون لأن نخضع للخوف من الخوف؟

إن هذا يتطلب منا أيضًا التفكير فى زعماء العالم. هل هم، مثل روزفلت، مؤمنون بالرغبة الإنسانية فى السلام والازدهار؟ أم أنهم يؤمنون بالنظرية التى يدفع بها هنتنجتون (فى كتابه الأخير) القائلة بأن الناس يحبون أن يكرهوا الآخر؟[٤١٦].

* * *

الفصل الرابع عشر

«الصدام» فى مواجهة التطور الخلاق

تظهر نتائج هذه الدراسة أن الأصولية المسيحية أصبحت مع بزوغ فجر الألفية الجديدة قوة مسيطرة فى ساحة السياسة الأمريكية. لم يحدث ذلك فى ليلة واحدة. إنه، فى الحقيقة، نتيجة لصراع طويل من قبل الحركة الأصولية المسيحية فى الولايات المتحدة. إذا ما تحدثنا من منظور تاريخى، سنجد أن الحركة الأصولية المسيحية هى أكثر قدمًا وأكثر نشاطًا وقوة من الحركة الإسلامية الأصولية المعاصرة، ولكن بفضل جهل العلماء المسلمين ووسائل الإعلام بهذه الحقيقة، فإن العكس كان دائمًا ما يروج له وأصبح العالم الإسلامى مؤمنًا بأقوال العلماء الغربيين التى تؤكد الحقيقة المعكوسة. فى حقيقة الأمر، أنه فى العشرينيات من القرن العشرين، بينما كان مصطفى كمال يقوم بعولمة تركيا، كان الأصوليون المسيحيون قد نجحوا بالفعل فى خلط السياسة بالدين، وقاموا بتحويل التشريع فى خط متسق مع معتقداتهم فى كثير من الولايات. منعت تلك القوانين الأصولية تدريس نظرية النشوء. ولهذا جاءت محاكمة سكوپس فى تينيسى عام ١٩٢٥م. كان سكوپس مدرس الأحياء قد قام بخرق القانون الأصولى من خلال تدريسه نظرية النشوء فى الفصل الدراسى. كانت الحركة الأصولية المسيحية متقدمة أيضًا على الثورة الإيرانية، حيث إنها كانت قد واكبت بالفعل الرئيس "المولود ثانيًا، أو مجددًا" فى البيت الأبيض عام ١٩٧٦م، فى وقت سابق بكثير للثورة الإيرانية عام ١٩٧٨م. يبيّن هذا أن الثورة الأصولية المسيحية قد دخلت بالفعل البيت الأبيض قبل أن تدخل الثورة الإسلامية طهران. فى الألفية الجديدة، ظلت الأصولية المسيحية هى القوة الأيديولوچية المؤثرة الوحيدة فى الشئون العالمية بفضل تأثيرها على السياسة الأمريكية. تعتبر هذه القوة المؤثرة للأصولية المسيحية نتيجة مباشرة لقدرتها على فهم كيف تعمل الديمقراطية الليبرالية الأمريكية، وكيف تستخدمها لتحقيق الأچندة الداخلية والدولية للحركة بأسلوب جيد التنظيم ورفيع المستوى. يستحق زعماء الحركة

التقدير لذلك. ليس عجبًا الآن أن يقع اسم بيلى جراهام فى قائمة الشخصيات الست التى غيرت العالم فى القرن العشرين[417](*). كما أشير سابقًا، لقد استلهمت هذه الدراسة من سؤال بسيط أردت أن أحقق بشأنه فى مجال الاقتصاد السياسى فى الولايات المتحدة، والناشئ من نتيجة الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٠م. أجاب الفصل الثامن عن السؤال المبدئى، حيث رأينا أن هؤلاء الذين أعطوا صوتهم الانتخابى لـ «چورچ بوش» عام ٢٠٠٠م، قد أعطوا أولوية أعلى نسبيًا لعوامل ما وراء الاقتصاد، وبذلك دحضوا عالمية الحكمة التقليدية التى تقول بأنه فى حالة الأداء الجيد للاقتصاد خلال فترة حكم رئيس ما، يفوز بالانتخابات الرئيس الحالى أو مرشح حزبه، مع نهاية مدة الحكم.

على الرغم من أن الأغنياء والأثرياء هم فى المقدمة بين الزعماء الجمهوريين، فإن أغلبية الجماهير التى صوتت لصالح چورچ بوش عام ٢٠٠٠م جاءت بشكل عام من فئة من المجتمع كانت لها إمكانيات اقتصادية محدودة(**)، وواجهت أيضًا مشاكل اجتماعية أخرى خطيرة كما نوقش فى الفصل الثامن. وبسبب موقفهم الاقتصادى وتحدياتهم الاجتماعية، فإنهم بحاجة للعمل بجهد لكى يبقوا فى حالة من التوازن، ويمثل الدين مصدر قوتهم فى الأوقات الصعبة. هؤلاء الناس العاديون، هم من أرادوا، بفضل مشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية، تحقيق أچندة اقتصادية ـ اجتماعية معينة لكى تطبق فى الولايات المتحدة. ولهذا السبب تحديدًا، بالرغم من الأداء الاقتصادى الملحوظ خلال فترة إدارة كلينتون ـ جور، منحوا صوتهم الانتخابى لبوش الذى تعهد بالالتزام بأچندتهم.

على الرغم من أن الدراسة قد أجابت عن سؤالى المبدئى، فإن البحث الذى قمت به قد أثار عددًا من الحقائق الإضافية. فهم هذه الحقائق يجعلنى أدرك أن معظمنا فى العالم الإسلامى نعلم القليل للغاية عن المجتمع الأمريكى والنظام الذى يعمل فى إطاره. يعتمد فهمنا للمجتمع، والسياسة والحكومة الأمريكية ـ فى معظمه ـ على

(*) جاء أيضا البابا پول الثانى ضمن أولئك الستة ـ المترجمة.

(**) فى الحقيقة، ولاية أوهايو التى حسمت أصواتها فى النهاية المعركة لصالح چورچ دبليو بوش، هى من أفقر الولايات، وأعلاها فى نسبة البطالة ـ المترجمة.

وسائل الإعلام الغربية (والأمريكية بشكل خاص) التى تقدم تقارير عن الأحداث والتطورات من وجهة نظرها المحلية والقومية. من ثم، ففى الكثير من المرات تتجاهل تلك الأبعاد التى ليست مهمة بالنسبة لهم، ولكنها قد تكون مفيدة لنا. وفى مرات أخرى يظل تركيزنا فى العالم الإسلامى، حتى حينما نتابع التطورات فى الولايات المتحدة، محصوراً بشكل عام فى القضايا التى تهمنا ـ القضية الفلسطينية والمعونة الأمريكية والعقوبات الاقتصادية.. إلخ. بهذه المعرفة الضئيلة، نحاول أن نحكم على أمريكا، وحينما نحاول فعل ذلك، فإن الكثيرين منا يجدون أن استخدام إطار نظرية المؤامرة من الأمور المساعدة بشكل طبيعى. ومن ثم، فإن الصورة النهائية لأمريكا التى تنشأ فى أذهاننا هى صورة مشوهة ومحبطة على نحو بعيد. قد نتصور أحيانًا أن الحكومة الأمريكية تعمل بالطريقة ذاتها التى تعمل بها الكثير من الحكومات فى العالم الإسلامى. ولهذا، يكون لدينا فكرة مضللة تفيد بأن الحكومة الأمريكية تدار بواسطة الرئيس وحده، وأنه مثل حال معظم الحكّام المسلمين، له السلطة المطلقة لعمل أى شىء يرغب فيه. الحقيقة، على الرغم من ذلك، هى العكس تمامًا. الولايات المتحدة هى ديمقراطية ليبرالية قائمة على مبادئ الفصل بين السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية، ومتمتعة بوسائل إعلام مستقلة، تلعب دورا نشطا للغاية كحارس للمجتمع. الرئيس الأمريكى هو أكثر الشخصيات العامة التى يتم مراقبتها عن قرب، وحتى أدق التفاصيل فى حياته الشخصية تصبح من الأمور العامة فى الحال ويمكن أن يساءل عنها.

لا يمتلك الرئيس سلطات مطلقة فى المسائل المتعلقة بالسياسات العامة والخارجية، ويعتمد على تأييد الكونجرس فيما يتعلق بتلك القضايا. يراقب الزعماء السياسيون الأمريكيون بشكل مستمر اتجاهات الرأى العام ومزاج الجماهير حينما يقومون بصنع القرارات ـ حتى فى أكثر المجالات الدنيوية. يتضح هذا من حقيقة أنه خلال عقدى الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين، حينما التزم الناس بشكل صارم بالفصل بين الكنيسة والدولة، أبقى الرؤساء طقوسهم وهويتهم المبنية على أساس دينى لأنفسهم. ولهذا انزعج ترومان من تصرف بيلى جراهام الذى قام بالصلاة فى الحديقة فى البيت الأبيض. على الرغم من ذلك، فى وقت لاحق ومع تغير المزاج العام فى

البلاد بسبب النفوذ المتنامى للأصوليين المسيحيين، بدأ الزعماء الشعبيون يعبرون بشكل بطيء عن ديانتهم. لدرجة أنه حينما كان چورچ بوش يستعد لخوض الانتخابات الرئاسية، أعلن أنه كان يستجيب لاستدعاء إلهى. ولهذا، فإن صنع القرار فى الولايات المتحدة (سواء بواسطة الرئيس أو بواسطة الكونجرس) يعتمد بشكل كامل على الرأى العام. تظهر الدراسة أن الأصوليين المسيحيين، الذين كانوا فى البدء أقلية وعانوا من المهانة فى محاكمة سكوپس، لم يتمتعوا بدعم وسائل الإعلام الأمريكية ولا تعاطف المجتمع الأوسع. لقد كان لديهم مشكلة فى الصورة الذهنية فى فترة ما بعد محاكمة سكوپس. من وجهة نظرهم كان لهم قضية أصيلة، ولكنهم أدركوا أن قضيتهم لا يمكن الوصول إليها إلا إذا كان الرأى العام يقف فى صفهم. ومن ثم، قاموا بتطوير استراتيچية استهدفت الرأى العام الأمريكى. وبمجرد أن تحول الرأى العام إلى صالحهم، بدأت وسائل الإعلام أيضًا فى منحهم الاعتراف الواجب. وفى هذا الصدد ينبغى أن يتذكر المرء أنهم عملوا فى سبيل كسب الرأى العام، على كل من المستويين المحلى والقومى، مع تركيز أكبر على المستوى المحلى. حتى قبل الحادى عشر من سبتمبر، كانت المشكلة الأساسية بين العالم الإسلامى والولايات المتحدة هى صورة العالم الإسلامى بشكل عام فى الغرب، وفى أمريكا بشكل خاص. لم يفهم العالم الإسلامى بأى شكل يذكر، طبيعة ودور الرأى العام الأمريكى فى التأثير على السياسات الأمريكية، سواء داخليًا أو خارجيًا. لقد تعاملت الحكومات الإسلامية مع الإدارات الأمريكية مع ندرة أى جهد أو خطة متسقة وطويلة الأجل للوصول إلى رجل الشارع الأمريكى فى «الشارع الرئيسى»(٤١٨)(*). لو كان للمسلمين (سواء داخل أو خارج الولايات المتحدة) أن يتعلموا درسًا مفيدًا واحدًا من هذه الدراسة للحركة الأصولية المسيحية الأمريكية، فإنه أهمية دور الرأى العام الأمريكى. لقد تأخر الوقت طويلاً قبل أن يقوم الأمريكيون المسلمون والحكومات الإسلامية، والزعماء والمفكرون ووسائل الإعلام، بالتركيز بشكل جاد على إمداد الرأى العام الأمريكى بالمعلومات،

(*) «الشارع الرئيسى» هو تعبير أمريكى شائع يستخدم للدلالة على الديناميات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية يوميًا فى المجتمع الأمريكى، تلك التى تجعل عامة الناس فى اتصال بعضهم مع بعض. وبهذا التفاعل الجماعى، وتبادل الأفكار بين المثقفين، والجماهير، والقيادة المحلية، من خلال وسائل الإعلام، والمنظمات غير الحكومية، ومؤسسات الترفيه، يتشكل الرأى العام الذى يؤثر على قرارات الحكومة وسياساتها ـ المترجمة.

وتعليمه ومحاولة الفوز به. حتى حينما يتعاطف رئيس أمريكى ما مع قضايا قريبة إلى وجدان المسلمين، فلن يستطيع فعل الكثير إذا لم يتفق الرأى العام مع وجهة نظره.

أثارت هذه الدراسة عدداً من الحقائق الإضافية أيضاً. تلهمنا هذه الحقائق سؤالين منطقيين، تعد الإجابة عنهما ضرورية لختام هذه المرحلة الأولى من دراسة الحركة الأصولية المسيحية المعاصرة فى الولايات المتحدة:

١ ـ لماذا تنتشر الأصولية الدينية فى الولايات المتحدة، والتى تعد اقتصادياً وعلمياً، أكثر الدول تقدماً فى تاريخ الإنسانية المعروف برمته؟

٢ ـ كيف أفلحت الحركة الأصولية المسيحية فى الوصول لهذا المستوى من النجاح فى مجتمع لديه فصل محدد وواضح بين الكنيسة والدولة؟

فى محاولتنا للإجابة عن السؤال الأول سوف نميز بين أمرين:

(أ) وجود طرق أصولية فى التفكير فى مجتمع ما.

(ب) ومدى انتشار الأصولية فى ذلك المجتمع.

يتجلى موقفنا فى أن وجود طريقة أصولية فى التفكير هو أمر ضرورى، ولكنه ليس بكاف حتى تكتسب الأصولية تأثيراً واسع المدى فى مجتمع ما. فى حقيقة الأمر طالما بقى البشر ككائنات مفكرة يتمتعون بحرية الاختيار فيما يتعلق بمعتقداتهم وتأويل تلك المعتقدات فهناك إمكانية كبيرة أنه سيظل هناك دوماً بعض الناس فى كل مجتمع ممن لهم فهم أصولى لمعتقداتهم. ولهذا، فقد يتعاملون مع حياتهم والعالم من حولهم من وجهة النظر تلك. من أجل أن تكون أصولياً، فإنه ليس مطلوباً منك أن تنتمى لديانة ما. قد يكون المرء ملحداً أو اشتراكياً وقد يفسر أيديولوچيته (الإلحاد ـ أو الاشتراكية) بسلوك أصولى، ويعمل وفقاً لذلك. فى الحقيقة، الأصولية هى طريقة فى التفكير تدفع الناس لتفسير العالم من حولهم بطريقة معينة وبناء كل العلاقات وفقاً لذلك. ولهذا، فإن وجود طريقة أصولية للتفكير بين بعض أعضاء مجتمع ما لا تتضمن بشكل فورى انتشار الأصولية عبر هذا المجتمع برمته. تظهر المراجعة التاريخية للأصولية المسيحية فى الولايات المتحدة أن بداية التصنيع السريع أدت إلى عدد من المشكلات

الاجتماعية. عندما اقترح الاتجاه العام فى الكنائس الحل لتلك المشكلات من خلال الإصلاح الاجتماعى (على سبيل المثال الإنجيل الاجتماعى) لم يوافق الأصوليون، وجادلوا بأن الطريقة الوحيدة لحل تلك المشكلات هى من خلال الورع الشخصى، وهى نتيجة لجهود من أجل الخلاص الشخصى. أدى عدم الاتفاق هذا إلى انشقاق فى البروتستانتية الأمريكية؛ حيث ترك الأصوليون الكنائس ذات الاتجاه السائد وأسسوا كنائسهم الخاصة.

ظلت الجماعات الأصولية - حتى بعد الانفصال عن كنائس التيار الرئيسى - على المحيط الخارجى - فلم تكن الأصولية قادرة على التأثير على المجتمع الأوسع. لم تكن قوتهم العددية ذات ثقل، ولم يكونوا منظمين بشكل لائق، كمجموعة متماسكة على أساس يشمل كل الولايات. ولهذا فإن وجودهم لم يكن له شأن كبير. ولأنهم كانوا غير قادرين على التأثير فى النظام، فقد بدا لفترة ما أنهم كانوا مجرد متمردين لهم فقط قضية وليس أكثر من ذلك. ساعدت ثلاثة أمور على تغيير هذه المعادلة. أولاً، خلقت الهزائم المتتالية فى المعارك القضائية (فى الفصل العنصرى، الإجهاض، والصلاة فى المدارس.. إلخ) لديهم إحساسًا بأنهم ضحية طغيان الأغلبية. ثانيًا: مكنهم تأسيس المؤسسات التعليمية الأصولية، واستخدام الوعّاظ الأصوليين لوسائل الإعلام من تطوير وسيلة للوصول إلى الجماهير بطريقة أكثر نظامية وتنظيمًا من أجل أن يذكروهم بشكل مستمر بالاضطهاد الذى شهدوه وأهمية تنظيمهم وتفعيلهم ضده. النظام القضائى الأمريكى مبنى بشكل مشترك بواسطة فرعى الحكومة التنفيذى والتشريعى؛ لأن الهيئة التنفيذية ترشح القضاة، وتصدق الهيئة التشريعية (أو لا تصدق) على المرشحين. يرى الأصوليون النظام القضائى بوصفه السبب الأساسى فى كل أوجه الظلم التى وقعت عليهم. وبالتالى، تكونت صرخة المعركة بالنسبة للأصوليين من مطالب لتعيين القضاة المحافظين. ولكن التعيينات القضائية هى نتيجة فرعية للنظام السياسى القائم. ولهذا، فقد كان الطريق الوحيد أمامهم للوصول إلى هذا الهدف هو الدخول فى عالم السياسة وقيادة دفة العملية السياسية بالطريقة المرغوبة. الهدف هو انتخاب هؤلاء المرشحين للفرعين التنفيذى والتشريعى للحكومة بحيث يكونون محافظين وملتزمين بدعم وتنفيذ الأچندة الأصولية بمجرد أن يتم انتخابهم. ولهذا،

كان يتم اختيار المرشحين بشكل دقيق على أساس سجلاتهم، وكان يتم استهدافهم إما بسبب هزيمتهم، أو يتم تحديدهم من أجل دعمهم على أساس تلك المعايير والتزامهم بالأجندة الأصولية. الهدف الآخر هو تعليم الجماهير بشأن الأخطار المحتملة لعدم التصويت للمرشحين المحافظين المختارين للدعم، وأيضًا كيفية توسيع بنك الأصوات الانتخابية بواسطة إضافة المتحولين الجدد إلى كتيبة المؤمنين الذين يناضلون بالفعل فى جبهة المعركة. تم ذلك من خلال التعليم، المستمر وتلقين الجماهير الأيديولوچية الأصولية من خلال شبكة كهنوتية عن بعد ومن خلال الاشتراك المستمر والمنتظم فى القضايا والمناقشات على مختلف المستويات المحلية والإقليمية ـ نوع من الاشتباك المبدئى بالعدوالحقيقى من خلال المناوشات الحدودية قبل المعركة الحقيقية (على سبيل المثال قضية على المستوى المحلى) ـ كنوع من الإحماء، إذا جاز القول. فى بعض الأحيان كانت الزعامة الأصولية تبدأ تلك المناوشات، من خلال اتخاذ الوضع الهجومى فى قضية مستهدفة فقط لرفع درجة حرارة الغضب بين هؤلاء المؤمنين المتعطلين المتعاطفين مع القضايا الأصولية، ولكنهم غير مظهرين لأى حس من المسئولية تجاهها ولا لأى دعم حقيقى.

كان الأمر الثالث الذى غيّر من تلك المعادلة وساهم فى انتشار الأصولية المسيحية فى الجنوب، هو الأحوال الاقتصادية ـ الاجتماعية للجماهير العامة فى ذلك الجزء من البلاد. يمكن التحدث عن هذا الوضع بلا نهاية، وبشكل خاص عن العلاقة بين الأصولية وإحساس الظلم والحرمان الاقتصادى. لقد هزم الجنوب من قبل الشمال إبان الحرب الأهلية فى قضية العبودية، وأصبح متخلفًا اقتصاديًا عن الشمال منذ ذلك الحين. ولهذا، كانت هناك جدلية التفاوت الاقتصادى التى عجلت أكثر من سرعة انتشار الأصولية، من خلال الخلق السريع للمجتمعات المتنامية فى الجنوب التى كانت تعانى إما من الفقر المدقع أوكان لديهم شعور بالفقر النسبى. كان الفقر هو سبب تخلفهم التعليمى، وهو ما منعهم من استغلالهم للفرص المتاحة فى أرض الوفرة. النتيجة التراكمية وراء كل ذلك هى تضاعف المشكلات الاجتماعية كما ناقشناها فى الفصل الثامن. ولكل تلك الأسباب رغب الجنوبيون فى الانضمام لهؤلاء الذين يريدون بشكل فعّال أن يغيروا الوضع الراهن للأفضل. يظهر تاريخ واقتصاد الجنوب أنه أرض خصبة للحركة الأصولية المسيحية.

إن أبناء وبنات الجنوب لديهم الرغبة فى المشاركة الفعالة فى الصراع الذى سيمكنهم فى النهاية من التغلب على مشاكلهم الاقتصادية - الاجتماعية، كما أنه سيساعدهم أيضًا على استعادة دورهم ووضعهم الذى يستحقونه، والذى تعرض للخطر فى فترة الحرب الأهلية. يمنح إلحاح تلك المشكلات الاجتماعية الفرصة للزعماء الأصوليين لإبراز قضية القيم والأخلاقيات والدين كدواء عام لكل الأمراض الاجتماعية. يستخدم التأكيد على القيم إذن فى تعبئة الناس فى الجنوب للتوحد ضد هؤلاء الذين لا يعتبرون هذه القيم «حلولاً للمشاكل» ولكنهم بالأحرى يؤمنون بنموذج «الإنجيل الاجتماعى». ولهذا فإن هذا الاختلاف فى الرؤى والسياسات يفصل ما بين المجموعتين خالقًا حالة، يمكن أن تسمى طبقًا للنموذج الماركسى - اللينينى - الهنتنجتونى «صدامًا». ومن ثم فإن هذا الصدام ينبع من «أمريكتين» كقطبين منفصلين، حيث إن كلاً منهما تريد أن تتخذ طريقها - والاثنان يأملان فى التحكم بالسلطة السياسية. واستخدامًا لنموذج الماركسية - اللينينية - الهنتنجتونية، نشير مرة أخرى إلى النموذج المفضل لهنتنجتون القائم على منهجية لينين التالية والخاصة ببنى القوى الاجتماعية. وبتطبيق هذه المنهجية، يمكن فقط للمرء أن يعيد ترتيب بيان هنتنجتون فى المشهد السياسى الأمريكى المعاصر، وإعادة صياغة بيان هنتنجتون من خلال القول بأن أسباب الصراع المتجدد بين الأصوليين المسيحيين والأمريكيين غير الأصوليين:

«تكمن فى مسألتين أساسيتين هما السلطة والثقافة Kto? Kovo?. من يحكم؟ ومن يُحَكم؟ القضية المحورية المتعلقة بالسياسة والتى حددها لينين هى جذور الصراع بين. . . »[٤١٩].

يقود استخدام منهجية الماركسية - اللينينية - الهنتنجتونية فى التحليل المرء، فى التراث الهنتنجتونى؛ لأن يصل لاستنتاج بأن هناك أمريكتين، وبأن هناك «صراعًا» بين بعضهما البعض. وكما حدث فى الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٠م، كانت المعركة بين المرشحين قريبة للغاية، ولهذا فمن المحتمل أن بعض الأيديولوچيين قد يغريهم هذا الحال باستغلال الوضع الجارى. على الرغم من ذلك، وبقدر ما يمثل لنا الأمر من أهمية، فإننا كمسلمين لا نتفق مع فكرة وجود «أمريكتين»، أو «الصدام» بينهما. قد

يفعل ذلك فقط هؤلاء الذين لديهم سوء نية لإشعال صراع وتصعيده لكى يصل إلى مستوى الصدام، مثلما فعل السيد هنتنجتون من خلال دفاعه عن صراع الحضارات. يتمثل موقفنا فى اعتبار السيناريو الأمريكى المعاصر مرحلة منطقية فى العملية الطبيعية للتطور الخلاق للمجتمع الأمريكى. من وجهة نظرنا، يعتبر التطور الخلاق ظاهرة إيجابية حيث إنها تمثل عكس ما يقول به التطور القاسى الداروينى القائم على الانتخاب الطبيعى. التطور الخلاق له مظهران أساسيان، تحديداً: مضمونه وتقدمه. الخصائص الأساسية لمكون المضمون هى كالتالى: يتضمن التطور الخلاق التعلم الإنسانى من خلال الإرشاد الإلهى، والتجربة الإنسانية، والمعرفة والتعليم والاكتشاف، تلك الخبرات المتراكمة خلال الأجيال عبر آلاف السنين، والناجمة عن تراكم القوة الفكرية والعلمية الحيوية والحكمة وإبداع الحياة والعقل، مدعمة قدرتنا الفردية والجماعية على حل المشاكل فى التحليل النهائى[٤٢٠].

لقد تم إبراز بعض المظاهر الرئيسية لعملية التطور الخلاق على النحو التالى: التطور الخلاق هو عملية يسعى إليها فى مجتمع/ حضارة بسبب وجود رؤى مختلفة/ متصارعة (فى مختلف القضايا / المشاكل) لتحديد الوسائل الملائمة لحل المشاكل الموجودة (أو المنظورة) بأسلوب سلمى. ومن أجل حل تلك القضايا بشكل سلمى، فإنه يسمح لكل الأطراف المشتركة بتبادل وجهات النظر، وأن تتفاعل مع بعضها البعض بأسلوب سلمى، وإن كان ضروريًا تُذاع مناظرات علنية، لتعليم، ومن ثم تحكيم الرأى العام، الذى يعد الحكم النهائى. يؤدى هذا إلى اشتباك بناء حيث يولد حلاً مقبولاً من كلا الطرفين. إحدى النتائج الملموسة لنجاح التطور الخلاق هى تأسيس وتطوير وتنمية شبكة من المؤسسات التى تنتج بشكل جماعى آلية سلمية لحل الصراع. على الرغم من الاختلافات بين الجماعات المتعددة، ستكون تلك المؤسسات مقبولة من قبل الجميع، حيث إنها ستكون مناسبة لمواجهة احتياجات المجتمع المتغيرة دومًا. فحرية الفكر والتعبير، والتسامح بشأن الرؤى المختلفة، هى الشروط المسبقة لمناخ موات للتطور الخلاق.

قد يكون هناك آراء متنافرة (داخل مجتمع/ حضارة أو بين حضارتين) بالنسبة لقضية ما. إذا استخدمت الأطراف المتضمنة حرية التعبير للترويج لآرائها وإشراك

المجتمع فى جدال بوجهة نظر مسبقة تهدف لإقناع الجماهير/ العالم برأيها حتى تقرر فى النهاية من بين كل الاختيارات المتاحة، إذن ستكون النتيجة الطبيعية متسقة مع روح المبادئ الديمقراطية. الروح الديمقراطية هى أساس عملية التطور الخلاق. فى حالة تعطل المبادئ الديمقراطية، قد تظل الآراء المتنافرة ولكن عملية مخاطبة تلك الآراء المتنافرة لن تعد تطوراً خلاقًا، بدلاً من ذلك ستسمى قمعًا أو اضطهاداً أو ثورة أوربما صدامًا. تبرز مثل هذه الحالة حينما يكون هناك طرف أقوى (حيث تكون قوته حقيقية أو متصورة أو متخيلة)، ولأنها تعرف أنها لا يمكن أن تتجاوز الأعراف المقبولة عالميًا، والخاصة بالمبادئ الديمقراطية ومطالب العدالة، فإنها تستخدم نفوذها وقوتها لوقف سير عملية التطور الخلاق. إذا ما نجح القمع فى تحطيم عملية التطور الخلاق، فقد تبدأ عملية انحدار هذا المجتمع أو هذه الحضارة. وحيث يبدأ انحدار المجتمع/ الحضارة المذكورة بسبب استخدام القامعين للقوة، فإن هناك خطراً بأنه مع الفشل فى الوصول إلى أى مساعدة ذات أهمية من المؤسسات القائمة (المحلية/ الدولية)، (مثل الهيئة القضائية أو الأمم المتحدة. . إلخ) فإن المقموعين قد يلجأون أيضًا إلى استخدام القوة ضد من قاموا بقمعهم. تولد هذه الحالة ثقافة العنف والعنف المضاد. إن الطريقة الوحيدة للتغلب على هذه الثقافة هى استعادة عملية التطور الخلاق والتى تتطلب تعهداً والتزامًا صارمًا بالمبادئ الديمقراطية سواء بالمعنى الحرفى أو الروحانى.

فى سياق الولايات المتحدة، تعلم كل من الأصوليين المسيحيين و«الآخر» شيئًا ما من تجاربه ومن فهم «الحقيقة»، وهو يبذل جهداً للوصول تدريجيًا إلى توليفة ضمن إطار الديمقراطية الليبرالية الأمريكية. لهذا، وعلى هذا الأساس نحن نرفض فكرة «الأمريكتين» و«صدامهما» على الرغم من صراع القوى فى انتخابات الولايات المتحدة على السؤالين «من الذى يقوم بالحكم؟ ومن هو المحكوم؟»(٤٢١). ولهذا ففى عنوان هذا الفصل وضعنا كلمة صدام بين قوسين لتحديد أنه فقط المنهجية الخاطئة (الماركسية ـ اللينينية ـ الهنتنجتونية) هى التى سوف تصنف الاختلافات بين الناس (سواء من المجتمع/ الحضارة ذاتها أومجتمعات/ حضارات مختلفة) بوصفها «صداما». نحن نتعامل، من الناحية الأخرى مع الأمر بوصفه تطوراً خلاقًا. وإنه ـ بالتحديد ـ على هذا

الأساس العلمى، نرفض أيضًا الفكرة القائمة على المنهجية الماركسية ـ اللينينية ـ الهنتنجتونية الخاصة بصراع الحضارات.

فى الواقع، اتسع التفاعل المتسارع بين الحضارات فى كل مناحى الحياة، بسبب التقدم فى العلوم والتكنولوچيا، ووسائل الاتصال والعولمة السريعة، ولهذا يمكن أن تستغل الاختلافات (سواء فى القيم أو وجهات النظر فى مختلف القضايا) بسهولة من قبل هؤلاء الذين يرون مكسبهم فى خلق الصراعات بين المجتمعات والحضارات. فهؤلاء الذين لديهم مثل هذه الأچندة يستخدمون المنهجية السابقة ويرفعون فى الحال شعار «الصدام» و«التحريض» ضد «الآخرين»[٤٢٢].

من ناحية، تفعل القوى التى تستفيد من صدام الحضارتين الإسلامية والغربية ما فى وسعها لإشعال وتوسيع دائرة النيران التى بدأت مع أحداث الحادى عشر من سبتمبر وتنتوى أن تجعل من هذه النيران حريقًا مدمرًا. على الجانب الآخر، فإن نظرتنا الحذرة ترى أنه، بشكل بطىء، تظهر بالفعل دلائل فهم أفضل تدريجيًا بين الحضارة الإسلامية والغرب، بشكل عام، وبين الولايات المتحدة بشكل خاص. يمكننى ضرب العديد من الأمثلة فى هذا الصدد، ولكنى سوف ألفت انتباه القارئ إلى بعض الأمثلة القليلة المختارة ـ ولكن تلك الأمثلة القليلة هى التى تتوافر فيها القوة لتعجيل مسيرة سفينة الحضارة الإنسانية، والتى تهتز حاليًا بسبب عواصف الكراهية والانتقام. وفيما يلى هذه الأمثلة:

إدانة وزير الخارجية كولن پاول لكلمات چيرى فالويل الكريهة ضد النبى محمد ﷺ فى CBS فى مقابلة تليفزيونية أذيعت فى أكتوبر ٢٠٠٤م.

١ ـ ما تلاه من اعتذار چيرى فالويل.

٢ ـ القرار الأخير الذى أصدره الرئيس چورچ بوش طواعية ومن جانب واحد بعدم استخدام كلمة «الحرب الصليبية» عند تذكر رسالة الچنرال أيزنهاور للقوات المتحالفة. «... قبل بداية غزو نورماندى، فرنسا، منذ ستين عامًا»[٤٢٣].

كان الرئيس بوش يلقى خطاب حفل التخريج لدفعة من ضباط القوات الجوية، حينما تذكر رسالة الچنرال أيزنهاور، ولكنه احترامًا للمسلمين والإسلام، تعمد أن

يلغى كلمة «الحرب الصليبية» والتى يعدها المسلمون «. . . إشارة مثيرة للمشاعر. . »[٤٢٤].

٣ـ دفع إدارة بوش للديمقراطية فى العالم الإسلامى. قد لا يتفق المرء مع الطريقة التى قدمت ونفذت بها هذه الفكرة من قبل إدارة بوش، ولكن ما نراه هو انعكاس لمبدأ ساد السياسة الأمريكية باتجاه العالم الإسلامى لفترة طويلة، منذ أن حصلت الدول الإسلامية على استقلالها. من وجهة نظرنا، التى تدعم الديمقراطية، فتحت إدارة بوش فرصة طال انتظارها للمفكرين المسلمين للدخول فى حوار ذى مغزى مع الغرب وبشكل خاص مع الولايات المتحدة، لتحديد مسار مجد للعمل من أجل الوصول لنتائج طويلة الأجل فى هذا الصدد. فى الحقيقة، أنها ليستً فقط فرصة، ولكنها دعوة لحوار حضارى متبادل. السؤال الوحيد هو هل يمكننا أن ننظم هذا الأمر من أجل تطوير إطار عمل بناء نستطيع فيه تجميع دعم الجماهير من كلتا الحضارتين بطريقة تخدم مصالحنا المتبادلة؟ علينا أيضًا أن نتأكد من أن هذه الدعوة لن ينتهى بها الحال لتكون مجرد تحرك جمهورى، ولكن أن تصبح بدلاً من ذلك التزامًا ممثلاً لحزبين فى المخطط الأكبر للسياسة الأمريكية.

السؤال الآن هو: هل سيتلقى المفكرين المسلمين الإشارة، ويجمعون الشتات لإعادة بناء ما قد تهدم؟ بالطبع هناك الكثير من القضايا والمجالات والاهتمامات تشكل أهمية بالنسبة للمسلمين لم يتم تناولها، ولكن السؤال هو: إلى أين ننطلق من هذه اللحظة؟ هل سننشغل بتوسيع الفجوة، أم ندعم تلك التحركات التى تساعد فى سد الفجوة؟ إذا ما بدأنا بسد الفجوة، فإن الثقة ستبنى على كلا الجانبين، وسوف تخلق إمكانيات لتحقيق الأكثر من ذلك وسوف يتم استغلالها. سواء كان الأمر يتعلق بالعالم الإسلامى بشكل عام، أو المجتمع الإسلامى فى أمريكا الشمالية، فينبغى أن نتعلم من تجربة الحركة الأصولية المسيحية الأمريكية أنه ما لم يقم الرأى العام الأمريكى بمنح أفضلية لقضية ما، فلا البيت الأبيض ولا الكونجرس يمكنهما أن يحركا القضية، مهما كانت أهميتها. وهناك مثال جيد فى هذا الصدد وهو فشل الكونجرس فى دعم عصبة الأمم. ولكن بمجرد أن قام الشعب الأمريكى بتفضيل شىء ما، فإن، كلا الفرعين التنفيذى والتشريعى سوف يتراجع عن مواقفه للالتزام بالموقف الشعبى. ولكن علينا أن نتعلم أن فن التعامل مع الرأى العام الأمريكى له شرطان مسبقان:

١ - ينبغى علينا أن نفهم كيف تعمل الديمقراطية الليبرالية الأمريكية.

٢ - ينبغى علينا نحن أنفسنا أن نحب وأن نعيش الديمقراطية، حيث إنها المكون الأساسى للتطور الخلاق. دون أن نعيش فى إطار النظام، لن نعرف أبدًا كيف يعمل. بسبب غياب الديمقراطية فى أغلب مجتمعاتنا، نحن لا نستطيع أن نتعلم كيف تعمل، ولن نكون قادرين أبدًا على التعامل مع قوة عظمى ديمقراطية. الديمقراطية هى مرحلة مهمة فى العملية الطبيعية للتطور الخلاق، وهؤلاء الذين ينكرونها ينكرون تحقيق إمكاناتهم الذاتية وسيتخلفون إلى حيث يظلون يعانون من الضعف. والضعف هو دعوة لكى يقوم الآخرون باستغلالك. يمكن فهم قضية الأصولية المسيحية من خلال السياق ذاته. بسبب نقص الديمقراطية، لم نطور منهجية دراستها وتحليل وجهة نظرها، والاتصال بها بشكل مباشر بلغة يمكن أن يفهمها كلانا لنتشارك فى اهتماماتنا ونجد طرقا للتعاون فى مجالات المصالح المشتركة لتحقيق السلام العالمى. أدى هذا النقص الكامل فى الاتصال المباشر إلى جهل كلا الطرفين، والذى خلق بدوره الشك، مما أدى إلى أبعد من ذلك: خوف كل طرف من الآخر. جعل هذا الخوف كل طرف يتخذ أفعالاً (بوعى أو بلا وعى) أدت إلى تجارب كريهة. استغل تلك التجارب الكريهة أصحاب المصلحة من وراء خلق الكراهية - الذى أدى إلى الصراع وفى النهاية تضاعف فى شكل صدام. أغرى هذا الخوف، بالإضافة إلى الضعف العام، والفقر العام، والجهل العام وعدم الاستقرار، فى العالم الإسلامى، الأصوليين المسيحيين لأن ينظروا إلى المجتمعات الإسلامية كفرص محتملة لحملاتهم التبشيرية حيث يمكن إنقاذ السكان المسلمين من ورطتهم.

إن الاختيار الآن لنا: هل نريد أن ننقذ أنفسنا أم هل ينبغى أن يأتى الآخرون لإنقاذنا؟ إذا أردنا أن ننقذ أنفسنا فإن علينا إذن أن نتخلى عن الفساد واستغلال السلطة والظلم، وأن نعزز الكرامة الإنسانية والعدالة الاجتماعية والرفاهية الاقتصادية لجماهيرنا - إن الطريق للوصول لكل ذلك هو من خلال الديمقراطية. بدلاً من لوم الآخرين الذين يحاولون إنقاذنا (بطرقهم الخاصة ولأهدافهم الخاصة) من البؤس الذى جلبناه على أنفسنا، ينبغى أن نسأل أنفسنا ما الأخطاء التى ارتكبناها والتى أدت بنا إلى هذا الانحطاط لدرجة أن وجود حضارتنا ذاته أصبح يتعرض للخطر؟. إننا نفهم بشكل

كامل مثل تلك الجوانب الغامضة لرغبة أصحاب الديانات الأخرى وشعورهم أن الوقت قد حان لأن يحولوا - إن لم يكن نحن ، فالأجيال القادمة - إلى الديانة المسيحية من أجل إنقاذنا . ولهذا ، فإننا إن لم نقم بترتيب البيت من الداخل فى الحال ، فإن الدلائل تشير إلى أن مستقبل المسلمين سوف تحدده كفاءة الأمريكيين الإيفانجليكيين فى عملهم التبشيرى . قد أبدو قاسيًا هنا ، ولكن ينبغى أن أكون كذلك ؛ حيث إننا فى غفلة عميقة ، أدت إلى تخلف التطور الخلاق لحضارتنا . قد لا يريد الكثيرون منا قبول هذه الحقيقة القبيحة ، ولكن الحقيقة هى أن ما أقوله ليس بعيدًا عن الحقيقة .

يمكننا الآن أن نوجه السؤال الثانى ، تحديدًا : كيف استطاعت الحركة الأصولية المسيحية أن تحقق هذا المستوى من النجاح فى مجتمع لديه فصل محدد واضح بين الكنيسة والدولة؟

كانت القيادة الأصولية المسيحية فى الولايات المتحدة ، على ما يبدو ، واعية تمامًا بهذه العقبة الدستورية . وعلى الرغم من ذلك ، كانوا على وعى أيضًا بأن الولايات المتحدة من الناحية الدستورية هى ديمقراطية ليبرالية ، حيث إرادة الشعب هى المتحكم الأعلى فى الأمور . وهكذا ، فقد طوروا استراتيجية تراعى المبدأ والشكل ، وتجنبوا أية صيغة يمكن الاعتراض عليها لعدم دستوريتها . لقد طوروا استراتيجية يمكن أن تحقق النتائج المرجوة دون أن تظهر بأنها تخلط بين الدين والسياسة . فيما يلى بعض الخطوات المهمة التى اتخذوها فى هذا الصدد :

١ - لم يشكلوا حزبا سياسيًا مستغلين المسيحية كأساس ومصدر تشريع له أو منبع لصنع سياسة .

٢ - لقد أرادوا تشريعًا يقوم على تعاليم ومبادئ الكتاب المقدس ، ولكن على عكس الأحزاب السياسية الإسلامية فى الدول الإسلامية التى تقوم بحملات منادية بصوت عال بتطبيق الشريعة الإسلامية روحًا وشكلاً ، طالب الأصوليون المسيحيون بتشريع ليس على أساس قوانين الكتاب المقدس ولكن على أساس مبادئ «الأخلاق» (فقط انظر كيف اختارت الحركة اسم «الأغلبية الأخلاقية» كاسم لها) . لقد قاموا بتعريف المشاكل الاجتماعية وربطوا حلها بمبادئ وقوانين الكتاب المقدس التى تم مساواتها فى ذلك الوقت بالأخلاق لكى يكون الأمر متكيفًا مع مبدأ الفصل بين الكنيسة والدولة .

على سبيل المثال، مبادئ الكتاب المقدس فى الاحتفاء بالحياة فى مقابل الإجهاض، وعقوبة الإعدام القائمة على مبدأ «العين بالعين» المستقى من الكتاب المقدس . . إلخ .

على الرغم من أن هذا النوع من التشريع مأخوذ من تعاليم الكتاب المقدس، فإن الجماعات الأصولية لا تستخدم أبدًا عبارة «تشريع الكتاب المقدس». على الجانب الآخر، فى الدول الإسلامية، هناك مطلب شامل من جانب الأحزاب الإسلامية لتطبيق الشريعة، ولهذا فهم يواجهون الانتقاد والقلق [بل والرفض] من جانب بعض الجماعات .

لقد خاض الأصوليون المسيحيون أيضًا غمار معركة لتفكيك أية عوائق قد تسبب الفرقة بين صفوف أتباعهم؛ لأن هناك غالبًا عددا غير محدود من الكنائس (على سبيل المثال الفرق بين البروتستانت والتى تختلف الواحدة عن الأخرى فى قضية أو أخرى). لقد قاموا من أجل ضمان أن ذلك الاختلاف قد تم إضعافه وتقليله إلى حده الأدنى، بإرساء دعائم منتديات غير طائفية وأنشطة جمعت كل الجماعات المهتمة للعمل فى قضايا مشتركة، وبذلك دعمت الوحدة داخل التنوع. إن أحد العوامل التى لعبت دوراً فعالاً فى تدعيم الوحدة بين هذا المدى الواسع من الطوائف البروتستانتية هو الاعتقاد بأن كل فرد له الحق فى تفسير الكتاب المقدس. مكن هذا الاعتقاد كل طائفة من احترام الطوائف الأخرى، وأدى ذلك إلى وجود درجة عالية من التسامح والتعددية والتعاون والعمل كفريق واحد بينهم .

يعرف الأصوليون، بشكل عام، عبر الأديان بعدم تسامحهم مع الآخر، وميلهم إما للانسحاب من أو حرمان هؤلاء الذين لا يتفقون معهم فى الرأى من الانتماء للكنيسة. لدى الأصوليين المسيحيين الأمريكيين، من البروتستانت بشكل رئيسى، أيضًا هذه المشكلة. تاريخيًا، لم يواجهوا اليهود أو الكاثوليك بشكل مباشر. على الرغم من ذلك، فإن فهمهم لعمل النظام الديمقراطى جعلهم يدركون أن أصوات اليهود والكاثوليك الانتخابية لا «تلوث» أصوات البروتستانت داخل صندوق الاقتراع ولا الإيمان البروتستانتى خارج صناديق الاقتراع. جعلهم هذا الإدراك يشكلون تحالفات مع اليهود والكاثوليك وأى شخص آخر، طالما أن الآخرين يدعمون الأچندة الأصولية فى تشريع الكتاب المقدس وتقليص برامج الإصلاح المتعلقة بالرفاهية والدفاع

القوى والقضايا المتعلقة بالبيئة، و العمل، وحقوق المرأة. . إلخ. تفتقر القيادة الإسلامية المعاصرة لهذا النضج اللازم لكى تتغلب على الانقسام الطائفى فى كل من المجتمعات الإسلامية المنفردة وفى الحضارة الإسلامية بشكل أعم. يشير نقص التعاون ـ ذى المغزى ـ بين المسلمين بسبب الانقسام الطائفى، إلى النقص الحاد فى التطور الخلاق فى الحضارة الإسلامية. ينعكس ذلك أيضًا فى مستوى أعلى، فى تفرق الدول الإسلامية، وعدم فعالية منظمة المؤتمر الإسلامى فى العديد من المجالات

تظهر هذه الدراسة أيضًا أن انتشار وشعبية الأصولية قد تأثرت بشكل ملحوظ بالأحوال الاقتصادية ـ الاجتماعية، فكلما شعر الناس بأنهم مهملون اقتصاديًا ومضطهدون ومحرومون من حقوقهم وبأنهم ضحايا للظلم، كانوا مستعدين لقبول وامتصاص الفلسفة الأصولية والتفسيرات المتطرفة، لأيديولوچية/ ديانة ما. وعلى عكس المنطق، فإنه أمر غير وثيق الصلة بالموضوع، إذا كانت مشاعر الاضطهاد تلك حقيقية أو متخيلة.

وهناك سؤال متصل بالموضوع وهو: كيف يمكن لإقليم بهذه السعة الجغرافية أن تغلفه موجة الأصولية؟ قبل الأحوال السابقة، إذا شعر سكان إقليم معين (على سبيل المثال الولايات الجنوبية من الولايات المتحدة) بأنهم ضحايا لظلم تاريخى (هزيمة فى الحرب الأهلية على يد الشمال)، فلا بد أن أغلبية هؤلاء السكان الذين يعتبرون أنفسهم ضحايا لهذا الظلم، سيكونون أكثر انجذابًا للأيديولوچية الأصولية وسيتبعون خطة عملها بشكل أكثر فعالية.

لقد كان ذلك عاملاً مهمًا وراء الشعبية الهائلة للحركة الأصولية المسيحية فى الجزء الجنوبى من الولايات المتحدة، وبشكل خاص بين الولايات الإحدى عشرة التى انفصلت عن الاتحاد وشكلت الولايات الكونفدرالية الأمريكية (CSA).

هزت البلاد فى العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين، حينما كان الجنوب يكافح ـ فى محاولته للتغلب على مشاكل وتحديات الفقر المطلق والنسبى ـ للاحتفاظ بهدوئه ـ فضائح الفساد واستغلال السلطة فى أعلى المستويات. أخيرا، وصلت الحالة إلى نقطة لا يمكن التسامح بشأنها بعد ذلك، وخاصة من قبل هؤلاء الذين كانوا يعانون

لفترة طويلة. كان على الوضع الراهن أن يتغير. ولهذا دخل الأصوليون الساحة السياسية فى عقد السبعينيات وأخيراً تمكنوا من مواكبة چورچ دبليو بوش إلى داخل البيت الأبيض فى عام ٢٠٠٠م، الرئيس بوش الذى يشاركهم ـ بطرق كثيرة ـ قيمهم وتصوراتهم، وهو ملتزم بالأچندة التى ـ تقريبًا ـ تمثل رؤاهم.

يمكن أن نتعلم درسًا هامًا هنا، هذا الدرس ليس هو الإشارة بإصبع الاتهام إلى اليمين المسيحى الأمريكى من خلال القول بأنه يخلط بين الدين والسياسة، ولكن بدلاً من ذلك أن نلاحظ أنه كلما أصبحت المشاكل الاقتصادية ـ الاجتماعية أمرًا ملحًا و/ أو فساد القيادة الوطنية أمرًا متفشيًا، فإننا نكون وصلنا لمرحلة لا يمكن للجماهير أن تتحمل المزيد، وتصبح غير مستقرة. عند هذه النقطة قد تتحرك بعض الشخصيات الكارزمية للأمام وتنظمهم لتستخدمهم كقوة لإصلاح المجتمع. على الرغم من ذلك، فإن رؤية الحركة الإصلاحية ومهمتها سوف تحددها تلك الشخصيات الكارزمية. نقطة الالتقاء الشائعة، بشكل عام، هى الدين، والأصولية الدينية هى التى تثير وتنشط الجماهير الضجرة. إذا كانت البلاد بها ديمقراطية مؤسسة أصيلة، مثل الولايات المتحدة، فإن الجماهير بإمكانها أن تغير القيادة من خلال صندوق الاقتراع وتقوم بإصلاح النظام. أما إذا كانت البلاد تفتقر إلى مؤسسات ونظام ديمقراطى، وتستمر النخبة الفاسدة الحاكمة فى التلاعب بالنظام لكى تبقى فى السلطة بأى ثمن، فإن الصراعات الخطيرة ستبدأ فى الظهور. قد تبدأ النخبة الحاكمة باستخدام القوة لإسكات أى نقد من المعارضة. يشعل استخدام القوة هذا موقفًا خطيرًا، حيث لا يكون هناك حل سلمى للصراع، فقد تفقد بعض العناصر فى معسكر المعارضة العقلانية أيضًا ويتصرفون بشكل عنيف، متسببين بهذا بدائرة من العنف والعنف المضاد. برغم ذلك، هناك فرصة أكبر فى التحليل النهائى أن يتحول استخدام العنف إلى عائق بالنسبة للمعارضة، حيث يؤدى إلى فشلها وعدم استقرار المجتمع برمته.

ولهذا، كما أثبتت التجربة الإنسانية، فإن الديمقراطية هى النظام الأفضل، حيث إن لديها آلية داخلية لحل الصراع سلميًا. بمجرد أن يكون للمجتمع نظام ديمقراطى أصيل جيد التنظيم، فإنه يستطيع أن يحل مشاكله وصراعاته سلميًا وأن يستمر فى التقدم.

ما أدى إلى العنف فى معظم الدول الإسلامية (سواء تحققت فيها الوفرة الاقتصادية أم لا) هو الافتقار لأنظمة ديمقراطية أصيلة. يبدو الحل السلمى طويل الأمد والثابت لهذه المشكلة، هو تأسيس ديمقراطية أصيلة وصحية فى كل تلك الدول الإسلامية التى تخلفت فى هذا الصدد.

***

الفصل الخامس عشر

مستقبل المسلمين تحديد المشكلة

فى علم المصطلحات الخاص بسفر الرؤيا، هناك معنى ضمنى معين للألفية. كما ناقشنا سابقًا، طبقًا لأنصار الألفية (الذين يشكلون أغلبية بين الأصوليين المسيحيين) تدور الساعة ويقترب العالم بسرعة من نهاية الزمان. بالنسبة للكثيرين منهم كان الحادى عشر من سبتمبر إعادة تأكيد على أن العالم يتجه إلى حرب هرماجدون. لقد وصل الحد ببعضهم إلى أن طوروا فهرس «الاختطاف ـ rapture» الذى يسمونه «المعدل الصناعى للداوجونز الخاص بنشاط نهاية الزمان»[٤٢٥] وهو متاح فى الموقع التالى: «raptureready.com»[٤٢٦].

«بدلاً من سوق الأوراق المالية، يتابع هذا الموقع التنبؤات: الزلازل والفيضانات والأمراض المتوطنة والجريمة والمتنبئين الكاذبين والمقاييس الاقتصادية، مثل البطالة التى تضيف إلى عدم استقرار وفوضى المدنية، مسهلة الطريق للمسيح الدجال»[٤٢٧].

فى الرابع والعشرين من سبتمبر ٢٠٠١م. وصل المؤشر إلى مستوى عال من القراءة طوال الوقت، حيث وصل إلى درجة ١٨٢ ووصل عدد الزائرين إلى ٨ ملايين زائر[٤٢٨]. يقول تود ستراندبيرج، مبتكر الموقع، أن أى قراءة أعلى من ١٤٥ تعنى «أن تربط حزام مقعدك»[٤٢٩]. وطبقا لتقرير أجرته مجلة التايم والـ «سى. إن. إن»[٤٣٠]:

١ ـ يعتقد ٥٩٪ من الأمريكيين أن تنبؤات سفر الرؤيا سوف تتحقق.

٢ ـ «يقول ٣٥٪ إنهم يهتمون عن قرب بالأحداث الإخبارية وعلاقتها بالنهاية القريبة للعالم منذ الهجمات الإرهابية فى الحادى عشر من سبتمبر».

٣ ـ «يقول ٣٦٪ من الذين أجرى عليهم هذا المسح، والذين يساندون إسرائيل إنهم يفعلون ذلك لأنهم يؤمنون بتنبؤات الكتاب المقدس التى تقول بأن اليهود يجب أن يسيطروا على إسرائيل قبل المجىء الثانى للمسيح».

٤ ـ «يعتقد ١٧٪ من الأمريكيين أن نهاية العالم ستحدث أثناء حياتهم».

٥ ـ « . . . وتقريبًا يعتقد ربع الأمريكيين أن الكتاب المقدس قد تنبأ بهجمات الحادى عشر من سبتمبر».

حينما نحاول تحديد مستقبل المسلمين فى الألفية الجديدة، فى ضوء الحقائق المذكورة سابقا، فإن المرء يقع تحت إغراء ممارسة لعبة نظرية المؤامرة وتصوير المسلمين كضحية لهيمنة القوة العظمى. قد يكون فى هذا المدخل شىء من الحقيقة، ولكنها ليست الحقيقة كلها، ولن تأخذنا قُدمًا فى الألفية الجديدة. بوضع اللوم كله على القوى العظمى، نحن نرتكب خطأ واحدًا، وبتصوير المسلمين كضحايا أبرياء، نرتكب خطأ آخر. هذه المنهجية ليست علمية، ولا تساعد فى حل مشكلتنا، حيث إن خطأين لا يصنعان صوابًا. يعتقد الأصوليون المسيحيون أن الحرب الأخيرة فى العالم سوف تحدث بسبب الإسلام. لقد صرح هال ليندسى بذلك بوضوح، وهو أحد أكثر المؤوّلين شهرة انتشارا وأكثرهم قراءً، يقول ليندسى:

«سوف تبدأ الحرب العالمية الأخيرة، وكما قلت فى أماكن أخرى، بسبب النزاعات المتعلقة بمن يمتلك القدس القديمة، وبشكل خاص الصراع بين الإسلام واليهودية على جبل المعبد (زكريا ١٢ : ٢، ٣)»[٤٣١].

يصبح من المحتم على المسلمين بسبب النهضة والنفوذ السريع للأصوليين المسيحيين فى السياسة الأمريكية، أن يطوروا فهمًا علميًا للمجتمع الأمريكى، دينامياته الإثنية والاجتماعية والقوى التى تؤثر على سياساته على المستويات المحلية، الإقليمية والقومية. يلعب التأثير المركب لكل تلك المظاهر دورًا مهمًا فى الاستجابة الأمريكية على الأحداث الدولية، وسياستها الخارجية الملتزمة بحماية مصالحها القومية. ولهذا، فمن الحتمى أن يكون لدينا فهم شامل للعوامل التى تؤثر على السياسة الخارجية للولايات المتحدة. يتطلب ذلك تأسيس برنامج بحثى متعدد الجوانب عالى التنظيم، منهجى ومستمر، مركز على الولايات المتحدة.

الحاجة إلى برامج ومؤسسات بحثية علمية

تظهر نتائج هذه الدراسة أنه بالرغم من الفصل الدستورى بين الكنيسة والدولة، فقد دخلت الأصولية المسيحية السياسة الأمريكية بكامل قوتها. على عكس ما يحدث فى الدول الإسلامية، حيث شكّل الأصوليون الإسلاميون غالبًا أحزابهم السياسية الخاصة التى استدعت انتباه العالم وانتقاده، بدأ الأصوليون المسيحيون الأمريكيون أولا بدعم المرشحين الرئاسيين بشكل فعّال. استطاع الأصوليون بمجرد أن تمكنوا من استيعاب كيفية عمل النظام، من الإمساك بشكل استراتيچى بزمام الحزب الجمهورى، ويقومون الآن باستغلاله ضمن الإطار المعيارى للديمقراطية الليبرالية من أجل أچندتهم الأصولية.

هل هناك رسالة مختفية فى ثنايا هذا المنهج لهؤلاء من فى الدول النامية؟ من يعرف؟ ستجد الشعوب والحضارات التى تفشل فى فهم هذا السياق الأيديولوچى الجديد للنخبة الأمريكية صانعة السياسة أنفسها فى حيرة على المدى الطويل عند التعامل مع الولايات المتحدة. بافتراض حقيقة أن الولايات المتحدة هى القوة العظمى الوحيدة فى زماننا، فإن كل أنماط البشر من أنصار البيئة، إلى نشطاء حقوق النساء، إلى المسلمين، بحاجة لدراسة وفهم المعانى المتضمنة لهذه الحقيقة الجديدة فى السياسات الأمريكية، حيث إن الأصوليين المسيحيين، مثل أية حركة أيديولوچية أخرى، لهم أچندتهم العالمية الخاصة.

سيكون من السذاجة أن نصرف النظر عن أهمية الرؤية الأصولية المسيحية للعالم بحجة أنها ظاهرة مؤقتة. فى الحقيقة، يتطلب صعود الأصولية المسيحية فى الواقع الأمريكى السياسى دراسة جادة، حيث إن بنك الأصوات الانتخابية الأصولية سوف يستمر فى فرض تأثيره على السياسات الأمريكية لعقود قادمة فى القرن الواحد والعشرين. إن القوة المتزايدة للأصوليين المسيحيين هى أمر واضح من قوتهم العددية. فى عام ١٩٩٩، بلغ عدد سكان الولايات المتحدة، ٢٧٨ مليون[٤٣٢]، وذلك طبقا للبنك الدولى. وكما صرح آلان برنكلى، فإنه من بين هؤلاء الـ ٢٧٨ مليون هناك سبعين مليونًا من الإيفانجليكيين[٤٣٣]. أيضًا تكشف البيانات الديموجرافية القومية عن اتجاه فى صالحهم. نحن نتحقق من المعانى الضمنية للاتجاهات الديموجرافية بشكل

دقيق على أساس فئات ولايات بوش فى مقابل فئات ولايات جور، كما استخدمت فى هذه الدراسة. منذ بداية القرن العشرين كان هناك اتجاه واضح للهجرة من ولايات بوش إلى ولايات جور؛ بسبب الفرص الاقتصادية الأفضل هناك. بدءا من عقد السبعينيات من القرن العشرين، انعكس هذا الاتجاه بسبب الارتفاع فى تكاليف الطاقة التى حفزت هؤلاء من بلغوا سن التقاعد إلى التحرك من الشمال إلى الجنوب. يميل المتقاعدون لأن يكونوا أكثر محافظة وتدينًا، مشكلين بذلك مكسبًا صافيًا للحركة الأصولية المسيحية. ومع زيادة عدد سكان ولاية ما، فإن مخصصها من الصوت الانتخابى يرتفع بنفس النسبة. فى انتخابات عام ٢٠٠٠م، كان عدد السكان موزعًا بالتساوى بين ولايات بوش وولايات جور، حيث كان لكليهما ٥٠٪ من عدد السكان. أظهرت التقديرات السكانية لعام ٢٠٠٣م فى وقت كتابة هذا البحث، أن عدد السكان فى ولايات بوش زاد حتى وصل إلى ٥٠,٣٪، بينما هبط عدد سكان ولايات جور إلى ٤٩,٧٪ (انظر شكل ١). لقد أسفر ذلك عن زيادة فى تخصيص الأصوات الانتخابية لولايات بوش فى الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٤م. يثير الانتباه حدوث أعلى كسب فى الأصوات، تم فى الولايات الكونفدرالية الأمريكية (CAS)، (انظر جداول ٦، ٧)، إذا استمرت تلك الاتجاهات الديموجرافية ـ مع ثبات العوامل الأخرى ـ فإنها ستؤدى إلى مزيد من النجاح السياسى للحركة الإيڤانجليكية. يضع هذا أيضًا ضغطًا متزايدًا على الديمقراطيين الذين سيجبرون على اتخاذ مواقف محافظة فى عدد من القضايا. تؤسس تلك الاتجاهات ـ بما لا يدع مجالاً للشك ـ لحقيقة أنه مع بزوغ فجر القرن الواحد والعشرين جاءت أمريكا جديدة فى كامل نشاطها، وتستحق أن تدرس بجدية، وأن تفهم بشكل أفضل من قبل الشعوب الأخرى، وبشكل خاص العالم الإسلامى.

ليس هناك نقص فى الموارد أو فى العلماء والمفكرين الأكفاء فى العالم الإسلامى للقيام بهذا التحدى. على الرغم من ذلك، فما نفتقر إليه هو رؤية والتزام لفهم العالم الحقيقى ودينامياته، والدوافع للتفاعل معه بشكل بناء لحماية مصالحنا. فى فترة ما بعد الكولونيالية، على الرغم من التحرر من الاحتلال الاستعمارى، فشل تمامًا العالم الإسلامى فى الاندماج مع الحضارات المعاصرة فى حوار صحى على أساس العلاقات المتبادلة المتساوية، بدلاً من ذلك انتهى الأمر بالعالم الإسلامى إما بلعب دور ثانوى، أو

Graph 1: Population Trends in Bush-Gore States (2000 Election) as a Percentage of the Total U.S.Population: 1850-2003
60.0
50.0
40.0
30.0
20.0
10.0
0.0
Percentage (%) of Population in Bush-Gore States
52.8 50.1 52.4 50.0 49.8 50.3 51.0 51.9 53.3 53.4 54.3 54.8 55.0 52.4 51.7 51.6 51.4 51.2 51.0 50.8 50.6 50.4 50.2 50.1 50.0 49.9 49.8 49.7
47.2 49.9 47.6 50.0 50.2 49.7 49.0 48.1 46.7 46.6 45.7 45.2 45.0 47.6 48.3 48.4 48.1 47.7 47.5 49.2 49.4 49.6 49.8 49.9 50.0 50.1 50.2 50.3
1850 1860 1870 1880 1890 1900 1910 1920 1930 1940 1950 1960 1970 1980 1990 1991 1992 1993 1994 1995 1996 1997 1998 1999 2000 2001 2002 2003
Years
Sources: For data 1850-1990, Census of Population and Housing, "1990 Population and Housing Unit Counts: United States" CPH-2, USA Census Bureau. Website: http://www.census.gov/population/www/hiscendata.html
For data 1991-2003, Bureau of Economic Analaysis (BEA), U.S. website: http://www.bea.gov/regional/spi
Bush States (30)
Gore States (21)

Table: 6

Distribution of Electoral Votes: Bush States*

Total Electoral Vote: 538
Needed to Elect: 270

No.	State	1981-1990	1991-2000	2001-2010
1	Alabama	9	9	9
2	Arkansas	6	6	6
3	Florida	21	25	27
4	Georgia	12	13	15
5	Louisiana	10	9	9
6	Mississippi	7	7	6
7	North Carolina	13	14	15
8	South Carolina	8	8	8
9	Tennessee	11	11	11
10	Texas	29	32	34
11	Virginia	12	13	13
	Total of 11	*138*	*147*	*153*
1	Alaska	3	3	3
2	Arizona	7	8	10
3	Colorado	8	8	9
4	Idaho	4	4	4
5	Indiana	12	12	11
6	Kansas	7	6	6
7	Kentucky	9	8	8
8	Missouri	11	11	11
9	Montana	4	3	3
10	Nebraska	5	5	5
11	Nevada	4	4	5
12	New Hampshire	4	4	4
13	North Dakota	3	3	3
14	Ohio	23	21	20
15	Oklahoma	8	8	7
16	South Dakota	3	3	3
17	Utah	5	5	5
18	West Virginia	6	5	5
19	Wyoming	3	3	3
	Total of 19	*129*	*124*	*125*
	Total of 30	*267*	*271*	*278*

***States won by G.W. Bush in the 2000 Presidential Election**
Source: Federal Election Commission (FEC), U.S.
Website: *http://www.fec.gov/pages/elecvote.htm*

Table: 7

Distribution of Electoral Votes: Gore States*

Total Electoral Vote: 538
Needed to Elect: 270

No.	State	1981-1990	1991-2000	2001-2010
1	California	47	54	55
2	Connecticut	8	8	7
3	Delaware	3	3	3
4	District of Columbia	3	3	3
5	Hawaii	4	4	4
6	Illinois	24	22	21
7	Iowa	8	7	7
8	Maine	4	4	4
9	Maryland	10	10	10
10	Massachusetts	13	12	12
11	Michigan	20	18	17
12	Minnesota	10	10	10
13	New Jersey	16	15	15
14	New Mexico	5	5	5
15	New York	36	33	31
16	Oregon	7	7	7
17	Pennsylvania	25	23	21
18	Rhode Island	4	4	4
19	Vermont	3	3	3
20	Washington	10	11	11
21	Wisconsin	11	11	10
	Total of 21	***271***	***267***	***260***

***States including Washington D.C. won by Gore in the 2000 Presidential Election**
Source: Federal Election Commission (FEC), U.S.
Website: *http://www.fec.gov/pages/elecvote.htm*

على أفضل تقدير برد فعل. يبدو أن السبب الأساسى لهذه الحالة هو عدم قدرة العالم الإسلامى على دراسة الغرب، وخاصة الولايات المتحدة، وإخفاقه فى توضيح مواقف علمية وعالمية حول المسائل وثيقة الصلة بالعلاقات بين الشرق والغرب، والتى قد تلهم قيادة الولايات المتحدة، ومفكريها، وصناع القرار بأن يقوموا بتطوير ردود فعل مع احترام وجهات نظرنا واهتماماتنا. من الأمر المعروف أن وسائل الإعلام الغربية والمستشرقين، غالبًا ما ينتجون معلومات وأعمالاً متحيزة ضد الإسلام والمسلمين. فى الألفية الجديدة، يصبح التحدى الذى سيواجه الحضارة الإسلامية أكثر حدة مع ظهور الأصولية المسيحية كقوة سياسية فى الولايات المتحدة. قد يؤدى هذا الوضع، إذا تم التعامل معه بجهلنا التاريخى، وعلى أساس أغراض ضيقة، إلى مصاعب إضافية بين حضارتينا، مانحًا ذلك شرعية للمدافعين عن نظرية صدام الحضارات.

ولهذا، فإن العوامل الرئيسية الضرورية من أجل فهم أفضل وأكثر صحة مع الغرب (وبشكل خاص مع الولايات المتحدة) هى كما يلى:

١ ـ أن نكتسب فهمًا موضوعيًا عميقًا عن كيفية عمل الغرب بشكل عام والولايات المتحدة بشكل خاص. يتضمن هذا عددًا من الأبعاد مثل طبيعة الديمقراطية الليبرالية الغربية ومظاهرها الخاصة فى الولايات المتحدة. كما ينبغى فهم وتقدير حساسياتهم، والديناميات الاقتصادية ـ الاجتماعية الداخلية، والعرقية (الدينية أوالأيديولوچية حيثما تكون قابلة للتطبيق) الثقافية، ومضامينها فيما يخص العالم الإسلامى، بما فى ذلك الأقليات المسلمة.

٢ ـ محاولة فهم الاتجاهات الأيديولوچية المعاصرة فى المجتمعات الغربية، أسبابها التاريخية ومعانيها الضمنية لمستقبل العالم ككل، وبشكل خاص للعالم الإسلامى.

٣ ـ استشفاف كيفية عمل وسائل الإعلام الغربية، وكيف يمكن توصيل المعلومات إليها لكى تكون أكثر توازنًا وموضوعية عند التعامل مع القضايا التى تؤثر على القدرة على التواصل، بما يؤثر على العلاقات بين الحضارتين الإسلامية والغربية.

٤ ـ ينبغى أيضًا أن ندرس القوى والحركات الأيديولوچية المعاصرة فى الغرب، وأن نحاول تحليل معانيها الضمنية فيما يتعلق بنا، وتوضيح ردود ملائمة بغرض إشراكهم فى حوار بناء من أجل فهم متبادل أفضل.

٥ ـ فى فترة ما بعد الكولونيالية، اعتمد العالم الإسلامى تمامًا على وسائل الإعلام الغربية فيما يتعلق بمعرفة الغرب على أساس يومى. تنتج وسائل الإعلام الغربية المعلومات والحقائق المهمة والملائمة من المنظور الغربى. من الممكن فى قصة إخبارية تناقش من خلال وسائل الإعلام الغربية، أن تكون بعض الحقائق الأخرى الوثيقة الصلة بالموضوع من المنظور الإسلامى، ولكن حيث إن تلك الحقائق لا تخدم غرض الغرب، فإن وسائل الإعلام الغربية لا تهتم بها. ولهذا فإن المسلمين لا يمكنهم معرفتها. وبالتالى، فإنه فى مناقشاتهم مع الغرب فى مثل تلك القضية المعينة تظل حجتهم ضعيفة وخاوية المحتوى، ولهذا فإنهم يخفقون فى الوصول إلى فهم متبادل مفيد مع الغرب، حيث يحصلون على اتفاق سلبى نتيجة لذلك. ولهذا، فإن وجود وسائل إعلام إسلامية ذات كفاءة مهنية فى الغرب، سيكون أمرًا محوريًا لبناء علاقة أكثر تساويًا وإيجابية معه.

٦ ـ يعانى السلوك العام فى الوقت الحالى تجاه الغرب فى العالم الإسلامى من ردود الفعل المتطرفة. فإما هناك رفض كامل وإدانة كاملة للغرب، أو تقليد أعمى. ليس هناك بالكاد استيعاب موضوعى لأوجه القوة والضعف للسبل والأنظمة الغربية، وهكذا، كان إخفاق المسلمين فى التعلم من الغرب بشكل منهجى وتطوير نسيج صحى يجمع ما بين أوجه القوة فى حضارتينا ـ الإسلامية والغربية.

يدرك بعض المفكرين المسلمين الحاجة إلى حوار بين الحضارتين الإسلامية والغربية. إننى أتفق تمامًا مع هذه الفكرة، ولكن من أجل أن ينتج الحوار البناء نتيجة مرجوة وصحية، فعلى العالم الإسلامى أن يستوعب ـ بمنهج علمى ـ الغرب، وتحدد التوصيات السابقة بعض المجالات المهمة فى هذا الصدد.

من أجل تسهيل الجهود السابقة، فإننا نرى ضرورة تأسيس عددًا من الدوريات العلمية، المحترمة وبرامج دراسة فعّالة، وإصدارات مخصصة بشكل خاص للدراسات الغربية، مع تركيز خاص على الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى. تكاد تنعدم الأعمال العلمية الجادة التى يقوم بها علماء مسلمون فيما يخص الغرب، وبشكل خاص الولايات المتحدة. إن أغلب ما ينتج حول الغرب فى العالم الإسلامى هو تراث

مشحون عاطفيًا لدرجة كبيرة بشكل عام، وسطحى تمامًا. وكنتيجة لذلك، فإن صناع السياسة لدينا ينتهى بهم الأمر إما فى الظلام المعرفى، وإما إلى رؤية ما تريده وسائل الإعلام والعلماء الغربيون لهم أن يروه. تتضح نتيجة هذا الأسلوب فى السياسات الخارجية الكارثية لأغلبية واسعة من الدول الإسلامية فى فترة ما بعد الكولونيالية. بشكل مشابه، يكاد لا يتخطى فهم المسيحية بين الدوائر الإسلامية والمفكرين ذوى التعليم الرفيع، حدود التساؤل عن الثالوث المقدس. إن هناك حاجة لجذب المسلمين اللامعين لكى يتطلعوا لدراسات أعلى فى المسيحية واليهودية حتى يقوموا بتوجيه القضايا ذات الصلة من وجهة نظر علاقات عبر عقائدية وعبر حضارية سليمة. ينبغى أن يكون تأسيس المسلمين لدوريات بحثية، وتقديم برامج لدراسات عليا تركز على الغرب، وتنظيم المؤتمرات والندوات حول الموضوعات ذات الصلة فى المجتمعات الغربية، بما فى ذلك العلماء الغربيون (وبشكل خاص الأصوليون المسيحيون). بالطبع، يتطلب ذلك توافر المصادر والشعور بالالتزام. إنه من المتوقع أن القيادة التعليمية فى العالم الإسلامى سوف تنهض لتلبية متطلبات هذا الزمن، وتبدأ عصراً جديداً من التنوير فيما يتعلق بالدراسات الغربية، بعد موجة أو مودة (موضة) نظرية المؤامرة التى وجهت العقلية المسلمة لأكثر من نصف قرن.

ينبغى أن ينفذ كل ذلك كجزء من برنامج بحثى علمى، ينبغى أن يصاحبه بشكل فورى تأسيس ثلاثة مراكز بحثية على مستوى عالمى على الأقل: يركز الأول على الولايات المتحدة، والثانى على الاتحاد الأوروبى، بينما يركز الثالث على اليهودية وإسرائيل. يجب أن تأخذ تلك المؤسسات الثلاث على عاتقها مهمة تطوير أجندة بحثية متعددة الأغراض، وأن تتوافر لها الموارد الجيدة لكى تستكمل البحث على مستوى عال، وأن تقدم تسهيلات على مستوى عالمى للعلماء والمتخصصين من مختلف مناطق العالم. فى الواقع، ينبغى أن تكون هناك أيضًا مراكز بحثية تركز على روسيا (بالإضافة إلى آسيا الوسطى)، والصين، والهند، حيث إن تلك دول مهمة سيتنامى تأثيرها بمرور الزمن. ينبغى أن تؤسس تلك المراكز البحثية على أساس مالى متين لضمان استقلاليتها الذاتية، ولكفالة حرية التعبير لها، وقدرتها على الاستمرار، ومدى احترامها من قبل الآخرين. من المأمول أن يساهم نجاح الجهود المقترحة فى تأسيس حوار بناء مع الغرب

ومع حضارات أخرى. وهذا بدوره سيقود فى النهاية إلى بناء جسور التفاهم بين حضاراتنا الثلاث العظمى المؤسسة على التراث المشترك للعقيدة الإبراهيمية. ينبغى أن يملأ ذلك الفراغ الفكرى الموجود الذى تقوم العناصر المختلفة باستغلاله. لأن هذا الفراغ، من دواعى أسفنا، يتم استغلاله من جانب هؤلاء الذين يدفعون المسلمين باتجاه التطرف واللجوء إلى العنف الجاهل، وعلى الجانب الآخر، يستغله هؤلاء الذين يدفعون المسلمين إلى الاستسلام أمام هيمنة الغرب والقبول الماكر لما قد يقود إليه مثل هذا الاستسلام فى النهاية، لا قدر الله، من إلغاء الهوية الإسلامية.

من سوء الحظ الشديد أنه بسبب الحادى عشر من سبتمبر والحروب فى أفغانستان والعراق، أصبحت القضية الحقيقية، مقنّعة حتى إنه بالكاد يتحدث أى واحد عنها. لنفترض ثبات العوامل الأخرى، ولم تُشَن هجمات الحادى عشر من سبتمبر، ولا حروب تقودها الولايات المتحدة فى أفغانستان والعراق، ولا أن هناك أصوليين مسيحيين فى أمريكا، فهل كانت الحضارة الإسلامية وقتها ستكون مستقرة ومزدهرة وناهضة فى مقابل الحضارات المعاصرة الأخرى؟ إذا كنا صادقين وموضوعيين، فإن إجابتنا ستكون «لا» حاسمة. تتضمن هذه الإجابة أن هناك شيء ما خاطئ بشكل أساسى فى حضارتنا. إن ما يعيبنا هو عدم قدرتنا على حل صراعاتنا بطرق سلمية. فى السيناريو السابق، حينما لا توجد هناك حروب تقودها الولايات المتحدة فى أفغانستان والعراق ولا توجد سيطرة للأصوليين المسيحيين على سياسات الولايات المتحدة، سيظل المسلمون لا ينعمون بالسلام، حيث إن تاريخهم المعاصر يثبت ذلك:

١ ـ انقسمت باكستان عام ١٩٧١م بسبب عدم قدرة نخبتها الحاكمة على حل الصراعات الداخلية سلميًا.

٢ ـ شن صدَّام حربين على إيران والكويت بسبب عدم قدرته على حل المنازعات معهم سلميًا.

٣ ـ ظل الأفغانيون بعد انسحاب القوات السوفييتية، يقاتلون أنفسهم لمدة تزيد على عشر سنوات - ممهدين الطريق لظهور طالبان ـ كان ذلك أيضًا بسبب عدم قدرتهم على حل منازعاتهم سلميًا.

٤ ـ أخفقت الدول الإسلامية فى الإقليم فى إيجاد حل سلمى للتطلعات الكردية بطريقة تحمى مصالح كل الأطراف المعنية.

ولهذا، نرى أنه حتى بدون تدخل خارجى، فإن المجتمعات والدول الإسلامية تلجأ إلى القوة والعنف لحل الصراعات داخلها وبينها. من المؤسف أن الحضارة الإسلامية قد أخفقت فى تطوير آلية سلمية متبادلة لحل الصراع سلميًا ـ Peaceful Mechanism of Conflict Resolution (PMCR). الديمقراطية هى أفضل السبل لتحقيق ذلك، حيث إنها تعلم عددًا من الأمور النبيلة مثل الفرص المتساوية للجميع، فن الوصول لحل وسط، حكم القانون، الاحترام المتبادل لأوجه الاختلاف فى الآراء والمسئولية عن أعمال معينة. فى المرحلة المبكرة بعد وفاة الرسول ﷺ، بدأت معالجة هذه النهاية من خلال التأسيس لعملية الانتخاب للخلافة. بدأت الهيئة الانتخابية فى الاتساع ابتداء بانتخاب الخليفة الأول، أبى بكر(٤٣٤). إذا قدر لعملية التوسع هذه أن تستمر، رهنًا بالتطور الخلاق، كان من المفترض أن يكون لدينا اليوم أفضل تقاليد ومؤسسات خاصة بحل النزاعات سلميًا، بشكل مشابه للغاية لما حققته الديمقراطية، بل وأفضل. ولكن، لسوء الحظ، فإن الروح الخاصة بمؤسسة الخلافة، التى كانت متعمقة فى الديمقراطية، قد تم اختطافها عن طريق القبلية وتحولت إلى ملكية مطلقة. الملكية المطلقة هى مؤسسة ميتة فى كلٍّ من الإسلام والحضارة الإنسانية، ولكن روحها لا زالت تحكم العالم الإسلامى بأشكال متنوعة (حكم السلالة الحاكمة، الإقطاعية، الديكتاتوريات العسكرية، الحكم القبلى. . إلخ). لقد حان الوقت لطرد هذه الروح الخبيثة والشريرة واللا إسلامية. تستخدم النُخْبةُ الحاكمة فى العالم الإسلامى، القوة من أجل الاحتفاظ بالوضع الراهن، وتنكل بكل الطرق بأولئك الذين يسعون نحو الإصلاح والتغيير. يخلق استخدام القوة ثقافة العنف، وفى بعض الأحيان، يصل إلى نقطة يبدأ فيها ضحايا العنف بدورهم باستخدام العنف. لقد أدى تركيز القوة المطلقة فى أيد قليلة، بالإضافة إلى الفساد واستخدام القوة والعنف من جانب النُخْبة الحاكمة فى العديد من المجتمعات الإسلامية إلى كبت التطور الخلاق للحضارة الإسلامية، وأدى إلى ركودها عبر القرون. هذا الركود هو سبب انحدارنا فى كل المجالات من الاقتصاد إلى نظام الحكم، إلى الشئون الدولية والديبلوماسية. أدى الضعف العام للحضارة الإسلامية

الناجم عن انحدارها، إلى تهميشها فى المفاوضات والمنتديات الدولية، حيث الحقوق الواجبة للكثير من المجتمعات الإسلامية، المعترف بها كليًا من قبل الأمم المتحدة، لم تمنح لها فعليًا. سببت هذه الحالة العامة عدم الاستقرار بين الكثيرين، وخلقت مناخا مواتيا للمتطرفين لكى يوجهوا وعظهم المستند على أچندتهم القائمة على العنف والإرهاب، وأن يجدوا مجندين لتنفيذها.

طالما أننا ضعفاء من الداخل، فلن نحصل أبدًا على اتفاق عادل فى أى محفل عالمى، وإذا ما نشأ الإرهاب كنتيجة، فإنه سيجعل الوضع أسوأ بالنسبة لنا. الصين واليابان يمثلان نموذجين، للدور الجيد للشعوب/ الحضارات الأضعف، الساعية لكسب الاحترام فى المجتمع العالمى. حينما كانت الصين ضعيفة، كان يسيطر عليها، بطريقة أو بأخرى، القوى التى كانت تحكمها. بمجرد أن أصبحت قوية، واكتسبت الاحترام فى المجتمع العالمى، استطاعت أن تستعيد هونج كونج وماكاو دون أن تطلق رصاصة واحدة[٤٣٥]. كان الاقتصاد اليابانى محطمًا بسبب العقوبة التى ابتليت بها بعد مأساة پيرل هاربور. ولكن إبان فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، ظهرت اليابان كقوة عظمى اقتصادية. لقد تمكنت كلٌ من اليابان والصين من استعادة مكانتيهما، ليس من خلال الإرهاب والمواجهة مع الغرب، ولكن عن طريق ترتيب البيت من الداخل والعمل بشكل وطيد الصلة مع الغرب. تحتاج الدول النامية، من أجل أن تخلق الوظائف للمواطنين، وتحقق نموًا اقتصاديًا سريعًا من أجل مستوى أفضل من المعيشة من أجل جماهيرها، إلى الاستثمار والتكنولوچيا. حيث إن دخول الأفراد منخفضة، فإن مدخراتهم ستكون منخفضة أيضا. ولهذا، فإن هناك وسيلة فعالة من أجل زيادة الاستثمار، وهى جذب الاستثمار الخارجي المباشر. ولكن الاستثمار الأجنبى المباشر يتدفق إلى الداخل فقط حينما تكون الأحوال والشروط فى الدولة المضيفة هى أحوال جاذبة، حينما يكون هناك فساد قليل، وتكون قوة العمل متعلمة، وبيئة الأعمال سلمية، إضافة إلى سياسات حكومية مواتية. أما الدولة التى تعانى من الفساد، واستغلال السلطة، وعدم الاستقرار العام، فهى آخر مكان على الأرض يمكن العمل فيه من وجهة نظر الاستثمار الأجنبى المباشر. يخدم هؤلاء الذين يلجأون إلى العنف والإرهاب، بين الدول الإسلامية، أو أى مكان آخر فى العالم، باسم الإسلام،

أهداف أعداء الإسلام؛ لأن أنشطتهم ستؤدى إلى إضعاف الحضارة الإسلامية إلى مدى أبعد من ذلك بطريقين أساسيين. أولاً: بسبب أن مجتمع الأعمال فى الدول الإسلامية سيكون مهدداً بالفوضى واللايقينية، فبدلاً من الاستثمار فى بلادهم ذاتها، سينقلون رءوس أموالهم إلى دول أخرى. إن هذا مساو للجسم الإنسانى حينما يفقد الدم ويصبح ضعيفًا. إذا ما استمر هذا الاتجاه، فإننا نقترب من خطر الموت. الإرهاب الدولى والعرقى والطائفى المرتبط بالعنف فى پاكستان هى حالة تستحق الدراسة، فقد أدت إلى إيذاء اقتصادها بشكل خطير. التأثير العكسى الثانى للعنف والإرهاب هو أن الاستثمار الأجنبى المباشر لن يأتى لذلك البلد، وسينتهى الأمر حينئذ بالجماهير إلى مسار حلزونى من الفقر: البطالة والجوع والبؤس. تلك هى بالضبط الشروط التى تخلق أرضًا خصبة للإرساليات المسيحية. أشرنا فى الفصول الأولى إلى قول الإرساليات المسيحية: يخلق الفقر والبطالة والحرب والعنف والفساد، أكثر الأحوال المفضلة لانتشار المسيحية.

فى كثير من الدول الإسلامية، حيث يشكل الفقر والبطالة نمط الحياة، نجد أن فرداً عاملاً واحداً يدعم أسرة كبيرة العدد (فى بعض الأحيان من ١٠-١٢ عضواً). إذا قتل هذا الفرد، بسبب العنف أو الإرهاب، أو أصبح معوقًا وفقد بالتالى عمله، فإن كل أفراد أسرته سينتهى بهم الأمر إلى متسولين فى الطرق. إن لديهم اختيارات قليلة. إذا لم يساعدهم التسول، فإنهم سيعملون بشكل أكثر احتمالاً لدى تجار المخدرات ورجال العصابات. ولكن إذا كان المرء يتطلع إلى حياة كريمة من خلال التعليم واكتساب المهارات المهنية والتدريب، فإن الإرساليات المسيحية تقدم أفضل البدائل المتاحة. بسبب الفقر الواسع الانتشار، والفساد والظلم فى الدول الإسلامية، «. . . تضاعف عدد الإرساليات التبشيرية فى الدول الإسلامية تقريبًا ما بين عامى ١٩٨٢ و٢٠٠١م - من أكثر من ١٥٠٠٠ إلى ما يقرب ٢٧٠٠٠، حيث يحمل تقريبا واحد من بين اثنين أمريكى الجنسية، وواحد من بين ثلاثة إيڤانجليكى»[٤٣٦]. تصف مجلة التايم العالم الإسلامى بأنه «آخر مجالات الإرساليات التبشيرية سخونة»[٤٣٧]. خلقت سنوات القتال ما بين الأفغانيين، واستغلال صدام السلطة والثروة البترولية، الشروط التى أدت إلى الحروب التى قادتها أمريكا فى كلا البلدين. يستدعى الخراب

الناجم عن الحروب المساعدة الإنسانية والإسعاف. أمدت الحاجة لهذه الخدمات الإرساليات التبشيرية الإيفانجليكية بالفرصة لتخلل البلدين، «فى أعقاب القوات الأمريكية»[٤٣٨]. لا يكمن الحل لهذه المشكلة فى إيقاف الإرساليات عن أداء مهمتها، ولكن فى ضمان عدم خلق الأحوال التى تجعل من الجماهير المسلمة هدفًا سهلاً للتبشير بسبب جهلها وفقرها وضعفها، مع وقوعها ضحية للقمع والتهميش. يستدعى هذا إصلاحات اجتماعية ـ سياسية جراحية جادة. وبالمنطق ذاته، يجعل الإرهاب والعنف المرتكب باسم الإسلام (بشكل ظاهرى لكى يخدم قضيته) المسلمين ضعفاء ويؤدى إلى نتيجة عكسية ـ حيث يجعل من كلٍّ من الإسلام والحضارة الإسلامية الكوارث الأكبر المستمرة فى التحليل النهائى. وبسبب هذا التأثير الطويل الأمد النهائى على الحضارة الإسلامية، فإن المرء يتعجب، لمصلحة من، فى الواقع، يعمل العنف؟.

فى عصر العولمة هذا، حيث كل الأمور متشابكة، لا يمكن تناول قضية الإرهاب (سواء داخل الدول الإسلامية أو خارجها) باستخفاف. بعد الثورة الإيرانية حينما هاجم صدام إيران، كانت بعض الدوائر فى العالم الإسلامى (على سبيل المثال الأصوليون من السنة والمناصرون للملكية والليبراليون والعلمانيون) كانوا سعداء إما لأنهم كانوا ضد فكرة الثورة الإسلامية أو كانوا معادين للشيعة. ثم جاء غزو صدام للكويت وتبعه الغزو الأمريكى للعراق فى عام ٢٠٠٣م. أدرك الكثيرون ممن احتفوا بهجوم صدام على إيران التأثير الارتدادى لذلك العدوان ويأسفون لنتيجته، وهم ليسوا على يقين عما إذا كان التغيير فى العراق هو المشهد النهائى للدراما أم ما زال هناك المزيد. اعتقد بعض الناس بشكل مشابه، بعد هجمات الحادى عشر من سبتمبر على الولايات المتحدة، أن الإرهابيين كانوا يستهدفون الأهداف الأجنبية، ولكن الإرهابيين بدأوا يستهدفون بعد ذلك دولا إسلامية، وقد اتخذوا الآن من پاكستان هدفهم الأساسى. جعل تركيزهم على پاكستان أن أصبحت پاكستان محط المراقبة الأجنبية[٤٣٩]، وپاكستان، لكونها الدولة الإسلامية الوحيدة التى تمتلك قوة نووية، يمكن أن تؤذى بسبب وجود تلك القوات الأجنبية والإرهابيين بسبب هذا التأثير الارتدادى للإرهاب الدولى. يمكن أن تفجر أى خسارة لمقدرات پاكستان النووية واقتصادها بسبب «لعبة الاستغماية» بين القوات الأجنبية والإرهابيين وجود البلاد

ذاته. أهذا ما يريده الإرهابيون؟ إذا كان الأمر كذلك، فلمصلحة من يعملون؟ حينما هاجم صدام إيران، لمصلحة من كان يعمل فى الواقع؟ لقد أصبح الأمر واضحًا فقط بعد عقود قليلة حينما أكمل التأثير الارتدادي لهجومه هذه الدائرة المفرغة.

أكثر الفصول مدعاة للحزن والآسى من تلك الملحمة، هو أن الإرهابيين يحولون انتباهنا عن مرتكب الجرم الأساسى إلى أطراف غير وثيقة الصلة بالموضوع، إنهم يجعلوننا نعتقد أن الغرب، وبشكل خاص الولايات المتحدة، سبب ضعف المسلمين، وهوما يعد تصورًا خاطئًا. يرجع السبب الحقيقى لضعف الحضارة الإسلامية، فى فترة ما بعد الكولونيالية، ليس الغرب بشكل عام ولا الولايات المتحدة بشكل خاص، ولكن إلى سوء إدارة النُخْبة الحاكمة فى العديد من الدول الإسلامية لمجتمعاتنا، ومواردنا، واقتصادياتنا. سأتقدم خطوة أبعد وأطرح سؤالاً أساسيّا: إذا ما استمرت العوامل الأخرى، لنفترض فى مرحلة ما بعد الكولونيالية أنه ليس هناك إسرائيل، هل تعتقد أن الدول الإسلامية جديرة باستغلال إمكانياتها الكاملة فى مجالات مثل الاقتصاد والعلم والتكنولوچيا وفن الحكم، والوصول إلى مكانة دولية من خلال ديبلوماسية سلمية فعّالة؟ ستكون الإجابة الموضوعية والعلمية، ثانية، لا حاسمة؛ لأن الفساد وسوء استغلال السلطة الذى يعد العرف السائد فى أغلب الدول الإسلامية المعاصرة، قادنا إلى المصير الذى نواجهه اليوم. تعد ماليزيا الدولة الإسلامية الوحيدة التى تظهر اليوم لنا كدولة نموذج. لقد حققت نموا سريعا ووصلت إلى مكانة محترمة بين شعوب العالم. لا يستطيع السكان فى الكثير من الدول الإسلامية، حيث يبلغ عدد المسلمون من ٨٠-٩٠ بالمائة من عدد السكان، العيش بسلام معا، ولا يمكن أن يعملوا بانسجام لبناء مصير مشترك. استطاعت ماليزيا، التى يتكون سكانها طبقًا لإحصاء عام ٢٠٠٠م من ٦٠,٤٪ من المسلمين، ١٩,٢٪ من البوذيين، ٩,١٪ من المسيحيين، و٦,٣٪ من الهندوس، وآخرين[٤٤٠]، أن تطور آلية سلمية لتسوية النزاع بشكل فعّال وناجح. تتكون الحكومة من تحالف من الأحزاب السياسية الإثنية وكل الأعراق ممثلة فى الحكومة وتسند إليهم المناصب الوزارية فى مجلس الوزراء وعلى المستويات التنفيذية والتشريعية الأخرى. من الصعب أن تجد مثل هذا المستوى الرفيع من الاحترام للمشاركة التمثيلية للأقليات الإثنية فى الحكم الفعلى فى غالبية الدول الإسلامية. وفى

هذا المجال يمكن لدول كثيرة ـ بما فيها الدول العربية ـ أن تتعلم من المثال الماليزى بعض الأمور الجيدة. تتمتع ماليزيا بعلاقات جيدة للغاية مع الغرب، وتعد الولايات المتحدة شريكها التجارى الرئيسى، كما تتدفق أيضًا الاستثمارات الأجنبية المباشرة إلى البلاد. بالرغم من هذه العلاقة الوطيدة مع الولايات المتحدة والغرب، تظل ماليزيا معبرة وفاعلة بالنسبة للقضايا الإسلامية على المستوى العالمى، وكان لها تأثيرها القوى للغاية، أيضًا تتمتع ماليزيا بالديمقراطية البرلمانية. لقد استقال رئيس وزرائها الأسبق «محاضير» الذى تولى زعامة البلاد عام ١٩٨١م وحول البلاد إلى دولة ذات اقتصاد سريع النمو، استقال بشكل طوعى من وظيفته عام ٢٠٠٣م. وهو فى أوج سلطته ومكانته، وكان بصحة جيدة واستحق كل الاحترام من الشعب [ومن أغلبية العالم أجمع]، ولم يكن أمامه تحديات سياسية، سواء من داخل حزبه الحاكم (أمنو ـ UMNO)، أو من المعارضة. إن استقالته الطوعية وتسليمه حكم البلاد لنائبه عبدالله أحمد بدوى، هو أمر لم نسمع به من قبل فى العالم الإسلامى فى مرحلة ما بعد الكولونيالية. إن ثقافة المشاركة الديمقراطية مع الأقليات العرقية والدينية والنضوج السياسى هو ما يمثل مفتاح نمو ماليزيا وارتفاع معدلات العمل والازدهار بها.

وحيث إن ماليزيا تمارس آلية سلمية لحل المنازعات بشكل صحى، فهى تحصد فوائد الاستقرار الاجتماعى ـ السياسى وتدفق الاستثمارات الأجنبية المباشرة، بينما فى معظم الدول الإسلامية، لا تضمن النُخْبة الحاكمة أن مؤسسات حل النزاع سلميًا تلعب دورا حقيقيًا، وأنها فقط قد تكون شكلاً تجميليًا. يضعف هذا من تلك الدول، وبالتالى الحضارة الإسلامية برمتها.

وصلت الحضارة الإسلامية فى القرن العشرين إلى حالة من الركود بسبب خنق الديمقراطية فى الكثير من الدول الإسلامية. وبين الحين والآخر، يرفع المفكرون المسلمون أصواتهم فى هذا الصدد، ولكنهم يعانون بشدة على يد النخبة الحاكمة التى تريد الاحتفاظ بالوضع الراهن. عمومًا، تسود فى معظم الدول الإسلامية ثقافة معادية للفكر تؤدى إلى ركود حضارتنا لدرجة أبعد من ذلك. أرى أنه ما لم تتخذ إجراءات حقيقية للتغلب على هذا العائق، فإنه لا يمكن الوصول إلى الكثير ولا حتى القليل. الآن، حيث إن هناك ضغطًا أمريكيًا لتفعيل العملية الديمقراطية فى العالم الإسلامى،

فإن من واجب المفكرين الإسلاميين أن يستثمروا هذه الفرصة وأن يتأكدوا من أن أسس الديمقراطية الحقيقية قد تم إرساؤها بشكل حاسم فى العالم الإسلامى، ومع اتخاذ الإجراءات الملائمة لضمان عدم اختزال الديمقراطية إلى مجرد طقوس انتخابية، مثلما حدث فى باكستان حيث بقيت النخبة الإقطاعية راسخة بشكل ثابت لدرجة أن لا أحد يستطيع، سواء كان حكمًا عسكريًا أوحكومة ديمقراطية، أن يفعل أى شىء دون دعمهم أو مباركتهم، وبالتالى فإن الوضع الراهن إجمالاً لا يزال كما هو. إن قبضة النخبة الإقطاعية على النظام الاجتماعى - السياسى والجهاز الإدارى حابطة للغاية. فهى تريد أن يظل الناس فقراء وغير متعلمين حتى تظل الجماهير، معتمدة عليها. هذه الحقيقة قد أثبتها تاريخ باكستان منذ استقلالها عام ١٩٤٧م، وقد أعلن عنها مؤقتًا من قبل طالب فى المرحلة الثانوية من بلدة سكور فى ولاية السند الريفية، شارك فى مؤتمر القادة الشباب فى عام ٢٠٠٤م بكراتشى. لقد قال إن والده فلاح وأن كل إخوانه يعملون فى فلاحة الأرض، وأنه الوحيد الذى يذهب إلى المدرسة، ولكن اللوردات الإقطاعيين فى منطقته لا يريدون لشباب المنطقة أن يذهبوا إلى المدارس ويكتسبوا المعرفة[٤٤١].

عقدت فى باكستان العديد من الانتخابات، ولكنها لا تزال بعيدة كل البعد عن أن تكون ديمقراطية أصيلة؛ لأن الإقطاع ما زال مستبدًا. وكنتيجة لذلك، تسفر الانتخابات دومًا عن نجاح نسبة كبيرة من لوردات الإقطاع الذين يتم انتخابهم للبرلمان والجمعيات التشريعية الإقليمية، والذين ينتهى بهم الأمر إلى السيطرة على الحكومات الفيدرالية، الإقليمية والمحلية؛ لأن الفلاحين (المستسلمون بعبودية للوردات الإقطاع) ليس لديهم خيار سوى التصويت لأسيادهم.

حينما تُحدث الحكومات الأهلية الفوضى بالبلاد، تتولى السلطة العسكرية أمر البلاد، وحينما تعبث تلك السلطة العسكرية بدورها بمقدرات البلد، فإن السلطة المدنية تستعيد الحكم، مما لا يشكل، من حيث المبدأ، شيئًا سوى «فيودقراطية - feudocracy» (حكم لوردات الإقطاع المشروع من خلال الانتخابات). كان السبب الحقيقى للتدخل العسكرى فى باكستان دوما هو النظام الفاسد للفيودقراطية. لقد ازدهرت الديمقراطية الهندية؛ لأن الهند طبقت الإصلاحات الخاصة بالأراضى الزراعية بشكل فورى بعد

الاستقلال، محررة بذلك المجتمع من قبضة الإقطاع. لقد مهد ذلك الطريق للديمقراطية الأصيلة. بشكل مشابه، خاضت الولايات المتحدة حربا أهلية فى عقد الستينيات من القرن التاسع عشر فى محاولتها لجلب الحرية للعبيد من نخبتها الإقطاعية الذين أرادوا الاحتفاظ بالعبودية من أجل العمالة الرخيصة فى الزراعة. على هؤلاء الذين يريدون تحقيق ديمقراطية أصيلة فى پاكستان، أن يظهروا التزامهم الجاد بالقضية من خلال الدعم العملى والفعّال للإصلاحات الخاصة بالأراضى الزراعية (من خلال الوسائل السلمية التفاوضية، فى إطار آلية جيدة التنظيم بحيث تضمن المصالح الاقتصادية لملاك الأراضى) وبشكل مشابه، سيتطلب تأسيس ديمقراطية أصيلة فى العالم العربى أيضًا إصلاحات هيكلية جادة بشكل متسق مع البنية الاقتصادية ـ الاجتماعية الخاصة لكل دولة عربية. وفى هذا الصدد، سيكون دور المفكرين المسلمين وعلماء الاجتماع حاسمًا، حيث إنهم سيقومون بتحديد مجالات الإصلاح، وإشراك الجماهير والنخبة الحاكمة والغرب (وبشكل خاص الولايات المتحدة) فى حوار بناء.

تمثل عملية الإصلاح الديمقراطى فى الدول الإسلامية أيضًا أهمية لعدد من الأسباب، وبشكل خاص من منظور محو الفقر من خلال تنمية اقتصادية مستديمة، وفعاليتها فى السياسات العالمية. إذا لم يكن المجتمع ديمقراطيًا، فلن يستطيع التعامل بفعالية مع الديمقراطيات الأخرى. هذه هى الورطة الكبرى لدى معظم الدول الإسلامية فى الحضارة الإسلامية المعاصرة، حينما يتعلق الأمر بعلاقتهم بالغرب.

إذا نظرنا إلى الحركة الأصولية المسيحية الأمريكية، سيكون من الواضح أن الحركة فى مطلع القرن العشرين، وخاصة بعد محاكمة سكوپس، قد واجهت مشكلة خاصة بالصورة الذهنية لها فى عيون المجتمع الأمريكى. لم تكن وسائل الإعلام الأمريكية ولا الرأى العام متعاطفين معها. لقد أدرك قادة وأتباع الحركة تلك المشكلة وتصدوا لذلك التحدى. لقد حاولوا تثقيف الرأى العام الأمريكى حول طبيعة رسالتهم والقضايا التى انتصروا فيها. يمكن قياس نجاح تأثيرهم على الرأى العام الأمريكى من حقيقة أنهم اليوم، لم يسيطروا فقط على البيت الأبيض، والكونجرس ووسائل الإعلام، لكنهم أيضًا مارسوا الضغط على الليبراليين. بدلاً من أن يطور الليبراليون الأمريكيون رد فعل مضاد، فإنهم يستسلمون تدريجيًا لتلك الضغوط. يتضح هذا من

فشل كلينتون فى تمرير خطته الصحية من الكونجرس فى فترته الأولى من الحكم. استسلم كلينتون، الذى دافع عن القبول الصريح للشواذ فى القوات المسلحة فى الولايات المتحدة، أمام الضغط الأصولى، وتراجع عن سياسة الاعتراف الصريح. بدلاً من ذلك، توصل إلى حل وسط من خلال اللجوء إلى مبدأ «لا تسأل-لا تقل» فى التجنيد العسكرى. لقد توصل جور أيضًا إلى حل وسط بالنسبة لعدد من القضايا مثل البيئة والتحكم فى الأسلحة. . إلخ. عند التعامل مع الحكومة الأمريكية وصناع السياسة، يكون اسم اللعبة هو «الرأى العام الأمريكى». إذا كانت الدول الإسلامية ترغب فى تحقيق علاقة سلمية وبناءة مع الولايات المتحدة فى الألفية الجديدة، سيكون عليها أن تتصدى للتحدى الخاص بمخاطبة الرأى العام الأمريكى، وتطوير علاقة صحية معه. إنه لتحد هائل، بالفعل، ولكنه ليس مستحيلاً، وهو أيضًا ضروريًا يتسم الشعب الأمريكى بنزعة لتقبل المقترحات، وتفهم والاهتمام بالآخر، وهناك طريقة للوصول إليهم. إن هناك طرقًا لتحقيق هذا الهدف، ولكن بسبب قيود الوقت والمساحة، فإننا سنتصدى لمعالجة هذا الموضوع فى المستقبل.

لقد ناقشنا حتى الآن عدداً من القضايا فى سياق العالم الإسلامى بشكل عام، والذى يتضمن بشكل أساسى الدول الإسلامية. على الرغم من ذلك، هناك مسلمون أمريكيون أيضًا. إنهم يتكونون من مجموعتين متميزتين: أهل البلد الأصليين المسلمين (وهم من البيض والأمريكيين من أصل أفريقى الذين اعتنقوا الإسلام)، والمهاجرين من الدول الإسلامية. يشكل المهاجرون الغالبية بين المسلمين الأمريكيين حاليًا. لم يتكيف بشكل كامل معظم هؤلاء المهاجرين المسلمين مع النظام الأمريكى. فى الواقع، يمكن للمهاجرين الأمريكيين أن يتعلموا الكثير من مسلمى أهل البلد عن آلية عمل المجتمع والنظام الأمريكى، إذا ما عملوا بشكل وثيق معهم. تاريخيًا، كان للمهاجرين المسلمين مشاركة بسيطة فى النظام الاقتصادى- الاجتماعى الأمريكى بسبب عوامل متنوعة. بعض التبريرات الشائعة بينهم، كما يقول بعضهم، «إننا الجيل الأول من المهاجرين وأن أولويتنا هى تأسيس وجودنا أولاً». قام للمرة الأولى المهاجرون المسلمون بشكل جماعى كمجتمع بتدعيم مرشح رئاسى، وهو جورج دبليو بوش فى الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٠م. يتراوح عدد السكان المسلمين فى

الولايات المتحدة ما بين ٥ ـ ٧ ملايين. فى الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٠م، بين هؤلاء الذين أدلوا بأصواتهم الانتخابية، صوّت ما بين ٧٠-٨٠ بالمائة لصالح بوش. طبقًا ليوجين بيرد، رئيس مجلس المصلحة القومية، «فاز بوش فى ولاية فلوريدا ـ وهى ولاية رجحت كفة الفائز بفارق خمسمائة وسبعة وثلاثين صوتًا ـ بأكثر من ٦٤٠٠٠ صوتًا من المسلمين أكثر من جور[٤٤٢]. بمجرد فوز بوش، توقع الأمريكيون المسلمون أرباحا كبيرة. ثم غير الحادى عشر من سبتمبر من الموقف. إنهم يشعرون الآن أن عليهم أن يحموا أنفسهم وأطفالهم من التصور السلبى العام من الأمريكيين عن المسلمين والإسلام فى أمريكا. وكنتيجة لذلك، فهم يشاركون، بشكل غريزى، فى مختلف الأنشطة الاجتماعية السياسية والمنتديات التى قدمتها الديمقراطية الليبرالية الأمريكية لمواطنيها لحماية وجهات نظرهم وتثقيف الرأى العام. كان الصراع من أجل البقاء فى فترة ما بعد هجمات الحادى عشر من سبتمبر عاملاً رئيسيًا يكمن خلف فعاليتهم السياسية الجديدة. بشكل ما، يعد ذلك علامة جيدة تدل على أنهم أخيرًا يتعلمون كيف يعمل المجتمع والديمقراطية الأمريكية.

ولكن ينبغى عليهم من منظور النتائج المؤثرة على المدى الطويل، أن يتذكروا أن أمريكا هى مجتمع ديمقراطى عريق وأن الرفيق الأمريكى هو جار شديد الاعتناء بجاره الذى رحب بالقادمين الجدد خلال التاريخ الأمريكى كله. ينبغى على الأمريكيين المسلمين أن يعلموا أيضًا أنه كما استغرق أمر تكيفهم مع المجتمع الأمريكى وقتًا، فإن رفقاءهم الأمريكيين، سيستغرقون أيضًا، بشكل طبيعى وقتًا، لكى يتكيفوا معهم. إن سرعة تكيف الأمريكيين على الأمريكيين (المهاجرين) المسلمين يتعلق بشكل إيجابى بسرعة تكيف المسلمين مع النظام والمجتمع الأمريكيين. كلما أنجز المسلمون ذلك بشكل سريع وفعال، كانوا أكثر فعالية فى الديمقراطية الأمريكية، وكلما كانوا أكثر قربا من الرفقاء الأمريكيين، عظمت فرصة المجتمع الأمريكى لتكوين صورة «قريبة» للمسلمين. كلنا نعلم أن اللقطات القريبة تعطى صورة أوضح وتساعدنا على فهم الحقيقة بشكل أفضل وإزالة كل التشوهات التى تخلقها الرؤية البعيدة. ولهذا، فإن التفاعل الوثيق بين المسلمين ورفقائهم الأمريكيين، سوف يسمح للمجتمع الأمريكى أن يكون أكثر تقديرا للمسلمين من خلال اكتشاف أوجه التشابه التى يتشارك فيها

المجتمعان والقيم التى يتعلقون بها. من شأن ذلك أن يكسر الحواجز ويعزز التفاهم المتبادل، والمشاركة والتعاون باتجاه تحقيق الأهداف والمثل العليا التى يشارك كلا الطرفين فيها ويهتم بها. سيساعد ذلك أيضًا على التغلب على أية تصوير نمطى للمسلمين والإسلام، قد يكون الرفقاء الأمريكيون قد وضعوه برءوسهم بفضل سوء الفهم الناجم عن الدعاية السلبية من جانب طرف ثالث. يعنى ذلك أيضًا أنه لو أراد المسلمون، كمواطنين أمريكيين، التعاون ودعم رفقائهم الأمريكيين فى حل مشاكلهم، إذن فهم، كمواطنين، ينبغى أن يهتموا بمشاكل المجتمع الأمريكى والمساهمة طواعية فى حلها. ولهذا، فإن الاندماج فى الشئون الداخلية، مثل المجلس المحلى، ومجلس إدارة المدرسة والحكومة المحلية، والمساهمة فى حل المشاكل الاجتماعية على المستوى المحلى من خلال العمل التطوعى، هو المفتاح تجاه تطوير الثقة المتبادلة بين كلا المجتمعين. يمكن أن يوفر هذا الاندماج على المستوى المحلى أساسًا قويًا وشبكة يمكن الوثوق بها لأنشطة على المستويين الدولى والمحلى. يمكنه أيضا أن يقرب ما بين الأمريكيين اليهود والأمريكيين المسلمين، ويساعد بشكل تدريجى فى إزالة شكوك كل طرف عن الآخر. يمكن لهذا الحافز إذا ما كتب له الاستمرار وتطور إلى ثقة متبادلة تؤدى إلى فهم عام للقضايا الأكبر أن يساعد كلا المجتمعين فى أن يتعاونا فى وضع صراع الشرق الأوسط فى مسار المصالحة الصحية والسلام الدائم والمحترم والمتفق عليه. وبذلك يمكن إزالة مخاوف حرب هرماجدون للأبد. على الناحية الأخرى، فإن فشل المجتمع الأمريكى المسلم فى الفوز بالقبول على المستوى المحلى، يمكن أن يبقيه ضعيفًا قابلاً للاختراق، مما يعوقه بالتالى عن تحقيق الإمكانات الكاملة التى توفرها الديمقراطية الأمريكية العظيمة. يشير وليام مارتن لما يقوله رالف ريد: «ولكنك إذا فزت بالبيت الأبيض ولم تسيطر على أى شىء دونه [يقصد الرأى العام والكونجرس والإعلام]، فإن ذلك يمكن أن يكون نصر مثل نصر بيره(*) كما اكتشفنا مع ريجان وكما اكتشف اليسار مع كلينتون»(٤٤٣). لن يكون من غير الواقعى أن تطلب من الأمريكيين المسلمين الذين ساندوا چورج دبليو بوش فى عام ٢٠٠٠م أن يقيموا الجملة السابقة لرالف ريد فى ضوء تجربتهم الخاصة.

(*) انتصار ينتزع بثمن باهظ جدًا وبدون فائدة تقريبًا ـ المترجمة.

وأخذًا فى الاعتبار تكوين المجتمعات الإسلامية وثقافتها، ينظر المسلمون المهاجرون فى الولايات المتحدة إلى البيت الأبيض كمنبر لحل مشاكلهم، ولكن ما نسوه هو أن الطريق إلى ١٦٠٠ بنسلفينيا آفينيو، يمر عبر الرأى العام(٤٤٤). حتى البيت الأبيض وأعضاء الكونجرس يسعون إلى دعم العمد، والقادة المحليين، حينما يريدون الدفع بعناصر أجندة رئيسية. وكما يقول القالب المحفور (الكليشية)، كل السياسات فى أمريكا، هى سياسات محلية. ولهذا إذا كان الأمريكيون المسلمون، يسعون إلى تحمل مشاركة ذات مغزى فى المجتمع الأمريكى، فإنه سيكون عليهم أن يأسسوا جذورًا محلية من خلال العمل يدًا بيد مع رفقائهم الأمريكيين من كل الطوائف من أجل الرفاهة الجماعية للجميع فى مدنهم وولاياتهم الخاصة. بكلمات أخرى، إذا رغب الأمريكيون المسلمون أن يعاملوا ويحترموا ويكونوا محل رعاية كمواطنين، فإن عليهم أن يشعروا ويسلكوا سلوك المواطنين أيضًا. إنهم محظوظون لوجودهم فى بلد تتوافر لديهم سبل الوصول إلى مراكز القوى من خلال المدن الصغيرة. فمثل هذه الفرص غير متوفرة بالمرة فى الكثير من الدول الإسلامية.

فى العديد من الحالات، تتأثر الفاعلية والمشاركة السياسية للأمريكيين المسلمين بالسياسة الخارجية الأمريكية فى الشرق الأوسط، أو جنوب آسيا، أو مناطق أخرى عزيزة على قلوبهم. وكنتيجة لذلك، كان الكثيرون منهم يمتنعون عن أى مشاركة سياسية مجادلين بأنه لا فرق هناك إذا ما أعطيت صوتك لديمقراطى أو لجمهورى؛ لأن لكلا الحزبين، بشكل أو بآخر، السياسة ذاتها باتجاه العالم الإسلامى.

ليس هناك من شك، فى أن السياسة الخارجية الأمريكية فى الوقت الحالى متأثرة بشكل كبير باليمين المسيحى فى عدد من قضايا السياسة الخارجية - حتى إدارة كلينتون، رضخت لليمين المسيحى فى عدة قضايا. يعود ذلك لحقيقة أن اليمين المسيحى يتمتع بقبضة قوية على الكونجرس الأمريكى(٤٤٥). ينسى المسلمون المهاجرون عند تبنى هذا المدخل، أنهم مواطنون أمريكيون أولاً، ويأتى أى شىء آخر فى المقام الثانى. إن التزامهم الرئيسى كمواطنين مسئولين ينبغى أن يكون ممارسة حقهم فى التصويت كواجب قومى، وأن يصوتوا لهؤلاء المرشحين / الأحزاب والبرامج التى ستحقق الخير لأمريكا. ثم قد يكون المعيار الثانى تقييم الأحزاب والمرشحين فيما يتعلق باهتمامهم

وإدراكهم لقضايا الأقليات؛ لأن المسلمين أنفسهم هم أقلية. وبمجرد تطبيق هذين المعيارين، لن يكون هناك أى تبرير لعدم التصويت أو لإضاعة الصوت الانتخابى. لأنه لو فازت تلك الأطراف التى تعطى اعترافًا أكثر بالأقليات، فإن المسلمين، كأقلية، سيكون وضعهم أفضل فى النظام الأمريكى. من موقع القوة هذا، على المدى الطويل، سيمكنهم أن يساهموا أكثر فى المجتمع الأمريكى وحتى فى القضايا المتعلقة بالسياسة الخارجية ذات الصلة بمصلحتهم. لن يكون من الواقعى للمسلمين الأمريكيين فى هذه المرحلة أن يهدفوا إلى تغيير السياسة الخارجية الأمريكية من خلال أصواتهم الانتخابية. يجب أن يتعلموا التمييز بين الأهداف القصيرة والطويلة الأمد. على المدى القصير، ينبغى أن يكون هدفهم هو تحقيق ثلاثة مقاصد. أولاً: ينبغى عليهم من خلال فعاليتهم الاجتماعية ـ السياسية وإسهامهم فى حل المشاكل على المستويين الدولى والمحلى أن يكتسبوا ثقة المجتمع الأكبر. ثانيًا: ينبغى أن يعملوا من خلال إنشاء شبكات مع مجموعات ومجتمعات المواطنين من أجل قضايا عامة، وينبغى أن يعتمد الآخرون عليهم. سوف يجعل منهم الالتزام المخلص برفاهة المجتمع الأمريكى ولمنزلة أمريكا الرفيعة معبرًا بين أمريكا والعالم الإسلامى، حيث إن المجتمع الأمريكى سيضع ثقته بهم. يوجد الآن «فراغ فى الثقة» خطير بين العالم الإسلامى والولايات المتحدة. إننا جميعًا نعلم أن نقص الثقة هذا هو عقبة كبيرة فى القضية الإسرائيلية الفلسطينية. بمجرد أن يكتسب المجتمع الأمريكى المسلم ثقة المجتمع الأمريكى الأكبر، سيمكنه حينئذ أن يلعب دورًا بنّاءً للغاية فى خلق الثقة المتبادلة بين الولايات المتحدة والعالم الإسلامى. بمجرد أن يحدث ذلك، سوف يبدأ المجتمع الأمريكى ذاته، على أساس هذه الثقة، بالتغيير تغييرًا إيجابيًا فى مختلف مظاهر السياسة الخارجية الأمريكية، وتلك التغيرات التى يرمى إليها المسلمون الأمريكيون اليوم، سيتم دعمها من قبل الجميع فى المجتمع الأمريكى، سواء كانوا يهودًا أو مسيحيين أو يمثلون معتقدات أخرى. ثالثًا: بينما ينصب المسلمون الأمريكيون أعينهم على المدى الطويل، فعلى المدى القصير ينبغى أن يتجنبوا إغراء إضاعة أصواتهم (سواء من خلال عدم التصويت، أو من خلال تجنب التصويت لأىّ من الحزبين). بدلاً من ذلك، ينبغى أن يكون هدفهم على المدى القصير هو استخدام صوتهم الانتخابى بشكل فعال لإعطاء انطباع قوى لدى النظام ونشطائه،

إن بنك الأصوات الانتخابية المسلم يمكن أن يكون فارقًا بين الانتصار والهزيمة. وكلما أدرك الأمريكيون، فى وقت سريع، أن بنك الأصوات الانتخابية المسلم يمكن توظيفه كعامل حاسم من قبل النظام، استطاع المسلمون الوصول لأهدافهم بشكل مبكر. فى هذا الصدد، سوف يحتاجون أيضًا لأن يعملوا على الوصول إلى الرأى العام الأمريكى من خلال إقامة الشبكات مع مجموعات ومجتمعات أخرى نشطة فى قضايا متنوعة. وبشكل مشابه، من أجل لعب دور المعبر الموثوق به بين أمريكا والعالم الإسلامى، سيكون عليهم الاندماج فى حوار بناء مع الجميع، لضمان مذهب متوازن يمكن الوثوق به من قبل العالمين الإسلامى والغربى.

قام هذا الفصل بتعريف المشكلة الحقيقية، وعرض أيضًا التوصيات اللازمة لتصحيحها. من وجهة نظرى، أن سبب المشكلة، من حيث المبدأ، هو الضعف العام والكلى للحضارة الإسلامية المعاصرة، التى أصبحت حتى أكثر ضعفًا فى نصف القرن الأول من استقلالها عن فترة الحكم الاستعمارى. نجم هذا الضعف عن ركود على مدى قرون بسبب نقص التطور الخلاق. وكما يحاول هذا الكتاب دراسة المشهد الأمريكى السياسى المعاصر، فإن تركيزنا كان منصبًا على الأصولية المسيحية، والتى تعد فى الوقت الحالى القوة الدافعة الرئيسية فى واشنطن. ولكن ذلك لا يعنى أن الأصوليين المسيحيين هم مسئولون عن الأداء الردىء للحضارة الإسلامية. فى الواقع، تمر الحضارة الإسلامية المعاصرة بحالة انحدار غير مسبوقة، بحيث تجعل منها فريسة لأى جهة. هُوجم العالم الإسلامى فى العقود الحديثة الماضية، ليس فقط من قبل القوى العظمى وحدها والقوى الصغرى، ولكن من قبل قوى لا وزن لها مثل أرمينيا وكرواتيا وصربيا، وفى كل مرة لم تكن قادرة على حماية نفسها. نجد اليوم أن الأغلبية الواسعة من اللاجئين حول العالم هم من المسلمين. وبغير مساعدة الولايات المتحدة، كان من الممكن أن تظل أفغانستان وباكستان لمدة طويلة متقاسمتين بين الاتحاد السوفييتى والهند، وما كان للبوسنة والهرسك أن تقوم لها قائمة فى شكلها الحالى. القضاء على الفساد العام للحضارة الإسلامية هو ما ينبغى أن يكون اهتمامنا الأول عند مطلع الألفية الجديدة، وإلا فإن التركيز الشامل على الأصولية المسيحية سيكون مصدرًا آخرًا للتمزق، ويوفر تغذية أكثر لمنظرى المؤامرات وهؤلاء الذين يعظون بالعنف.

قـد تكون لدينا أفكار ومبـادئ إسلاميـة عظيـمـة، ولكنهـا لا تعـمل لأننا لـم نطور المؤسسـات التى يمكنهـا تطبيق تلك المبادئ فى العالم المعاصر. إذا ما تم العـمل على المقترحـات الواردة هنا، فـإن ذلك قـد يمكننا من استـعـادة التطور الخـلاق للحضـارة الإسلامية وبالتالى، ستنتعش ديناميتهـا، وسيكون بإمكانها مواجهة التحديات الماثلة أمامها. ينبغى أن تكون أولويتنا الأولى ترتيب البيت من الداخل، مثل الصين واليابان، بينما نتفاعل فى الوقت ذاته، مع بقية العالم على أسس معلوماتية وعقلانية. بمجرد أن يحدث هذا، سوف تذلل العقبات وسوف تلقى اهتماماتنا وآمالنا الاهتمام الواجب. سوف تكون هذه عـملية بطيئة وتدريجية، طبقًا لتقدمنا فى عملية ترتيب منزلنا من الداخل، وبالتالى، الفوز بثقة الآخرين من خلال الظهور أمام العـالم بمظهر القادر على النهوض بمجتمع مسئول. فيما عدا ذلك، حتى لو أصدرت الأمم المتحدة القرارات لصالحنا، فلن يهتم أحد بالمراهنة على حصان خاسر، حيث إن السياسات الخارجية للأمم تقوم على أساس مصالحها القومية التى ترشدها الواقعية.

ولنصل إلى خـلاصـة للمناقـشة برمـتـهـا، إننى مندهش؛ لأن مـا وصلنا إليـه من استنتـاجـات هـنا هي في الواقـع ليـست جـديدة، حـيث تم بيـان ذلك فى القـرآن الكريم، ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

* * *

الهوامـــش

هوامش الفصل الأول:

The data generated in an election will be reliable and worthy of scientific study only if the country is fully democratic. This is when: (i) its constitution guarantees the human rights of its citizens and the independence of the judiciary, and the freedom of the press fully protects these human rights (ii) its government, together with its entire administrative machinery, is subject to the same laws and rules that govern all other political parties, and (iii) there is equal opportunity for, and equal treatment of, all.

[2] For the relationship between the performance of the U.S. economy and the vote for the incumbent party presidential candidates (1932-1996) see: Thomas R. Dye, Politics in America, 2nd ed. (Upper Saddle River: Prentice Hall, 1997), 281-282. See also Muhammad Arif Zakaullah, "Values, the Economy and Metaeconomics in the 2000 U.S. Presidential Election: A Historical Perspective (1896-1996)" in *Intellectual Discourse*, Vol. 9, No. 1 (2001), 1-28.

[3] After polling ended on Nov. 7 and statewide vote counting results started coming in, it became obvious that the race was very tight. The media, in a race to get the credit for breaking the news first, initially projected a Gore victory in Florida on the basis of exit polls. Later, as results of more Florida counties became available, the media reversed their position and projected Bush to be the winner in Florida. Victory in Florida had become crucial for both candidates as out of a total of 538 electoral college votes Gore had 267 while Bush's score was 246. Whoever could win a total of 270 electoral votes would be the 43rd President of the US. Since Florida had 25 electoral votes, it was going to decide the next President of the US. After the networks projected Bush to be winner, Gore called Bush and conceded. According to *the Asian Wall Street Journal* (Dec 15-17, 2000) as the networks put the state back in too-close-to-call status for a second time, at 3 a.m. Gore called Bush to retract his concession. As the events unfolded it became clear that there were a number of problems in the balloting e.g. voting machines were very old and broken, hence many of them were malfunctioning. The way the ballot papers were printed, when the voters used these machines to vote in favor of Gore, they ended up marking the vote in a manner that either it looked like a vote for Mr. Bush, or the mark came out in such a way that according to the rules, in a machine count it would be rejected. The Gore camp appealed for a hand recount and this led to court battles between the two camps, first in the Florida state's Supreme Court and then in the US (Federal) Supreme Court. The *Time* magazine (Asian edition, December 4, 2000) summarized the positions of the two camps in these legal battles as follows:

Democrats say election officials must count any ballot for which they can reasonably determine the voter's intent, including dimpled chads - ballots on which a box for a candidate was intended but not actually pierced. The Republicans argue that the voting machines are more reliable than humans and that no ballot should count if it doesn't register in machine tabulation.

The Bush camp finally took the case to the US Supreme Court which ruled in their favor by a narrow 5-4 margin.

[4] In support of this argument see an interesting discussion focusing on: The relationship between the US economic conditions and the vote for incumbent party presidential candidates (1932-1996) in: Thomas R. Dye, *Politics in America* (second edition, 1997), (New Jersey: Prentice Hall), 281-282.

[5] How Two Parties Became the Coke and Pepsi of Politics: Seesawing US Campaign Belied Uncanny Balance, *The Wall Street Journal of Europe,* (December, 15-16, 2000), 1 and 9.

[6] *Funk & Wagnalls New Encyclopedia, s.v..* "Metaphysics." "The term '*metaphysics*' is believed to have originated in Rome about 70 B.C., with the Greek peripatetic philosopher Andronicus of Rhodes (fl. 1st cent. B.C.) in his edition of the works of the earlier Greek philosopher Aristotle... In the arrangement of Aristotle's works by Andronicus, the treatise originally called the *First Philosophy*, or *Theology*, followed the treatise *Physics*. Hence the *First Philosophy* came to be known as the *meta (ta) physica*, or '*following (the) Physics*,' later shortened to *Metaphysics*. The word took on the connotation, in popular usage, of matters transcending material reality. In the philosophic sense, however, particularly as opposed to the use of the word by occultists, metaphysics applies to all reality, and is distinguished from other forms of inquiry by its generality". According to the Dictionary of Philosophy, the secondary and derivative meanings of the term metaphysics are: (a) Anything concerned with the supra-physical. Thus "metaphysical healing", "metaphysical poetry", etc. (b) Any scheme of explanation which transcends the inadequacies of ordinary thought. See, *Dictionary of Philosophy: Ancient, Medieval, Modern*, edited by Dagobert D. Runes and others, (Totowa: Littlefield, Adams & Co, 1981), 196.

[7] Muhammad Arif Zakaullah, "Values, the Economy and Metaeconomies in the 2000 US Presidential Election: A Historical Perspective (1896–1996)", *Intellectual Discourse*, vol. 9, No. 1, 2001, 1–28.
The idea of metaeconomics had been formulated and discussed earlier as well. A very useful reference is as follows: G. D. Lynne, Divided Self Models of the Socioeconomic Person: The Metaeconomics Approach, *Journal of SocioEconomics*, Vol.28, No.3, 1999, 267-289.

[8] Christine Rider, *An Introduction to Economic History* (Cincinnati : South-Western College Publishing, 1995), 315-344. Also see Alan Brinkley, *The Unfinished Nation*, (Boston: McGraw Hill, 2000), 579-603

[9] Alan Brinkley, *The Unfinished Nation*, 666-705

[10] Ibid., 698-730

[11] Ibid., 731-843

[12] Ibid., 844-913

[13] Ibid., 875-960

[14] Ibid., 945-973

[15] Ibid., 970-983

[16] Ibid., 981-1001

[17] " ... the most politically damaging scandal of the Reagan years came to light in November 1986, when the White House conceded that it had sold weapons to the revolutionary government of Iran as part of a largely unsuccessful effort to secure the release of several Americans being held hostage by the radical groups. Even more damaging was the revelation that some of the money from the arms deal with Iran had been covertly and illegally funneled into a fund to aid the contras in Nicaragua. In the months that followed, aggressive reporting and a

highly publicized series of congressional hearings exposed a widespread pattern of covert activities orchestrated by the White House and dedicated to advancing the administration's foreign policy aims through secret and at times illegal means ". Source: Alan Brinkley, *The Unfinished Nation*, 1006-1007

[18] Ibid., 1002-1018

[19] *The New Straits Times*, Kuala Lumpur, Malaysia, (November 6, 2000), 21.

[20] Although the millions of citizens who vote in the November election rightly think that they are deciding who shall be President, only the members of the electoral college who number 538 are, under Article II and Amendment XXXIII of the Constitution, entitled to vote directly for President and Vice-President. Each state appoints a certain number of its members to the Electoral College using a common formula. The formula requires that the total number of members to the Congress: but no Senator or Representative, or person holding an office of trust or profit under the United States, shall be appointed an Elector. How states choose their electors is, under Article II, Section I, paragraph 2, of the Constitution, determined by state legislatures. Source: Walter Berns (ed), *After the People Vote: A Guide to The Electoral College*, (Washington, D.C, The AEI Press, 1992), 8 and 71

[21] Alan Brinkley, *The Unfinished Nation*, A-32

[22] Some quarters have attempted to argue that the US Supreme Court decision favoring G.W.Bush was partisan as the court consisted of a total of 9 judges of whom 7 were appointed by Republican Presidents (Nixon, Ford, Reagan and George Bush) while only 2 were Democratic appointees under the Clinton presidency. For details of US Supreme Court composition please see: Flipping the Script, *Time* (Asian edition), (December 18, 2000), 32-35.

[23] http://www.fec.gov/pubrec/2000predgeresults.htm

[24] College Bound? *Time* (U.S. Edition), (Nov. 20, 2000), 42-45

هوامش الفصل الثاني:

[25] http://www.fec.gov/pubrec/2000predgeresults.htm

[26] Alan Brinkley, *The Unfinished Nation*, A-36

[27] Ibid, A-36.

[28] Geographically, the Bible Belt region of the United States is identified with the deep South, the border states, and the lower Mid-West. This region is populated by fundamentalist and evangelical Protestants, among whom literal interpretation of the Bible and rigid morality are common. Many states in this region which had voted for Mr. Clinton in 1996 rebelled against Mr. Gore in 2000 and voted instead for Mr. Bush. For details on the Bible Belt see: "Bible Belt" *Encyclopedia Britannica: Macropaedia*, 15th Ed. (1989), 194. Also see the *Time* (Asian Edition), (November 20, 2000), 32-33, for the US map showing the geographical standing of the two parties in the 2000 presidential election.

[29] Breaking Down the Electorate, *Time*, (Asian Edition), (November 20, 2000), 57.

[30] During the Election, The Two Parties Blurred Into One: Modern Campaign Tools Provide Perfect Market Info, *The Asian Wall Street Journal*, (December 15-17, 2000), 1 & 11.

[31] Gore's Leap of Faith, *Time*, (Asian Edition), (August 21, 2000), 16-20

[32] The Asian Wall Street Journal, (September 4, 2000)

[33] Too Close to Call: The U.S. Election Defies Pollsters, *The Asian Wall Street Journal*, (November 7, 2000) 1 & 6

[34] Cliff-hanger for Americans: Opinion polls give Bush a razor – thin lead over Gore, *New Straits Times*, Kuala Lumpur, (November 6, 2000) 21

[35] Too Close to Call: The U.S. Election Defies Pollsters, *The Asian Wall Street Journal*, (November 7, 2000) 1 & 6

[36] Ibid.

[37] Ibid.

[38] Ibid.

[39] Quoted in Warren E. Miller and J. Merril Shanks, *The New American Voter*, (Cambridge: Harvard University Press, 1996),23

[40] How the Two Parties Became the Coke And Pepsi of Politics: Seesawing U.S Campaign Belied Uncanny Balance, *The Wall Street Journal Europe*, (December 15-16, 2000), 1 & 9

[41] Ibid

[42] Ibid

[43] Ibid

[44] Combative Gore and Bush set out positions in spirited debate, *The Asian Wall Street Journal*, (October 19, 2000), 32

[45] Too Close to Call: The U.S. Elections Defies Pollster, *The Asian Wall Street Journal*, (November 7, 2000) 1 & 6.

[46] Ibid.

[47] Ibid.

[48] Joseph McCarthy, a Republican Senator from Wisconsin, was in the forefront of the movement alleging that the Democratic administration of Truman was tolerant of domestic communists in the U.S. In 1950 he alleged that he had a list of 205 known communists currently working in the US State Department. He generated anti-communist fervor in the country, which has come to be known as McCarthyism in American history. For details see: Alan Brinkley, *The Unfinished Nation*, 870-871 and 905-906.

[49] 'Bush admits to drink driving arrest', *The Star*, Kuala Lumpur, (November 4, 2000), 25, also see the story entitled, 'Lawyer who revealed Bush arrest a Democrat', on the same page of *The Star*.

هوامش الفصل الثالث:

[50] Bush sets up faith-based office, *The Star*, Kuala Lumpur, (January 30, 2001), 20.

[51] Historically the Asians who crossed from Siberia over the Bering Straits to Alaska were the first to discover the American continent. This discovery, which took place between 16,000–18,000 years ago, started the Asian migration to the American continent. See James West Davidson et al, eds., *Nation of Nations: A Narrative History of the American Republic*, 3rd ed. (Boston: McGraw-Hill, 1998), 13. See also Alan Brinkley, *The Unfinished Nation: A Concise History of the American People*, 3rd ed. (Boston: McGraw-Hill, 2000), 1.

[52] James West Davidson et al, *Nation of Nations*, 24.

[53] Ibid., 24.

[54] Ibid., 24–26.

[55] Ibid., 24.

[56] Ibid., 25.

[57] Ibid., 25–26.

[58] Ibid., 26–27.
[59] Ibid., 26.
[60] Ibid.
[61] Ibid.
[62] Ibid.
[63] Ibid.
[64] The split of Christendom into the Eastern (Greek Orthodoxy) and Western (Roman Catholicism) was formally ratified in 1054, but the conflicts that led to this division were present from the very beginning. They were deeply rooted in every aspect of the religio-social identity of the followers on both sides, from the interpretation of the doctrine of the Trinity and other theological issues to tradition, geography, culture, language and calendar, to name a few. From Chidester's detailed discussion of these conflicts we briefly highlight here some of the major ones. According to the Eastern Orthodox belief, the ultimate religious authority resided in the Byzantine Emperor, as he was the source of the religious, political and cultural unity of the entire Christendom on a global scale, whereas Western Christianity ascribed all of this power to the Pope. Eastern Christianity also believed that the imperial dignity implied a power from God which gave the emperor the jurisdiction over the management and the human affairs of the Church;, hence the Pope was subject to the emperor's authority. Western Christianity, on the other hand, advocated that the Pope, by virtue of being the heir of St. Peter (due to the unbroken succession) provided continuity and was 'Vicar of St. Peter'. Hence in this capacity the Pope was undisputed leader of the Universal Church of Christ. (Note that St. Peter was one of the twelve apostles of Jesus and is said to have been designated by him as 'fisher of men' [or missionary] assigned the task to convert others to Christianity). Under this mission Peter is said to have gone to Rome where he was killed by the Roman emperor Nero during the persecution of Christians. The Eastern Orthodoxy designated Constantinople as the heir to the holy city of Jerusalem while Western Christianity bestowed this status upon the city of Rome, which is said to have been founded by St. Peter. The Eastern Orthodoxy adopted the Greek language as the language of worship while Catholicism adopted Latin for this purpose. The differences between Eastern and Western Christianity were so wide ranging that they encompassed almost every aspect of life - the calculation of the dates of Easter and Christmas, church practices and rituals, and management and organization of the church etc. For details see:
David Chidester, *Christianity: A Global History,* New York: Harper San Francisco, 2000, 159-177.
Funk and Wagnalls New Encyclopedia, s. v. PETER, Saint.
Marvin Perry Et al, *Western Civilization: Ideas, Politics & Society*, Boston, New York: Houghton Mifflin Co, 2004, 199-204.
[65] Marvin Perry, Myrna Chase et al., *Western Civilization: Ideas, Politics and Society,* 7th ed. (Boston: Houghton Mifflin Company, 2004), 345.
[66] James West Davidson et al., *Nation of Nations*, 26.
[67] Ibid., 344.
[68] James West Davidson, *Nation of Nations*, 76–105.

[69] James Davison Hunter, "The Evangelical Worldview Since 1890" in Richard J. Neuhaus and Michael Gromartie, eds., *Piety and Politics: Evangelicals and Fundamentalists Confront the World* (Washington, D.C.: Ethics and Public Policy Center, 1976), 26. Hunter quotes it from Robert Handy, *A Christian America* (New York: Oxford University Press, 1971), 143.

[70] James Davison Hunter, "The Evangelical Worldview Since 1890", 19–53.

[71] Ibid., 27–29.

[72] Ibid., 27–29.

[73] Rationalism in religion was the result of the Enlightenment, an intellectual movement that started in the seventeenth century in Europe. The movement was led by philosophers who "stressed the power of human reason to promote progress by revealing the laws that governed both nature and society". This also influenced religious views and positions on various issues and led to the adoption of "... a more liberal theology that stressed the reasonableness of Christian beliefs". The advocates of liberal theology "... believed that God's greatest gift to mankind was reason, which enabled all human beings to follow the moral teachings of Jesus". See James West Davidson, et al., eds., *Nation of Nations*, 124–25.

[74] James Davison Hunter, "The Evangelical Worldview Since 1890", 33.

[75] Ibid., 30.

[76] Ibid., 32.

[77] William Martin, *With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America* (New York: Broadway Books, 1997), 10–11.

[78] Iris V. Cully and Kendig Brubaker Cully, General Editors, *Harper's Encyclopedia of Religious Education* (San Francisco: Harper and Row Publishers, 1990), 263–65.

[79] William Martin, *With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America* (New York: Broadway Books, 1997), 11.

[80] Ibid., 11. See also George Marsden, "The Evangelical Denomination", 58-60 and James Davison Hunter, *American Evangelicalism: Conservative Religion and the Quandary of Modernity* (New Brunswick: Rutgers University Press, 1983), 3-10.

[81] Resurrection is the belief in the rising to life from death. That Jesus died, was buried, and was raised to life is a fundamental article of Christian faith. For details see the following:
(i) *Harper's Encyclopedia of Religious Education*, s.v. "Resurrection" by V.L. Wimbush.
(ii) Geoffrey Parrinder, *A Concise Encyclopedia of Christianity* (Oxford: One World Publications 2001), s.v. "Resurrection of Christ", and "Resurrection of the Dead".

[82] The belief that Jesus Christ will return and rule this world is known as the Millennialism or the Second Coming of Christ. There is a deep confusion as to the interpretation of millennialism in the evangelical theology as there are three diverse views in this regard. One believes in postmillennialism and the other in premillennialism while the third one, advocated by Dwight L. Moody (1837–99), is called "dispensational premillennialism. Postmillennialism was advocated at the beginning of the 19th century by the prominent fundamentalist preacher of Massachusetts, Charles Finney. Finney, looking at the progress of American

society at the beginning of the 19th century, argued that the world, led by the U.S., would first experience a thousand years of peace and prosperity, after which Christ would return to earth to rule forever. Since in this model the Second Coming of Christ would occur after the millennium, this view was called postmillennialism. This view was opposed by the premillennialists who argued that the world would increasingly face worse and bigger problems e.g. political anarchy, religious apostasy, moral turpitude, earthquakes, plagues, and the like. It is after these problems and miseries that the Second Coming of Christ will occur. As a result of this belief, premillennialism has usually developed a wider following in bad times than in good, since it offers hope in difficult times. The Dispensationalism offers further support to premillennialism by advocating that before the Second Coming of Christ the world would practically become a gloomy place to live. The last dispensation will be "the Rapture" at which point faithful Christians will be "caught up to meet the Lord in the air", leaving the rest of humanity to face an unprecedented congeries of calamities known as the 'tribulation'. The tribulation will be a seven year period in which the "Antichrist" will control the world. The tribulation period will end with the Second Coming of Christ, who will defeat the Antichrist in the battle of Armageddon which will be followed by the millennium and Final Judgment. See William Martin, *With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America* (New York: Broadway Books, 1997), 7.

83 Ibid., 11.

84 James Davison Hunter, "The Evangelical Worldview Since 1890", 32.

85 Ibid., 35.

86 Ibid.

87 Some of the states that passed these kind of laws were: Arkansas, Florida, Mississippi, Oklahoma and Tennessee. See James W. Davidson et al., *Nation of Nations*, 858.

88 Alan Brinkley and Ellen Fitzpatrick, *America in the Modern Times* (New York: The McGraw Hill Companies, Inc., 1997), 226–28.

89 Ibid., 226.

90 James West Davidson et al., *Nation of Nations*, 858–59.

91 Alan Brinkley, *The Unfinished Nation*, A33–A34.

92 James W. Davidson et al., *Nation of Nations*, 859.

93 Alan Brinkley and Ellen Fitzpatrick, *America in Modern Times*, 226–28. See also James W. Davidson et al, *Nation of Nations*, 859.

هوامش الفصل الرابع:

94 A. James Reichley, "The Evangelical and Fundamentalist Revolt" in Neuhaus and Cromartie, eds., *Piety and Politics*, 75.

95 George Marsden, "The Evangelical Denomination", in ibid., 59.

96 Grant Wacker, "Searching for Norman Rockwell" in ibid., 330.

97 William Martin, *With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America* (New York: Broadway Books, 1997), 30.

98 A. James Reichley, "The Evangelical and Fundamentalist Revolt" 75–76. For Billy Graham's relations with and influence on the White House and the Congress, see also William Martin, *With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America* (New York: Broadway Books, 1997), 25–46. Billy Graham even encouraged a reluctant general Eisenhower to run for the White House telling him that millions of Americans would like him to be the President of the U.S. Eisenhower responded positively. See William Martin., 32.

[99] A. James Reichley, "The Evangelical and Fundamentalist Revolt", 76. In the Plessy vs Ferguson case in 1896 the Supreme court upheld a law of the State of Louisiana which had legalized racial segregation on the railroads on the ground that segregation does not necessarily imply the inferiority of either race to the other. However, in *Brown vs Board of Education of Topeka, Kansas* case in 1954 the Supreme Court overturned the above law and thus disallowed segregation. This was a major setback for the evangelicals who had established their own academies, schools and institutions of higher learning in which blacks were not allowed. See also Brinkley and Fitzpatrick, *America in the Modern Times,* 56 and 434.

[100] James West Davidson et al., *Nation of Nations,* 1071.

[101] Matthew C. Moen, *The Christian Right and Congress* (Tuscaloosa: The University of Alabama Press, 1989), 12.

[102] A James Reichley, "The Evangelical and Fundamentalist Revolt", *77.*

[103] Ibid., 77.

[104] William Martin, *With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America* (New York: Broadway Books, 1997), 16.

[105] Richard G. Hutcheson, Jr, *God in the White House: How Religion has Changed the Modern Presidency* (New York: Macmillan Publishing Co., 1998), 67–68.

[106] William Martin, *With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America* (New York: Broadway Books, 1997), 25.

[107] Ibid., 25-28.

[108] Ibid., 25.

[109] Ibid., 25.

[110] A national holiday in the United States which honors the members of the nation's armed forces who sacrificed their lives in wartime. It is observed every year on the last Monday in May. Traditionally the highlights of the day include: parades, memorial speeches, and ceremonies, and the decoration of graves with flowers and flags. See *Funk & Wagnall's New Encyclopedia,* s.v. "Memorial Day" or "Decoration Day".

[111] William Martin, *With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America* (New York: Broadway Books, 1997), 26.

[112] Ibid., 26.

[113] Ibid.

[114] Ibid.

[115] Ibid., 27.

[116] Ibid.

[117] Ibid.

[118] The great depression started during the presidency of Herbert Hoover (1928–32), a Republican. Hoover's failure to clean up the economy's mess resulted in his defeat in the 1932 election at the hands of Franklin D. Roosevelt, a Democrat. In his first term as president (1932–1936), Roosevelt implemented his economic policy package known as the 'New Deal'. The success of the New Deal enabled the Democrats to keep uninterrupted control of the White House for a record 20 years (1932-52) by winning successive presidential elections. It was only in 1952 that the Republican Eisenhower was able to wrest the White House from the Democrats.

[119] William Martin, *With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America* (New York: Broadway Books, 1997), 29.

[120] Ibid., 29

[121] The US Capitol building in Washington, D.C. It is the seat of both the Houses of the U.S. Congress (i.e. the US House of Representatives and the Senate).

[122].William Martin, *With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America* (New York: Broadway Books, 1997), 30–31.

[123] Ibid., 30–31

[124] Ibid., 31.

[125] During World War II, Eisenhower became the Supreme Commander of the Allied forces in Europe and directed the crucial invasions of Sicily, Italy, Normandy and Germany. Due to his accomplishments, he was very popular in the United States and was popularly called 'Ike'. He had never expressed any political ambitions or interests. See *Funk & Wagnall's New Encyclopedia*, s.v. "Eisenhower, Dwight David". Alan Brinkley writes: "Dwight D. Eisenhower was the least experienced politician to serve in the White House in the twentieth century. He was also among the most popular and politically successful presidents of the postwar era". Alan Brinkley, *The Unfinished Nation*, 904.

[126] Wiliam Martin, *With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America* (New York: Broadway Books, 1997), 32.

[127] Prior to the amendment the pledge's wording was as follows :

"I pledge allegiance to the flag of the United States of America and to the republic for which it stands : one nation, indivisible, with liberty and justice for all."

After the amendment in 1954 the pledge now reads :

"I pledge allegiance to the flag of the United States of America and to the republic for which it stands: one nation under God, indivisible with liberty and justice for all."

For details see: *Funk & Wagnall's New Encyclopedia* S.V. "Pledge of Allegiance to the Flag of the United States, The.

[128] Diana L. Eck, 'A New Religious America: How a "Christian Country" has become the World's Most Religiously Diverse Nation', Harper, San Francisco, 2002 (Paperback edition), 61.

هوامش الفصل الخامس:

[129] Ibid., 18. A youth fiction series entitled *Left Behind* had sold more than 7.5 million copies by the late 1990s. The series is authored by Jerry B. Jenkins and Tim LaHaye. Tim LaHaye is a fundamentalist Prophecy scholar, minister and educator. By the late 1990s his 40 non-fiction works had sold more than 11 million copies. The same is true of several other fundamentalist works.

[130] Ibid., 17–18.

[131] http://www.liberty.edu. Here the italics are ours for emphasis.

[132] The Western philosophical tradition starts with ancient Greece. In the early period the Greeks had followed mythical thinking, but by the fifth century BC they had gradually moved towards the use of reason in the understanding and explanation of the physical world. The Greek exposure to the achievements of the Egyptian and Mesopotamian civilizations in mathematics and science played an important role in enabling the Greeks to make the breakthrough from mythological systems of belief to the construction of a system based on reason. The first Greek school of thought that used reason focused on the rational inquiry

encompassed systems of thought stressing rational enquiry and human experience over abstract theorizing or orthodox religion. More broadly, humanist beliefs stress the potential value and goodness of human beings, emphasize common human needs, and seek solely rational ways of solving human problems". Judy Pearsall and Bill Trumble, eds., *Oxford English Reference Dictionary*, 2nd ed. (Oxford: Oxford University Press, 1996) 689. See also Paul Edwards, ed., *The Encyclopedia of Philosophy* (New York: Macmillan Publishing Co., Inc. & The Free Press, 1967), 6, s.v. "Humanism".

[133] William Martin, *With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America* (New York: Broadway Books, 1997), 18.

[134] Walter H. Capps, *The New Religious Right: Piety, Patriotism and Politics* (Columbia: University of South Carolina Press, 1990), 58–88.

[135] Francis A. Schaeffer, *A Christian Manifesto* (Westchester, IL: Crossway Books, 1981), ii, lists *The Communist Manifesto* (1848), *Humanist Manifesto I* (1933), and *Humanist Manifesto II* (1973), to illustrate the intellectual environment that is being addressed. This reference is given as a footnote in Walter H. Capps, *The New Religious Right*, 226.

[136] Ibid., 59.

[137] William Martin, *With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America* (New York: Broadway Books, 1997), 196. See also Walter H. Capps, *The New Religious Right*, 58–87.

[138] Ibid., 64–65. For a detailed discussion on Schaeffer, see ibid., 58–88.

[139] George Marsden, "The Evangelical Denomination" *Piety and Politics*, 59. For a detailed discussion see ibid., 55–68.

[140] Ibid., 57.

[141] Michael Lienesch, *Redeeming America: Piety and Politics in the New Christian Right* (Chapel Hill: The University of North Carolina Press, 1993), 23.

[142] Quoted in ibid., 23.

[143] William Martin, *With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America* (New York: Broadway Books, 1997), 150.

[144] Ibid., 149–150.

[145] Michael Lienesch, *Redeeming America*, 25.

[146] Ibid., 26.

هوامش الفصل السادس:

[147] Ibid., 72.

[148] William Martin, *With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America* (New York: Broadway Books, 1997), 22–23.

[149] George Marsden, "*The Evangelical Denomination*", 65.

[150] Michael Lienesch, *Redeeming America*, 1–2. Lienesch quotes it from: "The Christianity Today Gallup Poll: An Overview" in *Christianity Today*, 21st Dec., 1979, 12–19.

[151] James Reichley, "*The Evangelical and Fundamentalist Revolt*", 75–76.

[152] Michael Lienesch, *Redeeming America*, 1–2.

[153] Alan Brinkley, *The Unfinished Nation*, 981–1001.

[154] William Martin, *With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America* (New York: Broadway Books, 1997), 151.

[155] Jimmy Carter and Jesus Christ both have the initials " J.C.". See ibid., 157.

[156] A. James Reichley "*The Evangelical and Fundamentalist Revolt*", 78.

[157] William Martin, *With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America* (New York: Broadway Books, 1997), 156.

[158] A. James Reichley, "*The Evangelical and Fundamentalist Revolt*", 78.
[159] Ibid., 78.
[160] Ibid., 79.
[161] In 1920 the ratification of the Nineteenth Amendment to the US Constitution guaranteed political rights to women. However, some feminist leaders felt that it was not enough and that women needed another constitutional amendment, "... that would provide clear, legal protection for their rights and would prohibit all discrimination on the basis of sex". See Alan Brinkley, *The Unfinished Nation*, 640. Due to the increasing pressure of women's groups, in 1972 the US Congress approved the Equal Rights Amendment (ERA) to the constitution. In order to become law it was required to be passed by 38 states out of a total of 50 in the union, with a two thirds majority of votes in each state. By 1973 thirty states had voted in favor of it. But then the opposition of the Christian Right, led by its female advocate Phyllis Schlafly slowed down the momentum of ERA. Five states, Nebraska, Tennessee, Kentucky, Indiana and South Dakota reversed their endorsement. In the end the ERA failed to win the support of 38 states. See Karen Armstrong, *The Battle for God: Fundamentalism in Judaism, Christianity and Islam* (London: Harper Collins Publishers, 2001), 312–314.
[162] William C. Berman, *America's Right Turn: From Nixon to Clinton (*Baltimore: The Johns Hopkins University Press, 1998), 36–60, especially 49–50.
[163] Ibid., 53.
[164] William Martin, With *God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America* (New York: Broadway Books, 1997), 80.
[165] Joseph McCarthy, a Republican Senator from Wisconsin, was in the forefront of the movement alleging that the Democratic administration of Truman was tolerant of domestic communists in the U.S. In 1950 he alleged that he had a list of 205 known communists currently working in the US State Department. He generated anti-communist fervor in the country which has come to be known as McCarthyism in American history. For details see Alan Brinkley, *The Unfinished Nation*, 870–871 and 905–906.
[166] William Martin, *With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America* (New York: Broadway Books, 1997), 80–81.
[167] Alan Brinkley, *The Unfinished Nation*, 991–92.
[168] William Martin, *With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America* (New York: Broadway Books, 1997), 89.
[169] Ibid., 90.
[170] Ibid., 91.
[171] Steve Bruce, *The Rise and Fall of the New Christian Right: Conservative Protestant Politics in America 1978–1988* (Oxford: Clarendon Press, 1990), 58; for a detailed discussion on this issue see ibid., 56–59.
[172] Alan Brinkley and Ellen Fitzpatrick, *America in the Modern Times*, 562–563. The Republican Party is also referred to as the GOP (i.e. the Grand Old Party) and its symbol is the elephant, while the donkey is the symbol of the Democratic Party.
[173] Alan Brinkley, *The Unfinished Nation*, 990–992.
[174] Lyndon B. Johnson was elected vice-president under John F. Kennedy in 1960. After Kennedy's assassination on Nov. 22, 1963, Johnson assumed office as the thirty-sixth president of the United States. Kennedy had realized that despite

general affluence, poverty was still a serious problem for many in America. He had initiated some policies in this regard but his untimely death did not allow him to continue the mission. Johnson not only took up the mission but widened its scope and gave the vision of a 'Great Society'. Under this vision welfare programs were extended beyond the scale and scope of Franklin Roosevelt's New Deal with the sole aim of helping the poor and the disadvantaged and creating equal opportunity for all. Being a former school teacher himself, Johnson made it a top priority of his agenda to provide high quality education to the poor with federal funds for their long term self-sustained upliftment. His Medicare Act provided health insurance to cover hospital costs for the elderly, and Medicaid provided assistance to the poor who were not elderly. The poor families which could not find adequate public housing were given rent subsidy. A new Cabinet level Department for Housing and Urban Development (HUD) was established. It was headed by Robert Weaver, the first African American ever to be appointed as a Cabinet member in the history of the United States. officially established poverty line in 1959, but by 1969 this figure had fallen to 12%. The improvement had benefited the poor in the African American and white communities. See Alan Brinkley, *The Unfinished Nation*, 917–921; James W. Davidson, *Nation of Nations*, 1078–1083, and *Funk & Wagnall's New Encyclopedia*, s.v. "Johnson, Lyndon Baines".

[175] Martin Durham, '*The Christian Right, the far right and the boundaries of American Conservatism*', Manchester and New York: Manchester University Press, 2000, 105-125.

[176] Alan Brinkley, *The Unfinished Nation*, 990–992.

[177] Steve Bruce, *Rise and Fall of the New Christian Right: Conservative Protestant Politics in America* . 90.

[178] These strategists themselves were from different denominations and faiths; e.g. Howard Phillips is Jewish (see William Martin, *With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America* (New York: Broadway Books, 1997), 199), Weyrich is Jewish, while Viguerie, Phillips and Phyllis Schlafly are conservative Catholics; and Falwell, Robert Billings and Tim LaHaye are Fundamentalist Baptists (see Steve Bruce, *Rise and Fall of the New Christian Right: Conservative Protestant Politics in America* , 86). McAteer is a Fundamentalist Baptist from the Bellevue Baptist-Church, Tennessee (see "Chosen People: How Israel Became A Favorite Cause Of Christian Right" in *The Wall Street Journal*, May 23, 2002, A1 and A8).

هوامش الفصل السابع:

[179] William Martin, *With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America* (New York: Broadway Books, 1997), 201.

[180] Steve Bruce, *Rise and Fall of the New Christian Right: Conservative Protestant Politics in America* , 81. (Bruce quotes from a Moral Majority Brochure).

[181] William Martin, *With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America* (New York: Broadway Books, 1997), 200. (Here the italics are ours for emphasis).

[182] Ibid., 197.

[183] Ibid., 198.

[184] Steve Bruce, *Rise and Fall of the New Christian Right: Conservative Protestant Politics in America* , 59.

[185] Ibid., 57. Bruce quotes it from L.J. Davis, "*Conservatism in America*" in *Harper's*, vol. 261 (1980), 21–26

[186] William Martin, *With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America* (New York: Broadway Books, 1997), 199.

[187] Ibid., 203. The United States won its independence from Britain in 1776. In 1976, the U.S. celebrated two hundred years of independence. The United States has 50 states. Each has its own legislature. The building in which a state legislature holds its sessions is popularly called the *State Capitol*.

[188] Ibid., 203.

[189] A. James Reichley, "*The Evangelical and Fundamentalist Revolt*", 81.

[190] Ibid., 81–82.

[191] Ibid., 83.

[192] Ibid.

[193] William Martin, *With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America* (New York: Broadway Books, 1997), 211.

[194] Ibid., 211.

[195] Ibid., 213.

[196] Ibid.

[197] Ibid., 218–220.

[198] Ibid., 220.

[199] Stagflation is a situation when the economy suffers from both high unemployment and high inflation rates at the same time.

[200] William Martin, *With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America* (New York: Broadway Books, 1997), 222.

[201] Ibid., 223.

[202] In the debate on the divisive issue of abortion, those who are against abortion are known as "pro-life", whereas those who support a woman's right to obtain an abortion are known as "pro-choice".

[203] Glenn H. Utter and John. W. Storey, '*The Religious Right: A Reference Handbook*, Santa Barbara: ABC-CLIO, Inc. 1995, 35. Reagan endorsed the amendment in 1982. On March 20, 1984 it was voted by the Senate. It secured a 56–44 majority vote but fell short of the required two-thirds majority and hence failed but remains on the agenda of the Republican Party. For details see, *Ibid.*, 36.

[204] Alan Brinkley, *The Unfinished Nation*, 994–1007.

[205] Glenn H. Utter and John W. Storey, *The Religious Right: A Reference Handbook*, Santa Barbara: ABC-CLIO. Inc. 1995. 38-39.

[206] William Martin, *With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America* (New York: Broadway Books, 1997), 230.

[207] William C. Berman, *America's Right Turn*, 165.

[208] Ibid., 165.

[209] Ibid., 173.

[210] On September 27, 1994, only a few weeks before the midterm Congressional elections of November, 1994, Newt Gingrich, the Republican Speaker of the House, signed the 'Contract with America' together with 367 Republican members of the House at the doorstep of the Capitol. It was a ten-point program designed to mobilize American public opinion in favor of the right wing Republican agenda and put pressure on the Democratic Party in the coming elections. Some of the highlights of the Contract included the demands for: a

Republican agenda and put pressure on the Democratic Party in the coming elections. Some of the highlights of the Contract included the demands for: a balanced budget amendment, welfare reform, increase in defense spending, stringent measures to deal with crime, and 50 percent reduction in capital gains tax. The issue of abortion was excluded because of the fears that it could be divisive. For details see William C. Berman, *America's Right Turn*, 164–187.

[211] William Martin, *With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America* (New York: Broadway Books, 1997), 340.

[212] Ibid.

[213] "Bush and God" in *Newsweek*, March 10, 2003, 16.

[214] "Chosen People: How Israel Became A Favorite Cause of Christian Right" in *The Wall Street Journal*, May 23, 2002, A1 & A8.

[215] William C. Berman, *America's Right Turn*, 171–172. See also: Alan Brinkley, *The Unfinished Nation*, 1013 and 1018.

[216] For a detailed analysis of the 2000 U.S. Presidential election see Muhammad Arif Zakaullah, "Values, the Economy and Metaeconomies in the 2000 US Presidential Election: A Historical Perspective (1896–1996)", *Intellectual Discourse*, vol. 9, No. 1, 2001, 1–28.

[217] For a detailed treatment of the Electoral College System and the Electoral votes see Walter Berns, ed., *After The People Vote: A Guide to The Electoral College* (Washington D.C.: The American Enterprise Institute Press, 1992), 8 and 71.

[218] For the electoral votes of Clinton in 1992 and 1996 see: James West Davidson, et al., eds., *Nation of Nations*, 1192–1198.

[219] "Breaking Down The Electorate" in *Time* (Asian Edition) (November 20, 2000), 57.

[220] Alan Brinkley, *The Unfinished Nation*, 990

[221] "Bush and God" in *Newsweek* (Asian Edition), March 10, 2003, 14–21.

[222] Ibid., 19.

[223] Ibid.

[224] Ibid., 20.

[225] Ibid., 17.

[226] Ibid., 21.

هوامش الفصل الثامن :

[227] Samuel P. Huntington, *The Clash of Civilizations and the Remaking of the New World Order*, New York: Simon & Schuster, 1996.

[228] The American Civil War (1861-1865) was fought between the eleven Southern states that seceded from the Union and the Federal government. The war was the culmination of the growing tensions between the Northern and the Southern parts of the United States. These two parts had conflicting socioeconomic and political interests. The Northern economy mainly depended on industrialization while its agriculture was based on small, family run farms. The Southern economy, on the other hand, was mainly agrarian and depended upon large farms that employed slaves. Thus the Southern states wanted to maintain slavery while the Northern states were against it. Besides this, both North and South were competing to extend their political and economic influence on the territories in the newly opened west. Eventually the eleven states of the South seceded from the United States and formed the Confederacy. The formal announcement of the formation of confederacy was made in a popular convention on December 20, 1860; only a few weeks after the election of Abraham Lincoln as the president of the United

States in November 1860. Despite Lincoln being the president of the U.S., the Confederate States elected Jefferson Davis as their President on February 7, 1861. These states, in order of their secession are: South Carolina (Dec. 20, 1860), Mississippi (Jan. 9, 1861), Florida (Jan. 10, 1861), Alabama (Jan. 11, 1861), Georgia (Jan 19, 1861), Louisiana (Jan. 26, 1861), Texas (Feb. 1, 1861), Virginia (April 17, 1861), Arkansas (May 6, 1861), North Carolina (May 20, 1861) and Tennessee (June 8, 1861). The states of Delaware, Maryland, Kentucky, and Missouri practiced slavery but did not secede and remained with the Union. For details of the American Civil War see: *Funk and Wagnalls Encyclopedia*, s. v. "Civil War, The American". Also see, James West Davidson, et al; *Nation of Nations*, 482-557.

[229] James West Davidson, Ibid., 528.

[230] The South had ceded from the Union to retain Slavery in the Confederate States but its defeat meant that the abolition of slavery was going to be imposed upon it by the Federal government. Consequently, after the Civil War the white supremacists and religious zealots formed a secret terrorist organization in the South. It was called the Ku Klux Klan (KKK). This name was drawn from the Greek word *'Kulos'* meaning *'circle'*. The word circle implied that in the Greek City State democracy and right to vote and lead was limited only to white men who were free and owned property. Slaves did not have the right to vote. Hence the Greek democracy was confined to a limited *circle* of the society only; it was not for everyone. The KKK also believed that the blacks who were slaves (prior to emancipation) should not be given the right to vote. As stated by Perry et al. in *Western Civilization : Ideas, Politics and Society* "The Greeks regarded slavery as a necessary pre-condition for civilized life; for some to be free and prosperous, they believed, others had to be enslaved." (P. 64). The Klan was originally established in Pulaski, Tennessee, on December 24, 1865 by a group of former confederate army officers and soon spread to other Southern states. They believed in the innate inferiority of blacks and hence were against the idea of the civil equality of blacks and their rise to political positions of power and influence. The KKK terrorized public officials who attempted to carry out policies of social equality. They also terrorized blacks to prevent them from voting. The Klan was also joined by those Christian fundamentalists who justified terrorism in the name of religion and committed acts of terror against Catholics and Jews. "It was customaty for the Klansmen to burn crosses on hillsides and near the homes of those they wished to frighten. When such tactics failed to produce the desired effect, their victims might be flogged, mutilated or murdered." In the second half of the 20th century the Klan has remained visibly active in support of racial segregation in public schools and against the civil rights movement. See also: *Funk & Wagnalls New Encyclopedia* S.V. Ku Klux Klan; and S.V. Lynching.

[231] The movie *Sweet Home Alabama* was released on 24th September 2002. It was produced by Touchstone Pictures and Directed by Andy Tennant. The story was written by Douglas J. Eboch, while C. J. Fox wrote the screenplay. For details see: www.imdb.com

[232] 'Inside the mind of Howard Dean' in *Time* (Asian edition), January 12, 2004, 21-25 (especially p.22). Howard Dean, the former governor of Vermont, running in the Presidential Primaries of the Democratic Party in November, 2003 emphasized the importance of this group of Southern supremacists as voters in

[233] "Personal Income (PI) is the income that is received by all persons from all sources. It is calculated as the sum of wage and salary disbursements, supplements to wages and salaries, proprietors' income with inventory valuation and capital consumption adjustments, rental income of persons with capital consumption adjustment, personal dividend income, personal interest income, and personal current transfer receipts, less contributions for government social insurance. The personal income of a given area is the income that is received by, or on behalf of, all the individuals who live in the area; therefore, the estimates of personal income are presented by the place of residence of the income recipients. Per Capita Personal Income (PPI) is a measure of income calculated as the personal income of the residents of a given area divided by the resident population of the area. In computing per capita personal income, the Bureau of Economic Analysis (BEA) uses the Census Bureau's annual midyear population estimates. All estimates are in current dollars (not adjusted for inflation). Source: *Bureau of Economic Analysis* (BEA), Regional Economic Accounts. Website: http://www.bea.gov/bea/regional/spi

[234] How the poor are organized as a unified force under the banner of Christianity to vote for the tax cutting causes of the rich is the result of a holy alliance between the leaders of radical pro market capitalism and the Christian right. For details see: Muhammad Arif Zakaullah, The Rise of Christian Fundamentalism in the United States and the Challenge to Understand the New America, *Islamic Studies*, 42:3 (2003), 437-486, specifically pp: 467-472.

[235] Lester Thurow, *The Future of Capitalism*, London: Nicholas Brealey Publishing, 1996, 242-278 (especially p.257).

[236] *Time* (Asian Edition), Breaking Down the Electorate, November 20, 2000, Vol. 156, No. 20, 57.

[237] They were married in Las Vegas, Nevada on the 3rd of January, 2004 and had the marriage annulled on the 5th of January, 2004. See http://www.heraldonline.com/24hour/entertainment/music/news/v-print/sory/1104766p-77...3/16/2004

[238] "Teenage Pregnancy: Overall Trends and State-by-State Information" The Alan Guttmacher Institute, April 1999, Table 4. *http ://www.agi-usa.org/pubs/teen_preg_stats.html*

[239] National Vital Statistics Report, Vol. 50. No.5, February 12, 2002 http://www.cdc.gov/nchs/data/nvsr/nvsr51/nvsr51_02pdf

[240] This report defines 'all races' as inclusive of races other than white and black and origin not stated.

[241] This report defines 'all races' as inclusive of races other than white and black and origin not stated.

[242] Sometimes the names of their publications like: *Crusaders' Champion, Conflict, Defender, Essentialist*, etc.; openly convey this message. See: William Martin, *With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America* (New York: Broadway Books, 1997): *The Rise of the Religious Right in America*, New York: Broadway Books, 1996, 18.

[243] Alabama is one of the former Confederate States. It seceded from the Union in 1861, and its capital Montgomery served as the first capital of the Confederacy until June, 1861. Rev. Martin Luther King's efforts, boycotts and non-violent protests in Montgomery, Birmingham and Selma drew the attention of the world

to the discrimination against Afro-Americans by the Whites. King's efforts contributed to the passage of the Civil Rights Act 1965. The motto of the state is: *We Dare Defend Our Rights*. In the 1960s and 70s the politics of the state was dominated by George Wallace who served as the State's governor twice. Wallace was a segregationist and in 1972 he campaigned for nomination as the Democratic party's candidate for the presidency of the United States. He put up a strong show but was shot and injured severely, but survived. However, the injury he suffered adversely affected his drive for White House. *Funk & Wagnalls New Encyclopedia*, s.v. "Alabama" and also "Wallace, George Corley." See also Martin Durham, *The Christian Right, the far right and the boundaries of American conservatism*, Manchester and New York: Manchester University Press, 2000, 7.

[244] Ten Commandments monument moved http://cnn.law.printthis.clickability.com/pt/cpt?action=cpt&expire=1&urlID=7337288&f...8/28/2003

[245] Court refuses to block removal of Ten Commandments monument, *The New Straits Times*, Kuala Lumpur, Malaysia, 28-8-2003, B19.

[246] The next U.S. Presidential election is scheduled for November, 2004

[247] Pat Robertson, a leading evangelist and contender for nomination as the Republican candidate for the US presidency in 1988 summarizes the Christian fundamentalist aspirations as follows: "There will never be world peace until God's house and God's people are given their rightful place of leadership at the top of the world." Quoted in: William Martin, *With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America* (New York: Broadway Books, 1997), New York, Broadway Books, 1996, 354.

[248] Karen Tumulty, The Gleam Team, *Time* (Asian Edition), July 19, 2004, 18-24. See also in the same edition of the *Time*, Michael Duffy, The Natural, 26-31.

هوامش الفصل التاسع :

[249] Michael Lienesch , *Redeeming America* : *Piety and Politics in the New Christian Right'* Chapel Hill and London: University of North Carolina Press, 1993, 1.

[250] These beliefs like: the inerrancy of the Bible, the divinity of Christ and the resurrection of Christ after his death etc; have been discussed earlier.

[251] The word *Apocalypse* is derived from the Greek word *apokalypsis* which means 'revelation'. The apocalyptic writings have a special place in the Jewish and Christian faiths. Most of these writings were produced between about 200 BC and 100 AD. This is the period during which both the faiths were facing exile or prosecution at the hands of the Romans. Some prominent characteristics of apocalyptic writings are as follows:

"that the present age of the world is irredeemably evil, ruled by a Satan figure, personifying evil."

"... however, that evil age is soon to be ended, destroyed by God, who is good..."

"The following age, the Kingdom of God, will be ruled by God, will be perfect, and will last forever, and only the good, formerly oppressed, will enjoy it."

Since most of the apocalyptic writings were written during the period of persecution, their authors used an indirect style of expressing themselves. Hence the apocalyptic literature has some secondary characteristics, like:

"pseudonaminity, the ascribing of an apocalyptic work to some earlier revered figure (for example, a prophet or a saint); contending hierarchies of angels and demons; a faith in God who will fulfill the promises of the Bible; a belief in a heavenly city and a heavenly paradise reserved for the just in the age to come." Certain books of the Bible or their parts are regarded as apocalyptic; especially the last book of the *New Testament* called *'Revelation'* (in the King James Version) is a well recognized apocalyptic piece of literature. See: *Funk & Wagnalls New Encyclopedia* S.V. "Apocalyptic Writings", and also S.V. "Revelation".

[252] The End Times comprise, "The period during which the Apocalypse will take place; the end of the world as we know it." Quoted from; 'Apocalypse Now' *Time* (North American Edition), July 1, 2002, 40-48. In the same issue of *Time* see also: Meet the Prophet, 50-53.

[253] The last book of the *New Testament* is known as the *Revelation*. It is a well recognized apocalyptic work. There is disagreement about the identity of its actual author. The author of the Book of Revelation calls himself John. Many believe that it was Saint John the Evangelist who wrote this book. However, the scholars point out that the style of the Book of Revelation is different from the Gospel of John which is also traditionally ascribed to John the Evangelist. Thus there is a view that the Book of Revelation might have been written by some other prominent early Christian. In this regard, the names of the Apostle John Mark, or John the Elder is suggested. "The author of Revelation seems to have regarded the worsening of conditions for Christians in the Roman Empire under Domitian as signifying that this catastrophic period had begun. Apparently, he wrote chiefly to encourage Christians to endure this terrifying final crisis in the confident expectation of an imminent eternal just age." See: *Funk & Wagnalls New Encyclopedia* S.V. "Revelation".

[254] Michael Lienesch, *Redeeming America : Piety and Politics in the New Christian Right* , Chapel Hill: The University of North Carolina Press, 1993, 224 (here italics are ours for emphasis)

[255] Here the italics are ours for emphasis

[256] Hal Lindsey, There's a New World Coming : An In - Depth Analysis of the Book of Revelation , Eugene : Harvest House Publishers, 1984, 245 and 252

[257] Michael Lienesch, Ibid., 224 - 225

[258] Hal Lindsey, Ibid., 253 - 254

[259] Ibid

[260] Hal Lindsey . Ibid., 253

[261] Michael Lienesch , *Redeeming America : Piety and Politics in the New Christian Right*, 225. For an overview of the debate on millennialism Lienesch recommends: Ed Dobson and Ed Hindson, *The Seduction of Power* , Old Tappan, N.J. : Fleming H. Revell Company, 1988, 77 – 92. See also Robert P. Lightner, *The Last Days Handbook* (Nashville, Tenn : Thomas Nelson Publisher, 1990), and James West Davidson, *The Logic of Millennial Thought* (New Haven : Yale University Press 1997).

[262] *Funk & Wagnalls New Encyclopedia*, S.V. "BIBLE."

[263] Ibid

[264] John Drane, Introducing the New Testament: Completely Revised and Updated, Oxford: Lion Publishing Plc, 1999, 203.

[265] see :*Funk & Wagnalls New Encyclopedia*, S.V. "Luke, Gospel According to Saint,"
[266] George Melloan, A lot has changed since 1000 but not everything , *The Asian Wall Street Journal*, December 21, 1999, 10
[267] Hal Lindsey, Ibid., 209. This issue will be discussed in greater detail later in this chapter.
[268] Hal Lindsey, 211
[269] Ibid., 211
[270] Ibid., 208
[271] Michael Lienesch, *Redeeming America*, 228
[272] Senate finds US agencies' weapons reports deeply flawed, *New Straits Times*, Kuala Lumpur, July 10, 2004, B20
[273] Ibid.,
[274] Ibid.,
[275] Ibid.,
[276] "Islamic terrorism holding Muslim world hostage, says Musharraf", *New Straits Times*, Kuala Lumpur, July 10, 2004, B20.
[277] Hal Lindsey, *There's A New World Coming: An In-Depth Analysis of the Book of Revelation*, Eugene: Harvest House Publishers, 1984,. 7
[278] Lindsey Hal, Ibid., 171. Lindsey mentions that Antichrist is a real living figure given various names by the Bible, some of which are : *King of Babylon* (Isaiah 14:4), *Little Horn* (Daniel 7:8 ; 8:9); *Man of Sin, Son of Perdition* (2 Thessalonians 2:3); *Antichrist* (1 John 2:18); and *Beast* (Revelation 13:1)
[279] Hal Lindsey, Ibid., 171
[280] Hal Lindsey , Ibid., 173
[281] Hal Lindsey , Ibid., 174
[282] Hal Lindsey, Ibid., 174
[283] Ibid., 174 - 175
[284] Hal Lindsey , Ibid., 206 and 213 - 214
[285] For the 144, 000 figure see Lindsey : Ibid., 83, 100 – 101, 186 – 188, 248, etc
[286] Ibid., 228 – 229
[287] Michael Eliott, 'So What Went Wrong?' *Time* (Asian Edition, October 6, 2003, 18 – 25). To know the reasons behind the American invasion of Iraq, see: 'Fumbling the moment', *The Economist* May 29, 2004, 21 – 24. For America's dependence on Saudi Oil, See: The Special Report - Saudi Arabia and Oil: 'What If?' *The Economist*. May 29. 2004. 66 - 67
[288] Tom Raum, 'Bush follows Kerry Play' *New Straits Times*, Kuala Lumpur, June 14, 2004, 12
[289] Christian "…theology of death, resurrection and ultimate judgment - in which the anticipations of Armageddon include population explosion, worldwide famine, pollution problems and the distinct possibility of nuclear holocaust." His main focus is worsening crisis the Middle East." Michael Lienesch, *Redeeming America*, 225
[290] Ibid., 230. See also: 'Apocalypse Now', *Time* (North American Edition), July 1, 2002, 40-48.
[291] Apocalypse Now, *Time*, July 1, 2002, 47.

[292] Hal Lindsey, Ibid., 288
[293] Michael Lienesch , *Redeeming America*, Ibid., 230
[294] Michael Lienesch , Ibid., 230 - 231
[295] Ibid., 231
[296] David Chidester, *Christianity : A Global History* , Harper San Francisco, 2000, 492
[297] David Chidester , Ibid., 494 - 495
[298] David Chidester , Ibid., 495
[299] Marvin Perry et al., *Western Civilization : Ideas, Politics & Society*, (7th ed) , Boston and NY : Houghton Mifflin Co, 2004, 382
[300] BBC NEWS world edition, 'Falwell 'Sorry' for Mohammed remark. See: http://news.bbc.co.uk/1/hi/world/americas/2323897.stm
[301] ABCNews.Com, A New Crusade? Evangelical Christians Rally Against Islam, Despite Bush Disavowal, 11/18/2003. See: http://abcnews.go.com/sections/wnt/DailyNews/evangelical_christians021118.html.=
[302] Quoted in Michael Lienesch, *Redeeming America: Piety and Politics in the New Christian Right*, from; Pat Robertson, *The New World Order*, Dallas: Word Incorporated, 1991, 230-231
[303] David Van Biema, Missionaries Under Cover, *Time* (Asian Edition), June 30, 2003, 50-58
[304] Pentagon Sponsors Franklin Graham, http://www.mpac.org/home_article_display.aspx?ITEM=503
[305] Kenneth L. Woodward, The Changing Face of the Church: How the explosion of Christianity in developing nations is transforming the world's largest religion, *Newsweek*, (Asian Edition), April 16, 2001, 46-52.
[306] Ibid., 51
[307] Ibid., 52
[308] Michael Lienesch, *Redeeming America*, 211
[309] Ibid., 207
[310] Ibid., 211
[311] Ibid., 210 (Quoted by Lienesch from: Eidsmore, *God and Caesar*, 43. 49).
[312] Hal Lindsey, *There's a New World Coming*, 245
[313] Ibid., 40
[314] Ibid., 288
[315] Esmond Wright (ed.), *History of the World: Prehistory to Renaissance*, Middlesex: Bonanza Books and Newness Books, 1985, 394. In eschatological theology the term 'last or final Judgment'-means the time, 'When Christ, as ruler on earth, resurrects the dead and consigns the righteous to eternal life and the evil to eternal damnation.' See: *Time* (North American Edition). July 1. 2002. 45.
[316] Esmond Wright, *Ibid.*, 396.
[317] The books of Daniel, Ezekiel or Joel nowhere mention the Arab- African Confederacy. This concept is the innovation of Lindsey. The actual wording of the book of Daniel that is interpreted by Lindsey as the Arab-African Confederacy is found in the last five statements (40-45) from the 12th Chapter of the book of Daniel which are quoted verbatim as follows:

"40 At the time of the end the king of the South will engage him in battle, and the king of the North will storm out against him with chariots

and cavalry and a great fleet of ships. He will invade many countries and sweep through them like a flood. *41* He will also invade the Beautiful Land. Many countries will fall, but Edom, Moab and the leaders of Ammon will be delivered from his hands. *42* He will extend his power over many countries; Egypt will not escape. *43* He will gain control of the treasures of gold and silver and all the riches of Egypt, with the Libyans and Nubians in submission. *44* But reports from the east and the north will alarm him, and he will set out in a great rage to destroy and annihilate many. *45* He will pitch his royal tent between the seas at the beautiful holy mountain, yet he will come to his end, and no one will help him."

Source: *The Holy Bible Containing the Old Testament and the New Testament*, (New International Edition), Grand Rapids: Zondervan Publishing House, 1984, 1393

[318] The book Daniel in the Old Testament. It is ascribed to Prophet Daniel. Since the book describes Prophet Daniel and bears his name, initially it was considered to be his authorship. Later research established that the book describes Prophet Daniel, as a captive of the Babylonians at a time close to 606 B.C. For a number of historical facts, most scholars now agree that the book once believed to be of Daniel's authorship, was *actually* written anonymously in the 2nd century B.C. (somewhere around 165 B.C.). See *Funk & Wagnalls New Encyclopedia* S.V. "Daniel."

[319] Hal Lindsey, *Ibid.*, 209. (See also Ezekiel 38: 14-17 and Joel 2 – 10, 20.)

[320] Samuel P. Huntington, *The Clash of Civilizations and the Remaking of the New World Order*, New York: Simon & Schuster, 301-321.

[321] There is conflict in Southeast Asia over the Spratly Islands which have oil. China, Taiwan, Vietnam, Malaysia, the Philippines and Brunei claim ownership of these islands. Occasionally these claims have raised tensions in the region. Now this is the contribution of Professor Huntington that he has fabricated a secular plot to support the Biblical belief in a war centered in the Middle East due to the Israel-Palestine issue.

هوامش الفصل العاشر:

[322] Hal Lindsey, *There's A New World Coming*, 209

[323] Ibid., 209

[324] Michael Lienesch, *Redeeming America: Piety and Politics in the New Christian Right* , Chapel Hill and London: The University of North Carolina Press, 1983, 224

[325] David Chidester, *Christianity: A Global History*, 315 - 316

[326] Ibid., 320

[327] Ibid., 529 - 536

[328] Ibid., 532

[329] Ibid., 532

[330] Ibid., 532

[331] Ibid., 532

[332] Ibid., 532 - 533

[333] Ibid., 531

[334] Ibid., 531

[335] Ibid., 531
[336] Steve Bruce, *Fundamentalism* , Cambridge : Polity Press, 2000, 111
[337] Samuel P. Huntington, *The Clash of Civilizations and the Remaking of the New World Order*, N.Y. : Simon & Schuster, 1996
[338] Steve Bruce, *Fundamentalism*, 111
[339] (Matthew 24 : 36)
[340] (Mark 13 : 32 – 33)

هواش الفصل الحادى عشر

[341] America won its independence from the British rule in 1776.
[342] Karen Armstrong, *The Battle for God : Fundamentalism in Judaism , Christianity and Islam*, London: Harper Collins Publishers, 2000 , 78 – 79, and 86 - 87
[343] Ibid., 78 – 79
[344] Ibid., 80
[345] Ibid., 80 - 81
[346] The Seven Years' War (1756 – 1763) in North America between England and France was a replay of the worldwide rivalry between the two colonial powers to dominate the world economy through the control of international trade and naval routes. The capture of Quebec by the British in 1759 dealt a fatal blow to French power and aspirations in North America, and in 1760 the French army surrendered in Montreal. In 1763 a peace agreement known as the Peace of Paris was signed between the two European rivals bringing the conflict to an end. For details see: Alan Brinkley, *The Unfinished Nation, 96 - 102*
[347] Karen Armstrong, *The Battle for God: Fundamentalism in Judaism, Christianity and Islam* (London: Harper Collins Publishers, 2001), 81
[348] Ibid., 88
[349] Ibid., 91
[350] Ibid., 87
[351] Ibid., 91
[352] William Martin, *With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America* (New York: Broadway Books, 1997), 4
[353] Alan Brinkley, The Unfinished Nation, 348
[354] Karen Armstrong , Ibid., 90. Karen Armstrong quotes it from : Nathan O. Hatch , *The Democratization of Christianity* (New Haven, Conn., and London , 1989),22
[355] Walter H. Capps, *The New Religious Right : Piety, Patriotism, and Politics*, Columbia : University of South Carolina Press, 1990, 62 - 63
[356] Howard Fineman , Bush and God , *Newsweek* (Asian Edition), March 10,2003, 14 – 21 (especially 18)
[357] Ibid., 18
[358] Ibid., 18
[359] Ibid.. 19
[360] Ibid., 19
[361] Karl Rove is George W. Bush's political advisor. Commenting on the relationship between the two *Newsweek* writes "Faith and ambition become one, with Bush doing the talking and Rove doing the thinking on policy and spin" (*Newsweek, Asian edition,* March 10, 2003, 19).
[362] Ibid., 19
[363] Ibid., 20 , (Here the italics are ours for emphasis)
[364] Ibid., 20

[365] William Martin , *With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America* (New York: Broadway Books, 1997), Photo of Billy Graham and his associates kneeling in prayer on the White House lawn, after a meeting with President Truman in which they discussed issues pertaining to the communist threat, Korean conflict and spiritual aspects of American life. This photo is on an un-numbered page which is between pages : 114 - 115

[366] Richard G. Hutcheson, Jr. , *God in the White House*, 53

[367] William Martin , *With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America* (New York: Broadway Books, 1997) , 30 -31

[368] Richard G. Hutcheson, Jr. Ibid., 82

[369] Ibid., 81

[370] Ibid., 82

[371] Richard G. Hutcheson. Jr. 2

[372] Quoted by Richard G. Hutcheson, Jr. Ibid., 1.

هوامش الفصل الثاني عشر

[373] Our discussion here is based on Christian belief that Jesus was crucified.

[374] Perry et al., *Western Civilization: Ideas, Politics and Society*, 2004, 181 – 182.

[375] David Chidester , 105

[376] Abba Eban, *Heritage*: *Civilization and the Jews*, New York: Summit Books, 1984, 154.

[377] Ibid., 154

[378] Ibid., 154

[379] Faruq Sherif, *A Guidance to the Contents of the Qur'an*, Reading: Garnet Publishing Limited, 1998, 130-133

[380] Ibid., 127

[381] Ibid., 151 (here the italics are ours for emphasis).

[382] Abba Eban, Ibid., 142

[383] Samuel P. Huntington, *The Clash of Civilizations and the Remaking of the New World Order*, 212

[384] Samuel P. Huntington, *The Clash of Civilizations and the Remaking of the New World Order*, 212

[385] Edward Hallet Carr, *What is History ?* New York : Vintage Books, 1961, 12

[386] Carr. Ibid., 9

[387] William Martin, *With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America* (New York: Broadway Books, 1997), 29

[388] SOUTHEAST TREATY ORGANIZATION (SEATO): Established in 1954, it was an alliance of nations to provide defense and economic cooperation in Southeast Asia and the South Pacific area. Its founding members were: Australia, France, Great Britain, New Zealand, Pakistan, the Philippines, Thailand and the United States. Like NATO it was an arrangement to prevent the spread of communism. After the communist victories and the U.S. withdrawal from Vietnam, the alliance was disbanded on February 20, 1976. See: *Funk & Wagnalls New Encyclopedia*, S.V. "SEATO"

[389] CENTRAL TREATY ORGANIZATION (CENTO): A mutual defense and security organization earlier known as the Middle East Treaty Organization (METO). Iran, Iraq, Pakistan, Turkey and Britain were the members of METO. In 1959, Iraq withdrew from METO, due to which its name was changed to CENTO that year. Its headquarters were originally in Baghdad but after Iraq's withdrawal they were moved to Ankara, Turkey. Although the United States was

not an official member of CENTO, it actually supported the organization. The purpose of the organization was to establish a joint defense system against possible aggression and encourage the economic and scientific development of the member countries. It was mainly meant to contain the communist threat from the Soviet Union and the People's Republic of China. See: *Funk & Wagnalls New Encyclopedia*, S.V. "CENTO"

هوامش الفصل الثالث عشر:

[390] This is a quote from the first inaugural address of President Franklin D. Roosevelt (FDR). He was elected during the economic crisis known as Great Depression. The widespread unemployment and collapse of the economy had created such a fear that the business investment dried up as people had lost confidence in the economy. F.D.R. used bold and unconventional policies to revive the economy. He called his policies *'New Deal'*. These policies succeeded in reviving the economy. The above quote reflects the philosophy that when a crisis shakes the confidence of the people, one should not give up, rather one should boldly try new and positive ways with hope and courage. See: *Funk & Wagnalls New Encyclopedia*, S.V. "Roosevelt, Franklin Delano". See also: Robert L. Heilbroner, *The Making of Economic Society*, (7^{th} ed), Englewood Cliffs, Prentice-Hall, 1985 (133-147).

[391] Karen Armstrong, *The Battle for God, Fundamentalism in Judaism, Christianity and Islam* (London: Harper Collins Publishers, 2001), 66

[392] Ibid., 92

[393] See: *Funk & Wagnalls New Encyclopedia*, S.V. "Antichrist."

[394] Karen Armstrong, 84. The Seven Year's War (1756-1763) with France drained the British economy. In order to generate revenue the British Parliament implemented the Stamp Act in 1765. This act was designed to generate revenue from the North American Colonies by imposing taxes on "legal documents", college diplomas, newspapers, customs documents; etc. For details see: James West Davidson et al., *Nation of Nations* , 148 -170

[395] Karen Armstrong, Ibid., 84

[396] Ibid., 172

[397] Ibid., 172 , and 216 – 217 Karen Armstrong cites the following references in support of this position : Boyer , *When Time Shall Be No More*, 192; Marsden, *Fundamentalism and American Culture*, 154 – 155

[398] Hal Lindsey, *There's A New World Coming* , 1984, 176

[399] Glenn H. Uter and John W. Storey. *The Religious Right: A Reference Handbook*, Santa Barbara : ABC – CLIO, 1995,34

[400] Ibid.. 34

[401] David Chidester, *Christianity : A Global History*, New York: Harper San Francisco , 2000 , 531

[402] Chidester, Ibid., 320

[403] BBC NEWS world edition, "Falwell 'Sorry' for Mohammed remark." See: http://news.bbc.co.uk/1/hi/world/americas/2323897.stm

[404] Oliver Burkeman, Powell attacks Christian right, *The Guardian*, November 15, 2002 See: http://www.guardian.co.uk/international/story/0,,840447,00.html

[405] Ibid

[406] Michael Lienesch, *Redeeming America: Piety and Politics in the New Christian Right*, 229

[407] Ibid., 228

[408] Ibid., 230
[409] Ibid., 230
[410] Ibid., 231
[411] Ibid., 231
[412] Ibid., 231
[413] Ibid., 232
[414] Ibid., 232
[415] *Funk and Wagnalls New Encyclopedia, S.V. "Roosevelt, Franklin Delano".*
[416] Samuel P. Huntington, *'Who Are We? The Challenges to America's Identity'.*, New York: Simon & Schuster, 2004, 24-28.

هوامش الفصل الرابع عشر:

[417] David Aikman, *Great Souls: Six Who Changed The Century*, Lanham: Lexington Books, 2003. In this book Aikman lists: Billy Graham, Nelson Mandela, Aleksander Solzheinitsyn, Mother Teresa, Pope John Paul II and Elie Wiesel. Many may feel this list to be subjective. Aiknan himself acknowledges the element of subjectivity in the introduction of the book and lays down the criteria on the basis of which he has selected the six. In my view any discussion on the subject, which excludes Mao Zedong of China and Martin Luther King of the United States, leaves a lot to be desired. However, the inclusion of Billy Graham in the list has good reasons. I would go a step further and say that the world has not seen the full impact of the people like: Billy Graham, Jerry Falwell and Pat Robertson yet.
[418] Main Street is a common American expression. It is used to denote the every day socioeconomic and cultural dynamics of American society which bring common people into contact with each other. It is with this interaction, collective activism, and cross fertilization of ideas among the intellectuals, masses and the local and national leadership through the media, NGOs, and the entertainment industry that public opinion is shaped which influences the government decisions and policies.
[419] Huntington, *The Clash of Civilizations and the Remaking of the New World Order*, 212
[420] Muhammad Arif Zakaullah, The Nation State and Emerging System of Global Governance: The Challenge of Muslim Unity – A Conflict Resolution Approach, forthcoming in the *International Journal of Muslim Unity*, Volume 2, Number 1, June, 2004. (Please note that this is a slightly modified statement as compared to the original in the IJMU referred to here). See also Will Durant, *The Story of Philosophy*, NY: Simon and Schuster, 1961, 343-347.
[421] Huntington, *The Clash of Civilizations and the Remaking of the New World Order*, 212.
[422] Samuel P. Huntington, *Who Are We? The Challenges to America's National Identity*, New York: Simon & Schuster, 2004. Here Huntington focuses on American society's internal ethnic, cultural and religious differences.
[423] 'Crusade' deleted in Bush's speech, *New Straits Times*, Kuala Lumpur, June 4, 2004, B19.
[424] Ibid., B19

هوامش الفصل الخامس عشر:

[425] Nancy Gibbs, Apocalypse Now, *Time*. (North American Edition), July 1, 2002, 40-48. This *Time* magazine article defines the term Rapture as "The act of Christ's lifting off to heaven all living true believers". 45.
[426] Ibid.,
[427] Ibid.,

[428] Ibid.,
[429] Ibid.,
[430] Ibid.,
[431] Hal Lindsey, 'There's A New World Coming', 150
[432] The World Bank, *World Development Indicators 2001* (Washington, D.C., 2001), 14.
[433] Alan Brinkley, *The Unfinished Nation*, 990.
[434] The First Caliph (Abu Bakar) was proposed by Umar. The 2nd Caliph was proposed by Abu Bakar and endorsed by the people of Medina. The third Caliph was selected by a larger group i.e. an elective council consisting of six members. But then the process was disrupted due to the assassination of the third Caliph (Uthman), and the forces that destabilized the caliphate finally established absolute monarchy in the Islamic civilization which was introduced by the Ummayyad dynasty. Its legacy still continues in many Muslim countries in different forms (e.g. dynastic rule, military dictatorship, feudalism etc). See: Muhammad Qamaruddin Khan, "Al-Mawardi" in M.M. Sharif , ed., *A Short History of Muslim Philosophy vol. I*, Delhi: Low Price Publication, 1995, 717-731. See also: Dr. Anwar Chejne, *Succession to the Rule in Islam*, Lahore: Sh. Muhammad Ashraf, 1979.
[435] Britain withdrew from Hong Kong and returned it to China in 1997. On 1 July, 1997 Hong Kong became the Special Administrative Region (SAR) of China. It can be argued that HK had to be returned to China as its lease had expired. The right of self determination of the Kashmiris had been accepted by the UN and a plebiscite in Kashmir had been agreed upon in the UN documents, but this plebiscite never took place because the Muslims are weak whereas HK was returned to China because China is strong. The same is true for the question of Palestine which has not been resolved mainly due to the general weakness of and lack of respect for the Islamic civilization, because the world would generally honor its commitments to those whom it respects. See: http://www.cia.gov/cia/publications/factbook/print/hk.html. Portugal surrendered Macau to China on 20th December, 1999 after five centuries of European domination. Macau, like Hong Kong, also became an SAR of China. See: http://news.bbc.co.uk/1/low/asia-pacific/566074.stm
[436] David Van Biema, Missionaries Under Cover, *Time* (Asian edition), June 30, 2003, p. 52
[437] Ibid, 52
[438] Ibid, 52
[439] As Muslims we condemn the acts of terrorism by any means and in all its forms.
[440] http://www.statistics.gov.my/English/pressdemo.htm
[441] Nadia Rehan Yusufi, 'Young Leader Conference 2004: Pakistan Kay Mukhtalif Shehron aur deegar Mumalik Kay Now-Jawanoon Kay Liye Sajaey Gaey Mailay Ki Roo-daad' *Daily Jang* (Urdu), Karachi, 17 July, 2004, 17. On Feudalism in Pakistan See: (i) Wakeel Anjum, *Siyasat Kay Firaun*, (Urdu) Lahore: Ferozsons (Private) Ltd., (ii) A.R. Shibli: *Pakistan Kay Deh Khuda (Urdu)*, Lahore: Aatish Fishan Publications, 1994.

[442] Johan D. King, Muslims Drop their Support of Bush, *Religion News Service*, silive.com http://www.silive.com/printer/printerssf?/base/living/1088797551245180.xml 8/6/2004
See also: Barnie Choudhury, US Muslims flex political muscle, *BBC News*, http://newsvote.bbc.co.uk/mpapps/pagetools/print/news.bbc.bo.uk/1/hi/world/americas/3422685.stm 6/6/2004

[443] William Martin, *In God We Trust*, 304.

[444] The White House is located on Pennsylvania Avenue at the following address: The White House, 1600 Pennsylvania Avenue, NW Washington, DC.

[445] William Martin, The Christian Right and American Foreign Policy, *Foreign Policy*, Spring 1999, 66-79.

المحتويات

الموضـــــــوع	الصفحة
تقديم	٧
المقدمة	١١
الفصل الأول : نتائج انتخابات الرئاسة الأمريكية لعام ٢٠٠٠م : أمر محير	١٥
الفصل الثانى : التمرد الجنوبى ضد جور	٣١
الفصل الثالث : المسيحية فى أمريكا : خلفية تاريخية موجزة	٥١
الفصل الرابع : صعود الأصولية المسيحية بعد الحرب العالمية الثانية	٦٣
الفصل الخامس : التحدى الفكرى والاستجابة	٧٧
الفصل السادس : شبكة الله والقيصر والمخلص	٨٥
الفصل السابع : «الأغلبية الأخلاقية» فى الليبرالية الديمقراطية : جيش الله لإخضاع القيصر	٩٧
الفصل الثامن : الأبعاد الاقتصادية ـ الاجتماعية للأصولية المسيحية	١١٥
الفصل التاسع : الأصولية المسيحية والعالم الإسلامى	١٤٧
الفصل العاشر : التأويلات	١٦٧
الفصل الحادى عشر : ما هو الصحيح عند اليمين المسيحى؟	١٧٧
الفصل الثانى عشر : رؤية «الآخر»	١٨٩
الفصل الثالث عشر : إن الشىء الوحيد الذى ينبغى أن نخافه هو الخوف نفسه	٢٠٥
الفصل الرابع عشر : «الصدام» فى مواجهة التطور الخلاق	٢١٥
الفصل الخامس عشر : مستقبل المسلمين تحديد المشكلة	٢٣٥
الهوامش	٢٦٣